الحمـــد لله

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى
رئيس قسم التراث العربى بالمجلس الأعلى للفنون والآداب

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ * وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الضَّالِّينَ) ـ سورة الفاتحة ـ

* * *

• • الله الذى نعبده ونوحده ونتجده ونحمده :

• له الأمر والنهى ، ومنه الخلق والرزق ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً ، ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، يعز ويذل ، ويداول الأيام بين الناس .

• لايشغله سمع عن سمع ، ولاشأن عن شأن ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولايتبرم بإلحاح ذوى الحاجات . بل يحب من عباده الملحين فى الدعاء .

• الغيب عنده شهادة ، والسر عنده علانية ؛ له الملك ، وله الحمد ، وله الدنيا والآخرة ، وله ما سكن فى الليل والنهار ، وله النعمة والفضل والثناء الحسن .

• بيده الخير ، وإليه يرجع الأمر ، يغفر الذنوب ، ويفرج الكروب ، ويجبر الكسير ، ويغنى الفقير ، ويعلم الجاهل ، ويهدى الضال ، ويرشد الحيران ، ويغيث اللهفان ، ويفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويشفى المريض ، ويعافى المبتلى ، ويقبل التائب . ويجزى المحسن ، وينصر المظلوم ، ويقصم الجبار .

• يقيل العثرات ، ويستر العورات ، ويؤمن الروعات ، ويرفع أقواماً ويضع آخرين .

• لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل .

• حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، يمينه ملأى لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار . . . قلوب العباد ونواصيهم بيده ، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

• أحق من ذكر وعبد وحمد ، وأولى من شكر ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل وأعطى من قدر ، وأكرم من قصد ، وأعدل من انتقم .

• حلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن عزته ، ومنعه عن حكمته ، وموالاته عن إحسانه ورحمته

• هو الملك لاشريك له ، والأحد فلا ند له ، والغنى فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له ولا صاحبة له ، والعلي فلا شبيه له ولا سمي له

• كل شيء هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل فضل منقطع إلا فضله

• يطاع فيشكر ، ويعصى فيتجاوز ويغفر ؛ كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ . .

* * *

•• ذلكم الله ربكم :

• (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل ، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير [1])

• (ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ، إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده [2])

---

(١) الأنعام : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) يونس : ٣ .

• ﴿ فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون [1] ﴾ .

• ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير [2] ﴾ .

• ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فأنى تصرفون [3] ﴾ .

• ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ، كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ، الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ، وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ، هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ [4] .

* * *

• • الحمد لله :

و « الحمد لله » كلمة يقولها المؤمنون بالله ، الذاكرون لفضله ، الشاكرون لآلائه ،

قالها « نوح » عليه السلام ـ عندما استوى هو ومن معه على الفلك ـ : ﴿ الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ﴾ [5] .

وقالها « إبراهيم » عليه السلام ـ حينما أنعم الله عليه بنعمة الولد ـ : ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء ﴾ [6]

وقالها « داود » و « سليمان » عليهما السلام ـ لما من الله عليهما بالملك العريض ـ : ﴿ الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ [7] .

وتقولها « الملائكة » عليهم السلام ـ : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ﴾ [8] .

---

(١) يونس : ٣٢ .
(٢) فاطر : ١٣ ، ١٤ .
(٣) الزمر : ٦
(٤) غافر : ٦٢ ـ ٦٣ .
(٥) المؤمنون : ٢٨ .
(٦) إبراهيم : ٣٩ .
(٧) النمل : ١٥ .
(٨) الزمر : ٧٥

ويقولها أهل الجنة فى الجنة : (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن)[1] (الحمد لله الذى صدقنا وعده)[2] . (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)[3].

• بل إن ما فى الكون كله ؛ يسبح بحمد الله ، ويقدسه ؛ ويسلم له ؛ ويعنو لسلطانه (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته)[4] (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)[5]

• • صاحب لواء الحمد :

وقد كان « الرسول الخاتم » صاحب لواء الحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثير الحمد لله ، والضراعة إليه ، كما أمره ربه وعلمه .

﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيراً ﴾[6] .

﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾[7] .

﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾[8] .

﴿ قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾[9]

﴿ قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾[10] .

• فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحمد الله ـ دائماً ـ ويمجده ؛ إن صلى أو صام ، أو سافر أو أقام ، أو أكل أو شرب ، أو حارب أو خطب ...

وكان يقوم لربه من جوف الليل ، يدعوه بهذا الدعاء ، ويحمده بتلك المحامد :

« اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، ومحمد حق .

---

(١) فاطر : ٣٤ (٢) الزمر : ٧٤ (٣) الأعراف : ٤٣ (٤) الرعد : ١٣
(٥) الإسراء : ٤٤ (٦) الإسراء : ١١١ (٧) النمل : ٥٩ (٨) النمل : ٩٣
(٩) العنكبوت : ٦٣ (١٠) لقمان : ٢٥

« اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله إلا أنت » .

* * *

• • مادة الحمد في القرآن الكريم :

وقد وردت مادة « الحمد » ومشتقاتها في القرآن الكريم ٦٨ مرة ومن تتبع ورودها في القرآن الكريم فإنه يجدها تدور حول الاستعمالات التالية :

الاستعمال الأول : حمده ؛ بمعنى أثنى عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾(١) .

الاستعمال الثاني : حمد الله ، بمعنى أثنى عليه ومجده وعظمه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

الاستعمال الثالث : الحميد ـ من صفات الله تعالى ـ ومعناه : المحمود ، ومنه قوله تعالى : (واعلموا أن الله غني حميد)(٢) .

الاستعمال الرابع : أحمد ، وهو علم منقول من أفعل التفضيل بمعنى الأكثر حمداً ، ومنه قوله تعالى : (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)(٣) .

الاستعمال الخامس : محمد ، وهو علم أطلق على من كثرت خصاله المحمودة ، ومنه قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)(٤) .

* * *

• • ورود عبارة « الحمد لله » في القرآن الكريم :

وأما عبارة « الحمد لله » فقد وردت في القرآن الكريم سبعاً وعشرين مرة(٥) .

---

(١) آل عمران : ١٨٨ (٢) البقرة : ٢٦٧ (٣) الصف : ٦

(٤) آل عمران : ١٤٤ (٥) وردت هذه العبارة الكريمة في .

الفاتحة : ٢ ـ الأنعام : ١ ، ٤٥ ـ الأعراف : ٤٣ ـ يونس : ١٠ ـ إبراهيم : ٣٩ النحل : ٣٥ الإسراء : ١١١ ـ الكهف : ١ ـ المؤمنون : ٢٨ ـ النمل : ١٥ : ٥٣ ، ٥٩ ـ القصص : ٧٠ ـ العنكبوت : ٦٣ ـ الروم : ١٨ ـ لقمان : ٢٥ ـ سبأ : ١ ـ فاطر : ١ ، ٣٤ ـ الصافات : ١٨٢ الزمر : ٢٩ ، ٧٤ ، ٧٥ ـ غافر : ٦٥ ـ الجاثية : ٣٦ ـ التغابن : ١ .

وافتتحت بها خمس سور — هى :

- الفاتحة : (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم)
- الأنعام : (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) .
- الكهف : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) .
- سبأ : (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) .
- فاطر : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء إن الله على كل شىء قدير)

كما اختتمت بها خمس سور — هى :

- الإسراء : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً . ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيراً)[1] .
- النمل : (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)[2]
- الصافات : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)[3] .
- الزمر : (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق ، وقيل الحمد لله رب العالمين)[4] .
- الجاثية : (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)[5] .

* * *

- تعريف « الحمد » .

وقد عرفوا الحمد بأنه الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على وجه التعظيم والتبجيل.

---

(١) الإسراء : ١١١ (٢) النمل : ٩٣ (٣) الصافات : ١٨٢ .
(٤) الزمر : ٧٥ (٥) الجاثية : ٣٦ ، ٣٧ .

وعرفوه — اصطلاحاً — بأنه : فعل أو قول ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الحامد أو غيره .

والله — سبحانه وتعالى — وحده ، هو المستحق للمحامد كلها ، فهو — سبحانه — محمود من كل وجه ، وبكل اعتبار ، بجميع أنواع الحمد .

* * *

فالحمد لله على إحسانه وآلائه ...

والحمد لله على أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ...

والحمد لله كما يحب ويرضى ..

ونعوذ بالله أن نذكر به وننساه ؟

(وللحديث بقية فى عدد يأتى بمشيئة الله تعالى)

محمد جميل غازى

الكلمة الطيبة

وعن عدى بن حاتم ، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » « رواه مسلم » .

وعن عدى بن حاتم ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النار فأعرض وأشاح ، ثم قال : « اتقوا النار ، ثم أعرض وأشاح ، حتى ظننا أنه كأنما ينظر إليها ، ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

« رواه مسلم »

والحديث فيه الحث على الصدقة وأنه لايمتنع فيها لقلتها وأن قليلها سبب للنجاة من النار ولو بكلمة طيبة — أى الكلمة التى فيها تطييب قلب الإنسان .

٢ ـ الحمد لله

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

* • *

• • تحدثت — فى مقال سبق — عن مادة « الحمد » فى القرآن الكريم ، وعن معناها ، ومرات ورودها ، والسور التى افتتحت واختتمت بها . . .

• • واليوم ؛ نلتقى حول « سورة الحمد » نتأمل وجهها الكريم ، ونقتبس من آياتها الحكمة ، ونلتمس من معانيها الموعظة .

* * *

• و « سورة الحمد » سورة جامعة لأبواب الخير ، مرشدة لأصول البر . . . فقد جاء مأثوراً عن الحسن البصرى — فيما يرويه ابن ماجه وغيره ؛ « أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب . جمع علمها فى الأربعة ، وجمع علم الأربعة فى القرآن ، وجمع علم القرآن فى المفصل وجمع ، علم المفصل فى أم القرآن ، وجمع علم أم القرآن فى هاتين الكلمتين الجامعتين : (إياك نعبد وإياك نستعين) (١)

• وهى سورة ذات أسماء كثيرة — منها :
الحمد ، والصلاة ، والفاتحة ، وأم الكتاب ، وأم القرآن ، والمثانى .

° ° °

• قال تعالى : (الحمد لله)
ولم يذكر سبحانه لحمده « ظرفاً مكانياً » ولا « زمانياً » ...

---

(١) ـ ١٤ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧

وذكر فى «سورة الروم» أن من ظروفه المكانية : « السموات والأرض» حيث يقول: (وله الحمد فى السموات والأرض) (١)

كما ذكر فى « سورة القصص » أن من ظروفه الزمانية : « الدنيا والآخرة » (٢) حيث يقول : (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة) (٣)

• والألف واللام — فى قوله : (الحمد) . لاستغراق جميع المحامد فى جميع الظروف والأحوال : وعلى جميع النعم جليها وخفيها .

• و « الحمد لله » كلمة لها فضلها وأجرها : ولذلك افتتح الله بها كتابه ، وأمر بها أحبابه، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » .

وقال الحسن : « ما من نعمة إلا والحمد لله أفضل منها » .

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : « الحمد لله » إلا كان الذى أعطاه أفضل مما أخذ » .

وروى مسلم عن أبى مالك الأشعرى قال : قال ﷺ . « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن — أو : تملأ — ما بين السماء والأرض» .

* * *

• وقال تعالى : (رب العالمين)

— ورب يطلق على السيد المطاع ، وعلى المصلح ، وعلى الملك . فهو صفة مشبهة ، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى التربية .

والرب — بالألف واللام — لا يقال إلا لله عز وجل .

— والعالمين — جمع عالم ؛ وهو : كل موجود سوى الله تعالى . ويدل لذلك قوله تعالى (قال فرعون : وما رب العالمين ؟ قال : رب السموات والأرض وما بينهما) (٤)

— وقد يطلق لفظ « العالمين » ويراد به « الإنس والجن » فقط وذلك فى مجال الحديث عن عموم رسالة محمد ﷺ .

قال ابن عباس العالمون : الجن والإنس » لقوله تعالى : (ليكون للعالمين نذيرا) (٥) قال ولم يكن نذيراً للبهائم !

---

(١) الروم : ١٨

(٢) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين الشنقيطى (٣) القصص . ٧٠

(٤) الشعراء : ٢٣ (٥) الفرقان : ١

• وقال بعض العلماء [1] واشتقاق العالم من العلامة ؛ لأن وجود العالم علامة لاشك فيها على وجود خالقه متصفا بصفات الكمال والجلال ، قال تعالى : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) [2] .

والآية ـ فى اللغة ـ العلامة .

• وقال تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

وهما من أبنية المبالغة و« الرحمن » أبلغ من « الرحيم » ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما هو معروف فى علم الاشتقاق .

ـ « والرحمن » ، خاص بالله سبحانه وتعالى فلا يسمى به غيره ولا يوصف ، بخلاف « الرحيم » . [3]

وفائدة الجمع بين الصفتين « الرحمن » « والرحيم » الإخبار عن رحمة عاجلة وآجلة ، خاصة وعامة .

ثم ؛ إن « الرحمن » دال على الصفة القائمة به سبحانه ، و« الرحيم » دال على تعلقها بالمرحوم : فكان الأول للوصف ، والثانى للفعل .

فالأول : دال على أن الرحمة صفته .

والثانى : دال على أنه يرحم خلقه برحمته .

وهذا هو سر قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) [4] .

(إنه بهم رءوف رحيم) [5] . ولم يجىء قط رحمن بهم

• وتنقسم الرحمة إلى قسمين :

قسم مشترك عام بين المسلم والكافر ، والبر والفاجر ، والبهائم ، وسائر الخلق ، ودليلها : (ورحمتى وسعت كل شىء) [6] وقوله : (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) [7]

وقسم خاص بأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصالحين ودليله قول تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) [8] وقوله : (إنه بهم رءوف رحيم) [9] .

* * ٥

---

(١) الشيخ الأمين الشنقيطى فى كتابه : «أضواء البيان فى إيضاح القرآن » جـ ١ ص ٣٩ .

(٢) الاعراف : ١٩٠

(٣) جاء فى القرطبى جـ١ ص ١٠٦ : « أكثر العلماء على أن الرحمن مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره ألا ترى قال : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ـ ١١ الإسراء) فعادل الاسم الذى لايشركه فيه غيره ، وقال : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ـ ٤٥] الزخرف ـ) فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة عز وجل .

(٤) الأحزاب : ٤٣ (٥) التوبة : ١١٧

(٦) الاعراف : ١٥٦ (٧) غافر : ٧ (٨) الاحزاب : ٤٣ (٩) التوبة : ١٢١

• وقال تعالى : (مالك يوم الدين)

وقد بين الله يوم الدين بقوله : (وما أدراك مايوم الدين ، ثم ما أدراك مايوم الدين ، يوماً لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) (١) .

ـ والمراد بالدين : الجزاء ، لقوله تعالى : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) (٢) ، أى : جزاء أعمالهم بالعدل .

• ولايجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم (٣) ولايدعى به إلا الله تعالى . وكذلك لايجوز أن يتسمى أحد « بملك الملوك » أو « شاهنشاه » فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ . « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟» .

وعنده ـ أيضاً ـ عن النبى ﷺ ، قال : « إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ـ زاد مسلم ـ لا مالك إلا الله عز وجل » (٤) .

قال سفيان : وكذلك شاهنشاه ، ومعناها : ملك الملوك .

* * *

• وقال تعالى : : ﴿ وإياك نعبد ، إياك نستعين ﴾ .

والعبادة ، لغة الذل ، وعرفها شيخ الاسلام ابن تيمية بأنها : اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . وقيل : إن العبادة غاية الذل مع غاية الخضوع .

والاستعانة : طلب العون والمدد ، وذلك لايكون إلا من الله وحده ، فيما لايقدر عليه إلا الله وحده ، . . .

أما استعانة المخلوق بالمخلوق ، فهى كاستعانة الغريق بالغريق .

• ويقول ابن القيم رحمه الله ! حول قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) : كثيراً ما كنت أسمع شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :

(إياك نعبد) تدفع الرياء .

و (إياك نستعين) تدفع الكبرياء .

• ويقول الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب فى رسالته القيمية : « بعض فوائد سورة الفاتحة » (٥)

---

(١) الانفطار : — ١٩ (٢) النور : ٢٥ (٣) أعنى : مالك يوم الدين .

(٤) قال أحمد بن حنبل : سألت أبا عمرو الشيبانى عن أخنع ، فقال : أوضع .

(٥) الجامع الفريد ص ٢٧٥

(الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :

الآية الأولى . فيها المحبة: لأن الله منعم والمنعم يحب على قدر إنعامه .

والآية الثانية . فيها الرجاء .

والآية الثالثة : فيها الخوف .

وقوله تعالى : (إياك نعبد) أى : نعبدك يارب بما مضى : بهذه الثلاث : بمحبتك ، ورجائك ، وخوفك . .

ثم يقول : « فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك » .

• وقال تعالى : (اهدنا) .

والهداية هى الارشاد إلى الخيرات قولا وفعلا ،

وقد جاءت مادة الهدى فى القرآن الكريم لعدة معان :

الأول : ما منحه الله للعبد من القوى التى توصله إلى مصالحه : كالحواس الخمس ، والعقل قال تعالى : (إنا هديناه السبيل) (١) وقال : (وهديناه النجدين) (٢) . وقد منح الله بعض هذه القوى للحيوانات وغيرها : (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (٣) : (الذى قدر فهدى) (٤) .

الثانى : بعثة الأنبيا والرسل : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) . (٥) ، (ولكل قوم هاد) (٦) .

الثالث : مايوليه الله لصالحى عباده بما اكتسبوا من الصالحات : (وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) . (٧) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) . (٨)

الرابع : التمكين من الجنة : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) (٩) .

• فدعاؤنا وطلبنا للهداية ، بمعناه :

— أن يوفق الله حواسنا ومشاعرنا للسير فى طريقه .

— وأن يعيننا على اتباع نبيه ، والاقتداء بسنته .

---

(١) الإنسان : ٣ (٢) البلد : ١٢٠ (٣) طه : ٥٠

(٤) الأعلى : ٣ (٥) السجدة : ٢٤ (٦) الرعد : ٧

(٧) الحج : ٢٤ (٨) الأنعام : ٩٠ (٩) الأعراف : ٤٣

— وأن يعصمنا من الشبهات ، ويحفظنا من الشهوات .

— وأن يرزقنا الجنة ، مع المنعم عليهم .

* * *

• وقال تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) .

والصراط المستقيم ، هو : الطريق الذى الله نصبه الله لعباده على ألسنة رسله ، وجعله موصلا لهم إليه . ولا طريق لهم سواه ، وهو : إفراده — تعالى — بالعبادة . وإفراد رسله — عليهم صلوات الله وسلامه — بالاتباع والطاعة .

• والصراط المستقيم ليس طريقا موحشاً قفراً

وانما هو طريق كثر سالكوه منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

• لكن ؛ قد تعترى هذا الطريق فترات يقل سالكوه ، والسائرون فيه ؛ فلا ينبغى للمؤمن أن يستوحش من مواصلة المسير . فإن له إخواناً طيبين ، سبقوه بإحسان ، .(وحسن أولئك رفيقا) .

قال بعض السلف : « عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين) .

• ولذلك كان النبي ﷺ يدعو ربه أن يدخله فى زمرة المهتدين : « اللهم اهدنى فيمن هديت » .

• والعبد — دائماً — فى حاجة إلى هداية الله ، ولذلك كان من الحتم أن يكرر هذا الدعاء فى كل ركعة من ركعات الصلاة ؛ إذ أنه لا نجاة من العذاب ، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية ومن فاتته فهو ؛ إما من المغضوب عليهم وإما من الضالين .

• ولسائل أن يسأل :

— إن الله هدى المؤمنين إلى الصراط المستقيم ، فلماذا يدعونه به ؟

ولنا أن نجيب بجوابين :

الأول : أن المطلوب هو الدوام عليه .

الثانى : أن معنى : « الصراط المستقيم » أن يفعل العبد فى كل وقت ما أمر به فى ذلك الوقت من علم وعمل ، ولا يفعل ما نهى عنه . وهذا يحتاج — فى كل وقت — إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به فى ذلك الوقت وما نهى عنه ، وإلى أن تحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور ، وكراهة جازمة تعينه على ترك المحظور .

• وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ — بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان — : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) — إلى قوله — : (ويهديك صراطاً مستقيماً) . ؛ فإذا كانت هذه حاله ﷺ فى آخر حياته أو قريباً منها — فما بالك بغيره المؤمنين ؟ !

• « وصراط الله » :

واحد لاتعدد فيه

مستقيم لا التواء فيه

واضح لاغموض يعتريه

يقول ابن مسعود رضى الله عنه : « خط لنا رسول الله ﷺ خطا ، وقال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ، وقال: «هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه » — ثم قرأ : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)(١)

* * *

• وقال تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم)

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون فى قوله تعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)(٢)

* * *

• وقال تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

وفائدة هذا الاستثناء : أن الكفار قد شاركوا المؤمنين فى كثير من « النعم العامة » عيين — سبحانه — أن المقصود بالدعاء « النعم الخاصة » كالهداية والجنة .

• و (المغضوب عليهم) ، الذين علموا ولم يعملوا :

و (الضالون) الذين عملوا بلا علم .

ومن هنا نعلم أن (المنعم عليهم) هم الذين علموا وعملوا ، جعلنا الله منهم ، وحشرنا معهم .

ونعوذ بالله أن نذكر به وننساه ؟

محمد جميل غازى

---

(١) الأنعام . ١٥٣ (٢) النساء ٦٩

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: من مفردات القرآن : الرؤيا
المصدر: التوحيد
الناشر: جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي: درويش، مصطفى عبداللطيف
المجلد/العدد: س 1, ع 8
محكمة: لا
التاريخ الميلادي: 1973
الشهر: أغسطس
الصفحات: 17 - 20
رقم MD: 154639
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: IslamicInfo
مواضيع: القرآن الكريم، ألفاظ القرآن، الرؤيا
رابط: http://search.mandumah.com/Record/154639

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الرؤيـــا

• (إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال : يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك ، فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) ٤ - ٦ يوسف .

• (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا . وقال : يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) ١٠٠ يوسف

* * *

• تحدث القرآن الكريم فى آياته المحكمات عن مجموعة من الرؤى :

— فنى « سورة الأنفال » : (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر)(١)

— وفى « سورة الإسراء » : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس)(٢)

— وفى « سورة الصافات » : (فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال . يا أبت افعل ماتؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما ، وتله للجبين ، وناديناه : أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين)(٣) .

— وفى « سورة الفتح » : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا مبينا)(٤) .

— أما فى سورة يوسف فنلتقى بخمس رؤى .

الرؤيا الأولى : رؤيا يوسف : (يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين)(٥)

---

(١) الأنفال : ٤٣ (٢) الإسراء : ٦٠ (٣) الصافات : ١٠٢ ـ ١٠٥
(٤) الفتح : ٢٧ (٥) يوسف : ٤

الرؤيا الثانية : رؤيا ساقى الملك : (إنى أرانى أعصر خمراً)[1].

الرؤيا الثالثة : رؤيا خباز الملك : (إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه)[2]

الرؤيا الرابعة : رؤيا الملك الأولى : (إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف)[3].

الرؤيا الخامسة : رؤيا الملك الثانية : (وسبع سنبلات خضر وأخريابسات)[4]

* * *

• ولما كان الحديث عن « الرؤيا » يثير عدة تساؤلات ؛ فقد آثرت أن أستعرض فى هذا المقال نماذج من تلك التساؤلات ، ثم أتناولها بالإجابة بقدر مايوفق الله ويعين .

تساؤلات :

— لماذا سميت الرؤيا : رؤيا ؟

— ومامعنى الحلم ؟ وماهى أضغاث الأحلام ؟

— ومامعنى « تعبير الرؤيا » ؟

— وماهى أنواع الرؤيا ، وهل رأى علماء النفس فى الرؤيا صحيح ؟

— وماذا يفعل الإنسان إذا رأى مايحب ، أو مايكره ؟

— وهل تتحقق الرؤيا الصادقة فوراً ؟

— وماهى المبشرات ؟

— وهل يمكن أن تتحقق رؤيا الكافر ؟

— وهل يمكن أن يرى الإنسان فى منامه حلمين فى ليلة واحدة فى نومة واحدة ؟

— ومامعنى كون الرؤيا الصادقة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة ؟

— وما الفرق بين رؤيا الأنبياء ، ورؤيا غيرهم ؟

— وإذا كانت رؤيا الأنبياء حقاً ، فلماذا أرى الله نبيه جيش المشركين فى بدر قليلا ، وهو يومئذ كثير ؟

— وهل يثبت بالرؤيا حكم شرعى ؟

— ثم ... مانحقيق قوله صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لايتمثل بى » ؟

* * *

(١) يوسف : ٣٦ (٢) يوسف : ٣٦ . (٣) يوسف : ٤٣ (٤) يوسف : ٤٣

١ — الرؤيا :

• إنما سميت « رؤيا » — بالألف — لأنها عبارة عما يرى فى النوم ، كما أن « الرؤية » — بالتاء اسم لما يرى فى اليقظة ، فهما : « كالقربة » و « القربى » وفرق بينهما للتمييز .

• ثم . . أنه قلما يحلم الإنسان حلماً تحتوى مادته على لغة وكلام ، وإنما الأكثر أن يرى الحلم ولا يسمع كلاماً .. كما فى رؤى « سورة يوسف » كلها .. ولذلك اشتق « للرؤيا » اسم فيه معنى « الإبصار » لا « السمع » .

٢ — الحلم :

• الحلم — بضم الحاء وسكون اللام ، وقيل : بضمهما — : ما يرى فى المنام من الخيالات الفاسدة ، قال القسطلانى : وإضافة « الحلم » إلى الشيطان لكونه على هواه ومراده ، وأما إضافة « الرؤيا » — وهى : اسم للمرئى المحبوب — إلى الله تعالى ، فإضافة تشريف ، وظاهره أن المضاف إلى الله تعالى لا يقال له : حلم ، والمضاف إلى الشيطان لا يقال له : رؤيا وهو تصرف شرعى ، وإلا فالكل يسمى : رؤيا .

٣ — أضغاث الأحلام :

• وأضغاث الأحلام : تخاليطها وأباطيلها ، وما يكون منها من حديث نفس ، أو وسوسة شيطان ، وأصل الأضغاث : ما جمع من أخلاط النبات ، الواحد : ضغث ، فاستعيرت لذلك ، والإضافة بمعنى « من » أى : أضغاث من أحلام .

٤ — تعبير الرؤيا :

• تعبير الرؤيا : ذكر عاقبتها ، وآخر أمرها ، كما تقول : عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه ، وهو عبره . ونحوه : « أولت الرؤيا » إذا ذكرت مآلها ومرجعها .

• ولم يذكر فى القرآن الكريم لفظ التعبير إلا مرة واحدة فى قوله تعالى . (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون)[1]

٥ — أنواع الرؤيا :

والرؤيا أنواع كثيرة ذكر منها ابن حزم[2] أربعة :

— ما يكون من قبل الشيطان ، وهو ما كان من الأضغاث والتخليط الذى لا ينضبط .

— ما يكون من حديث النفس ، وهو : ما يشتغل به المرء فى اليقظة فيراه فى النوم من خوف عدو ، أو لقاء حبيب ، أو خلاص من خوف أو نحو ذلك .

— ما يكون من غلبة الطبع .

(١) يوسف ، ٤٣ (٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٥ ص ١٩

— مايريه الله عز وجل نفس الحالم إذا صفت من أكدار الحسد وتخلصت من الأفكار السيئة .

• و « علم النفس » الحديث يتفق مع ابن حزم فى النوعين : الثانى والثالث، ويخالفه فى الأول والرابع ؛ لأنهما يستندان إلى أمر « غيبى » والغيبية مرفوضة فى بحوث علم النفس ! !

وقد وقع « علم النفس » وعلماؤه فى حيرة بسبب رفض هذين النوعين ! !

إذ كيف يمكن تفسير الرؤى الصادقة ، التى تتحقق فى عالم الواقع ، وفق قواعد علم النفس ومقرراته ؟ !

٦ — ماذا يفعل من رأى مايحب ؟

وماذا يفعل من رأى ما يكره ؟

• أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى من حديث أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئا فلينفث عن يساره ولينعوذ بالله من الشيطان فإنها لاتضره ، ولا يخبر بها أحداً ، فإن رأى رؤيا حسنة فليستبشر ولا يخبر بها إلا من يحب »

وأخرج مسلم وأبو داود من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم : « أمر من رأى ما يكره أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه ، وأمره أن يصلى » .

فالرسول — صلى الله عليه وسلم — فى هذين الحديثين ، يأمر من رأى ما يكره بخمسة أشياء :

(١) أن ينفث عن يساره (٢) أن يستعيذ بالله من الشيطان (٣) أن لايخبر بها أحداً (٤) أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه (٥) أن يقوم إلى الصلاة[1]

ويأمر من رأى مايحب بشيئين :

(١) أن يستبشر (٢) أن لايخبر بها إلا من يحب .

• وقد قال مالك رضى الله عنه : لايعبر الرؤيا إلا من يحسنها ، فإن رأى خيراً أخبر به ، وإن رأى مكروها فليقل خيراً أو ليصمت .

يتبع

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم جـ ٢ ص ٩٢

٢ - الرؤيـــا

للأستاذ جميـــل عارى

٧ — هل تتحقق الرؤيا فوراً :

* ليس حتماً أن تتحقق « الرؤيا الصادقة » فور رؤيتها ؛ بل قد يتأخر تحققها إلى أمد بعيد .

فهذه رؤيا يوسف لم تتحقق إلا بعد عشرات السنين ، وبعد جهاد طويل خاضه يوسف عليه السلام .

٨ — المبشرات :

والمبشرات هى : « الرؤيا الصالحة » كما جاء فى حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة »

* وليس معنى هذا أن كل رؤيا صادقة تعتبر بشارة ، بل قد تكون - أحياناً - نذارة .

يقول القرطبى[1] : وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشرى على الإطلاق ، وليس كذلك ، فإن الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لاتسر رائيها ، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقاً به ورحمة ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه .

* ولعل البشرى المشار إليها فى قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا) هى : الرؤيا الصالحة يرونها أو ترى لهم .

---

(١) التفسير جـ ٩ ص ١٢٧

٩ — رؤيا الكافر :

* وقد تصدق رؤيا الكافر ، ولا تكون حينئذ من المبشرات ، وإنما تكون إنذاراً له أو لغيره أو وعظا [١] .

١٠ — تعدد الأحلام فى النومة الواحدة :

* يمكن للانسان أن يرى أكثر من حلم أو رؤيا فى ليلة واحدة و نومة واحدة كما حدث لملك مصر .

١١ — الرؤيا والنبوة :

* أخرج البخارى فى كتاب التعبير « باب رؤيا الصالحين » عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »

فما معنى هذا ؟

وهل يفيد هذا الحديث .. أن حقيقة الرؤيا الصادقة كحقيقة النبوة ؟

يقول ابن خلدون ـ مجيباً على هذه التساؤلات وغيرها ـ « وما ذهب إليه بعضهم فى رواية (ستة وأربعين) من أن الوحى كان فى مبتدئه بالرؤيا ستة أشهر ـ وهى نصف سنة ـ ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة ، فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين ـ فكلام بعيد عن التحقيق ، لأنه إنما وقع ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومن أين لنا أن هذه المدة وقعت لغيره من الأنبياء » ؟

ثم يقول :

« إن ذلك إنما يعطى نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ، ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة »[٢] .

---

(١) كما فى رؤيا ملك مصر ، وراجع الفصل لابن حزم حـ ٥ ص ١٩

(٢) وهناك رأى آخر بين يديه صاحب كتاب مؤتمر تفسير سورة يوسف (حـ ١ ص ١٧٧) مؤداه أن كون الرؤيا الصادقة جزءاً مما ذكر إنما هو باعتبار صدقها لاغير ، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبياً ، وليس كذلك .

١٢ — رؤى الأنبياء ورؤى غيرهم :

* والفرق كبير بين رؤى الأنبياء ، ورؤى غيرهم . فرؤى الأنبياء لا تكذب أبداً بل هى صادقة دائماً . أما رؤى غيرهم فقد تصدق وقد تكذب .

ولا يحكم على رؤيا يراها الناس بالصدق إلا بعد ظهور صدقها ، أما قبل ذلك : فلا بخلاف رؤى الأنبياء فإنها وحى مقطوع بصحته .

فمثلا ـ رؤيا إبراهيم عليه السلام ـ لو رآها غير نبى لما كان له أن ينفذها ، أو يهم بتنفيذها . ولو فعل لكان فاسقاً أو عابثاً أو مجنونا .

١٣ — رؤى الأنبياء .. والرمزية :

* أحياناً تكون رؤى الأنبياء من قبيل الرمز والتمثيل والمجاز والاستعارة كما فى آية الأنفال ، وكما فى كثير من رؤى النبى صلى الله عليه وسلم التى روتها كتب السنة .

ـ « رأيت سوداء ثائرة الرأس تخرج من المدينة إلى مهيعة[1] . فأولتها بالحمى »

ـ « رأيت سيفى قد انقطع صدره ، وبقراً تنحر ، فأولتها برجل من أهل بيتى يقتل ، والبقر نفر من أصحابى يقتلون » .

ـ « رأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة ، فأولتها المدينة »

ـ « رأيت فى يدى سوارين فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدى » .

١٤ — هل يثبت بالرؤيا حكم شرعى ؟

* والرؤيا المنامية ـ ولو كانت صحيحة وحقا ـ لا يثبت بها حكم شرعى ، فلا تحرم الحلال ، ولا تحلل الحرام[2]

ويقول علامة الشام محمد ناصر الدين الألبانى[3]

« ومن المقرر عند العلماء أن الرؤيا لا يثبت بها حكم شرعى فبالأولى لا يثبت بها حديث نبوى ، والحديث هو أصل الأحكام بعد القرآن »

---

(١) المهيعة هى الجحفة ميقات أهل المدينة (٢) مؤتمر تفسير سورة يوسف العلمى ج ١
(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة بالمجلد الأول حـ ٥ ص ٦٧

١٥ — حديث : « من رآنى فى المنام فقد رآنى »

* وأما حديث : « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل فى » [illegible] قال فيه صاحب « تحفة الأحوذى »(١) : « المراد به إذا رآه على صفته المعروفة فى حياته ، فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة » .

قال : « وقد ذهب إلى هذا جماعة ، فقالوا : فى الحديث أن محل ذلك إذا رآه الرائى على صورته التى كان عليها ، ومنهم من ضيق الغرض من ذلك حتى قال : لا بد أن يراه على صورته التى قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة » !!

ثم يقول : « قال الحافظ : والصواب التعميم فى جميع حالاته بشرط أن تكون صورته الحقيقية فى وقت ما سواء كان فى شبابه ورجوليته وكهولته وآخر عمره »

ويقول القرطبى : « اختلف فى معنى الحديث فقال قوم من القاصرين : هو على ظاهره ، فمن رآه فى النوم رأى حقيقته كما يرى فى اليقظة ، وهو قول يدرك فساده ببادى العقل ، إذ يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التى مات عليها ، وأن لا يراه اثنان فى وقت واحد فى مكانين ، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويخاطب الناس ، ويخلو قبره عنه فيزار غير جثته ، ويسلم على غائب لأنه يرى ليلا ونهاراً على اتصال الأوقات ، وهذه حالات لا يقول بالتزامها من له أدنى مسكة من عقل وما يلزم ذلك محتل مخبول .

---

(١) ج ٣ ص ٢٣٩

رجاء

نرجو إدارة المجلة السادة المتعهدين وفروع الجماعة بسرعة توريد ما بعهدتهم من ثمن المجلة حتى تتمكن من الصدور فى انتظام مع إدخال التحسينات المطلوبة وشكراً ؟

من مفردات القرآن :

٤ - الـــــرؤيا

١٧ – كلامه صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا :

* يقول صاحب فيض القدير[١] : « وكذا يقال فى كلامه فى النوم فما وافق سنته فهو حق ، وما لم يوافقها فخلل فى سمع الرائى » .

* وقد سئل شيخ الإسلام زكريا الأنصارى عن رجل زعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : مر أمتى بصيام ثلاثة أيام وأن يعيدوا بعدها ويخطبوا . فهل يجب الصوم أو يندب أو يجوز أو يحرم ؟ وهل يكره أن يقول أحد للناس أمركم النبى عليه السلام بصيام أيام لأنه كذب عليه ومستنده الرؤيا التى سمعها من غير رائيها أو منه ؟ وهل يمتنع أن يتسمى إبليس باسم النبى صلى الله عليه وسلم ويقول للنائم إنه النبى عليه الصلاة والسلام أو يأمره بطاعة ليتوصل بذلك إلى معصية ؟ كما يمتنع عليه التشكل فى صورته الشريفة أم لا ؟ وبه تتميز الرؤيا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصادقة من الكاذبة ؟ وهل يثبت شىء من أحكام الشرع بالرؤيا فى النوم ؟ وهل المرئى ذاته صلى الله عليه وسلم أو روحه أو مثل ذلك ؟

فأجاب :

* لا يجب على أحد الصوم ولا غيره من الأحكام بما ذكر ولا يندب بل قد ينكر ، أو يحرم ، لكن إن غلب على الظن صدق الرؤيا فله العمل بما دلت عليه مالم يكن فيه تغيير حكم شرعى ، ولا يثبت بها شىء من الأحكام لعدم ضبط الرؤيا لا للشك فى الرؤيا .

* ويحرم على الشخص أن يقول : أمركم النبى صلى الله عليه وسلم بكذا ـ فما ذكر ـ

(١) جـ ٦ صـ ١٣١

بل يأتى بما يدل على مستنده من الرؤيا ، إذ لا يمتنع عقلا أن يتسمى إبليس باسم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول للنائم : إنه النبي ، ويأمره بالطاعة .

* والرؤيا الصادقة هى الخالصة من الأضغاث :

والأضغاث أنواع :

الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائى كأن يرى أنه قطع رأسه .

الثانى : أن يرى أن بعض الأنبياء يأمره بمحرم أو محال .

الثالث : ماتتحدث به النفس فى اليقظة تمنياً فيراه كما هو فى المنام .

وبعد : فهذه بعض التساؤلات ، والإجابات حول « الرؤيا » أردت من إيرادها فى هذا المقال إزالة بعض الغموض عن هذا الموضوع الخطير ، حتى لا يستغله استغلالا سيئاً بعض من لا علم عنده ولا فهم ، فيعبث بالدين وبأحكامه !!

خاصة وأن أكثر الخرافات والبدع التى منيت بها هذه الأمة إنما جاءتها من هذا الطريق !

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه ، ونعوذ بالله أن نذكر به ونشاه ؟

محمد جميل غازى

(هذا الركام باسم الإسلام — بقية المنشور على ص ٤٢)

السقطى ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ، ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت » حين تقول لذلك البعض هذا ، أجابوك كل هذا مدسوس على الجنيد وأمثاله .

وبعد مرة أخرى : فليس مستساغاً أن نشغل أذهان المسلمين بمثل هذا ، والإسلام فى هذه الأيام يعانى الأمرين ، من التحديات العنيفة التى تواجهه من الصليبية والشيوعية والصهيونية والأقليات المسلمة تجرى فيها عمليات الاستئصال فى الفلبين وبلغاريا وتايلاند وغيرها .

لكن حين يدلهم الخطب ، وتفيض الكأس بعد امتلائها ، وأدعياء التصوف باسم الإسلام يشوهون الوجه المشرق للإسلام . يصبح السكوت هو الأمر غير المستساغ .!!

محمد عبد الله السمان

أولئك آبائى :

محنة الأحمدين

احمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١ هـ]

أحمد بن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ]

بقلم : محمد جميل أحمد غازى

مدخل :

١ - التشابه كبير بين « الأحمدين » ؛ إبن حنبل ، وابن تيمية .

ولذلك جعلت من « محنتيهما » موضوعاً واحداً ؛ فكلا الرجلين معتد بمذهب السلف - رضوان الله عليهم ! ومتمسك به ، وكلا الرجلين وقف فى وجه الفكر الأجنبي والدخيل ، ورفض أن تفلسف العقيدة ، أو أن تؤخذ من غير كتاب الله ، وهدى رسوله ..

وإذا كان البعد الزمنى بين الإمامين كبيراً ؛ فإن « وجوه الشبه » بين الرجلين كافية فى التقريب بينهما ، والتعريف بهما !

٢ - « وليس أحمد بن حنبل » ، أو « ابن تيمية » بأول من فتن ، وعذب ، وامتحن ، وابتلى ؛ فالتاريخ يحمل لنا فى أعز صفحاته صوراً رائعة لبطولات كريمة ، قام بها أهل الحق فى سبيل ما يؤمنون به ! . . .

فهؤلاء هم رسل الله وأنبياؤه والتابعون لهم بإحسان ؛ قاموا لله و (قالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا) - الكهف : ١٣ .

قالوها ؛ وتحملوا فى سبيلها كل ألوان التضحيات و (ماوهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) - آل عمران : ١٤٦ ، ١٤٧ .

لقد أدوا ضريبة الإيمان بنفوس قوية لاتعرف الجزع ، وقلوب أبية لا ترضى بالهوان ، وضمائر حية لا تخضع للطغيان ، لقد (صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) ـ الأحزاب : ٢٣ .

٣ ـ إن الفتنة ـ بالخير ، أو بالشر ، أو بهما معاً ـ هي الامتحان الإلهي الذي يدخله المؤمن ؛ فإن شكر في السراء ، وصبر في الضراء ، وثبت في البأساء فقد فاز . وأما إن كان من الذين قال الله فيهم : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) ـ الحج : ١١ ـ

٤ ـ إن الإيمان ليس شيئاً هيناً ، وإن طريق المؤمنين ليس مفروشاً بالورود : (ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ـ العنكبوت : ١ ـ ٣ ـ

وقد عدد القرآن الكريم أنواع الفتن ؛ فإذا بها كثيرة ؛ أذكر منها :

- فتنة الشيطان : (٧ : ٣٧ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان)
- فتنة المال والولد : (٨ : ٢٨ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة)
- فتنة الشر والخير : (٢١ : ٣٥ ونبلوكم بالشر والخير فتنة)
- فتنة الابتداع : (٢٤ : ٦٣ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)
- فتنة الناس : (٢٥ : ٢٠ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة . . أتصبرون ؟)
- فتنة الإيذاء في الله : (٢٩ : ١٠ فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)
- فتنة الهزيمة : (٣٣ : ١٤ ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً) .
- فتنة العلم : (٣٩ : ٤٩ قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون)
- ـ وقد تكرر لفظ الفتنة في القرآن الكريم ٦٠ مرة ، وتكرر لفظ الابتلاء ٣٧ مرة ، أما لفظ الامتحان فلم يرد إلا مرتين .

ومن تتبع هذه الألفاظ الثلاثة ومشتقاتها علم أن المؤمن يعيش حياته في جو مليء بالفتن والابتلاء ؛ فإن صبر وصابر كان من الفائزين ، وإن جبن وانهزم خسر الدنيا والآخرة !!

٦ — وكان « الإمام أحمد » . وتلميذه شيخ الاسلام « ابن تيمية » من أوعى الناس لهذه المعانى الكبار ؛ ولهذا ثبتوا فى وجه « المحنة » حتى كتبوا بثباتهم أروع صفحات البطولة والفداء .

وأحمد بن حنبل هو الذى روى فى مسنده حديث سعد الذى يقول فيه : « سألت رسول الله ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟ فقال : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، ويبتلى الله الرجل على حسب دينه : فإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذلك ، وإن كان صلب الدين ابتلى على حسب ذلك ، وما يزال البلاء بالرجل حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » .

وقال البغوى : حدثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان بن عمر السكى ثنا عمرو ابن قيس السكونى ثنا عاصم بن حميد قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لم تروا إلا بلاء وفتنة ، ولن يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الأنفس إلا شحاً » . وقال معاذ : « لن تروا من الأئمة إلا غلظة ، وإن تروا أمراً يهولكم ويشتد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه » قال البغوى : سمعت أحمد يقول : اللهم رضنا ، ! !

٧ — وفى الصفحات التالية من هذا العدد والذى يليه — بمشيئة الله وحسن توفيقه — حديث عن « محنة الأحمدين » أرى فى عرضها تعريفاً بالرجلين وبجهادهما وصبرهما واستهانتهما بالعذاب فى سبيل الله وفى سبيل دينه .

وقصدى من هذا أن يكون لنا فى الرجلين أسوة ، وفى سيرتهما قدوة (٢ : ٥ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

* * *

١ — أحمد بن حنبل

[١٦٤ — ٢٤١ هـ]

٨ — من هذا الشيخ الأسمر الطوال الحسن الوجه .. الملقى على الأرض عارياً إلا مما يستر العورة ، تنهال عليه السياط فى قسوة وشراسة ، ولا يزيد على أن يقول : « بك أستغيث يا جبار السماء والأرض » ؟ ؟

إنه إمام السنة : أحمد بن حنبل الذى قال عنه الإمام الشافعى : (ما رأيت أعقل من أحمد ابن حنبل ، والذى قال عنه قتيبة وأبو حاتم : « إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة » ؛

٩ ـ م .. ما هذه الحشود التى اجتمعت حوله تتمتع بمرآه وهو يتلوى تحت وقع السياط ؟ !

إن الرجل صائم ، وفى العشر الأواخر من رمضان ، ولا يطيق كل هذا العذاب .. وإن عمره قد تخطى الخمسين .. وهذا هو الشيب قد وخطه ، وبدا فى مفرقه وفى لحيته على الرغم من الحناء التى يختضب بها .. ..

ولكن كل ذلك لا يبعث آثاره من رحمة فى قلوب جلاديه .. إنها قلوب قدت من صخر .. !

والجلاد الأعظم ـ أو أمير المؤمنين المعتصم ـ يهز الجلادين ويزجرهم قائلا : شدوا .. قطع الله أيديكم ! !

ويعترف أحد جلاديه واسمه ، شاباص التائب ، فيقول : « ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربتها فيلا لهدمته » .

ويعترف «شرطى» من الذين شاهدوا تعذيب الشيخ وربما شاركوا فيه واسمه إبراهيم ابن مصعب» يقول : «ما رأيت أحداً دخل على السلطان ، أو خالط الملوك أثبت قلبا من أحمد يومئذ ، ما نحن فى عينيه إلا كأمثال الذباب » ! !

يالله .. يالله .. كل هؤلاء الجلادين ، وما لهم من صولة وسطوة ، واستبداد وتحكم ، وقوة وبطش .. لا يزيدون فى نظر الشيخ عن « الذباب » ! !

١٠ ـ لقد كانت صور البطولات والفداء تملأ خياله وعقله ووعيه ولا تغيب عنه لحظة واحدة ، كان يرى فى قصص الأنبياء وأتباعهم زاداً روحيا لا ينفد بل .. ربما فيض الله له من الناس من يزيده ثباتا ، وصبرهم صبراً ، فهذا لص قاتك يلقاه ، ويقول له : لقد جاهدت فى سبيل الشيطان ، فجاهد أنت فى سبيل الرحمن .

يقول إبنه عبد الله كنت كثيراً ما أسمع والدى يقول : «رحم الله أبا الهيثم ، غفر الله لأبى الهيثم ، عفا الله عن أبى الهيثم » فقلت : يا أبت من أبو الهيثم ؟ فقال : لما خرجت إلى السياط ، ومددت يدى للعقابين إذا انا بشاب يجذب ثوبى من ورائى ، ويقول : تعرفنى ؟ قلت : لا قال : أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين أنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط فى عقوبات متفرقة ، وصبرت على ذلك فى طاعة الشيطان لأجل الدنيا ، فاصبر أنت على طاعة الرحمن لأجل الآخرة والدين » .

١١ — لكن: لماذا ياترى يتبارى جلادوه فى تعذيبه والتنكيل به ؟ وأى جناية جناها ، وأى ذنب اقترفه ؟

يقول مؤرخو حياته : إن سبب محنته أنه وقف كالطود العظيم فى وجه الطوفان الوافد، والفلسفات المستوردة ، وكان أمراء المؤمنين لذلك الوقت — المأمون ، والمعتصم ، والواثق — قد فتنوا بالفلسفة اليونانية عموما ، وبالمنطق (الأرسطى) خصوصا ، وأطلقوا على (أرسطو) للعلم الأول !! وحكموا قواعده فى آيات الله ، وأحاديث رسوله ﷺ ، ونادوا بالمواءمة بين ماجاء عن الله وماجاء عن (ارسطو) ولو كان ذلك بتأويل صريح القرآن وصحيح السنة !!

ويرفض (أحمد بن حنبل) بسالة ان يدين بدين ملوك عصره ، وثار فى وجوههم منادياً بالويل والثبور وعظائم الأمور !

واحمد بن حنبل رجل وديع هادىء ليس من طبيعته الثورة او الغضب ؛ ولكن ماذا يفعل وقد انتهكت حرمات الله وحرمات دينه؟

رياسة التحرير — ترجو من الأستاذ جميل الاستمرار فى هذا الباب فإن تراجم الرجال هى بمثابة منارات على الطريق يتخذ المجاهدون منهم قدوة طيبة فى الصبر على الأذى واحتمال المكروه ابتغاء مرضاة الله .

لك الله ياسادات

نقرأ أن الرئيس السادات طار إلى السعودية ومنها إلى باكستان لحضور مؤتمر القمة الإسلامى ثم يزور الهند وهو فى عودته إلى وطنه ويتوقف فى داكا بنجلاديش حيث يجتمع مع الشيخ مجيب الرحمن رئيس الوزراء ثم يعود فيتوقف مرة أخرى فى مطار الدوحة للاجتماع بالشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر: ففيم كل هذا التعب وماهو الدافع لتحمل هذا الكد والنصب — الحق والحق أقول إن الله أفاء على مصر بعد حرمان مرير برجل من خيرة أبنائها يحسب التعب فى سبيل وطنه راحة ويرى الكد والجهد لصالح بلده متعة ، ويحس بأن الحرمان من أجل المسلمين والعرب عطاء أجزل ما يكون العطاء — تحية لك من أنصار السنة ياسادات، ودعوة طيبة لك على جهدك وتعبك وحرمانك من الراحة .

الله معـــــك

رئيس التحرير

أولئك آبائى :

محنة الأحمدين

- ٢ -

أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١ هـ]

أحمد بن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ]

بقلم : الأستاذ محمد جميل غازى

يقول أبو معمر القطيعى : « لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة ، وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل قد أحضر ، وكان رجلا ليناً ، فلما رأى الناس يستجيبون لما يطلب منهم من الإقرار بخلق القرآن ، انتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه ، وذهب ذلك اللين الذى كان فيه ، فقلت : إنه قد غضب لله عز وجل » .

نعم . . إنه غضب لله عز وجل ، واستحال إلى أسد هصور .. غضب لتلك الدعوى المغلوطة التى أشاعها ملوك عصره ، ودعوا الناس إلى اعتناقها والقول بها ، دعوى (خلق القرآن) ..

ولا يرضى - موقف أحمد - سدنة الفلسفة اليونانية وكهنتها من المعتزلة ومن على شاكلتهم ، وبخاصة الوزير محمد بن عبد الملك الزيات والقاضى ابن أبى دواد والداعية بشر المريسى ؛ فيتآمرون به ، ويطلبون إلى المعتصم أن يقتله حتى يخلو لهم الجو فينطلقون بحملتهم فى كل سبيل بدون راد ولا صاد - قائلين : (اقتله حتى نستريح منه ، إنه كافر مضل) !

ويقول لهم المعتصم : (إنى عاهدت أن لا أقتله بسيف ، وأن لا آمر بقتله بسيف) !

فيقولون له : (إضربه بالسياط حتى الموت)

وتعجب المكيدة للمعتصم ؛ فيحضر الجلادين ، ويسأل أحدهم :

(بكم سوط تقتله ؟)

فيجيب : (بعشرة) !

فيعطيه المعتصم إشارة البدء . . !

ويستمر الجلادون فيما وكل إليهم من عمل .. ويغمى على الإمام مرات كثيرة ؛ ويحدثنا الإمام نفسه عن إحدى مرات هذا الإغماء فيقول :

(واشتد الضرب على ، فذهب عقلي ، فلما أفقت ، قال رجل ممن حضر ، إنا كببناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك حصيراً ، ودسناك ، فقلت له : ما شعرت بشيء من ذلك) !

ظلوا يضربونه .. ويضربونه - حتى كلوا ، وملوا ، وتعبوا - لعله يعلن تراجعه أو استسلامه ، ولكنه ما أبه ، ولا تخاذل ، على الرغم من قساوة التعذيب الذى صب عليه وضراوته .. ! وعلى الرغم من عنف الضرب الذى عاناه وابتلى به والذى ظل أثره بينا فى ظهره إلى أن توفى .. كما يقول ابنه (صالح) !

ومع هذا كله .. وبرغم هذا كله .. عفا عن جلاديه ، وعلى رأسهم المعتصم ، يقول ابنه عبدالله : قال أبى : « وجه إلى الواثق أن أجعل للمعتصم فى حل من ضربه إياى » فقلت : « ماخرجت من داره حتى جعلته فى حل ! »

١٣ — لقد استمرت « محنة الإمام » ثمانية وعشرين شهراً .. حتى جاء المتوكل عام ٢٣٢ هـ . . وكان رجلا معتدلا ، فخالف ما كان عليه أسلافه ونعى عليهم ما كانوا يقولون به من « خلق القرآن » ، وما كانوا يأخذون به من فلسفة اليونان . وقد استبشر الناس بولايته حتى قال قائلهم :

ذهبت دولة أصحاب البدع ... ووهى حبلهمو ثم انقطع
وتداعى بانصرام شملهم ... حزب إبليس الذى كان جمع
هل لهم ياقوم فى بدعتهم ... من فقيه أو إمام متبع

١٤ — أما الثلاثة الذين حرضوا على الإمام ، فقد كان عاقبة أمرهم خسراً .. فالذى تولى كبره منهم : الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقد وضعه المتوكل فى (تنور) إلى أن مات سنة ٢٣٣ هـ .

وأما القاضى أحمد بن أبى دواد فقد مات بالفالج سنة ٢٤٠ هـ بعد أن صودرت جميع أملاكه .

وأما بشر المريسى فقد مات من قبل سنة ٢١٩ هـ

وأما باقى جلاديه .. فهذا خبر واحد منهم : قال عمران بن موسى « دخلت على أبى العروق الجلاد الذى ضرب أحمد لأنظر إليه فمكث خمساً وأربعين يوماً ينبح كما ينبح الكلب » .

١٥ — ولما تولى « المتوكل » لقى منه « أحمد » كل إعزاز وإكرام وحب ، واستمع

إلى المتوكل يقول لأحد الذين صلوا على أحمد بن حنبل واسمه : «محمد بن عبد الله بن طاهر» ـ «طوبى لك صليت على أحمد بن حنبل» !

* * *

١٦ ـ بقي علينا أن نقف وقفة قصيرة نعرف فيها بدعوى «خلق القرآن» ورأى «أحمد بن حنبل» فيها

والحق أن قول أحمد في هذه الدعوى هو قول السلف جميعاً ..

يقول مالك بن أنس «من يقول القرآن مخلوق هو عندي كافر فاقتلوه»

ويقول وكيع : «القرآن كلام الله ليس بمخلوق فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر بالله العظيم» .

وقال أبو يوسف القاضي «كنت أنا وأبو حنيفة سنة في أن القرآن مخلوق أم لا ؟ فاتفق رأيه ورأيي : على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر»

وقال الربيع : «لما كلم الشافعي حفص الفرد ، فقال حفص : القرآن مخلوق ، قال الشافعي : كفرت بالله العظيم» .

وقال : «سمعت البويطي يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر : قال الله تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فأخبر الله تعالى أنه يخلق الخلق «بكن» فمن زعم أن «كن» مخلوقة ، فقد زعم أن الله تعالى يخلق الخلق بمخلوق» .

تلك طائفة من أقوال السلف ، وهذا قول أحمد رضي الله عنه أما ما نسبه بعض من لا تثبت عندهم إلى أحمد من أنه يقول

إن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي . فقد قال ابن تيمية :

«بل ذلك كذب مفترى ، ولم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين ، بل كان أحمد بن حنبل يقول : اللفظ محدث والمحدث هو المخلوق» (٥٠ ـ ١٨ ـ ملخص من قول إلا لديه رقيب عتيد ا هـ ، ونقص كلام الآدمي

١ ـ قالوا لى : أنت متهم بتمييع المواقف ، فهل هذا صحيح ؟

بقلم الأستاذ
محمد جميل غازى

• الذين عرفونى ، وعرفوا منهجى فى « الدعوة إلى الله » يعلمون أننى لا أشغل نفسى ولا أشغل الناس ، بالمهاترات ، ولا بالمتاهات . . . !

وليس مرجع ذلك — كما يتوهم بعض قصار النظر — إلى جبن أو خوف أو تردد ، إنما مرده إلى أن الداعية ينبغى أن يشغل نفسه بالأهم فالمهم . . .

ولا شك أن أهم القضايا التى تفرض نفسها على الداعية المسلم اليوم هى قضايا « الإيمان » و « التوحيد » و « الاتباع » . . .

• لهذا ، جندت نفسى ، وجهدى ، ووقتى . . . لهذه القضايا التى تشغل فكر « المسلم فى القرن العشرين » ، وتلح عليه .

وليس هذا بالعمل الهين أو اليسير ، كما قد يتصور البعض ، إنما هو عمل شاق ، يحتاج إلى إرادة صادقة ، وعزم قوى ، وإيمان متين . . .

ألم يقل إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل : « لأن أزيل جبلا من مكانه أهون على من أن أزيل بدعة ابتدعها الناس » ! !

فليعلم الذين شغلوا بالفاء « الاتهامات » و « الشبهات » جزافاً ، وبلا حساب : أننى شغلت نفسى ، بغير ما شغلوا به أنفسهم . . (ولكل وجهة هو موليها) ! !

° ° °

• ولابد من الأول :

حينما ظهرت بادرة الاختلاف حول « دواوين السنة » . . . وقال كل فريق قولا ، ونحا نحواً . . . لم أشأ أن أقحم نفسى فى هذه الفتنة . . . أو بعبارة أصح فى « تلك المتاهة » . . .

واتخذت لنفسى موقفاً بعيداً عن « دائرة » الخلاف . . .

وربما لأننى فهمت أننى « بالموقف المعتدل » يمكننى أن أعمل شيئاً من أجل توحيد وجهات النظر . . .

• ثم يلى : الموقف المعتدل ، هو « الموقف المائع » كما تصوره البعض، وصوره..
فلقد أعلنت منذ « اللحظة الأولى » لكلا الطرفين . رأيى فى « دواوين السنة »، مركزاً على نقطتين هامتين :

النقطة الأولى : أن الطعن فى رواية البخارى — وهى أصدق روايات الحديث على الإطلاق — طعن فى الإسلام ، وتاريخه . ورجاله . ومبادئه . . . بل طعن فى القرآن الكريم نفسه ! !

النقطة الثانية : أن الطعن فى رواية البخارى - وهى أصدق روايات الحديث على الإطلاق - طعن فى كثير من أدلة التوحيد . . الذى ننادى به ، وندعو إليه . ونجاهد فى سبيله . . .

• لقد قلت هذا الكلام لكلا الطرفين . وناديت بهذه المبادىء ، فى وقت ما كنت أتصور ولا أعقل أن يخرج على الناس كتاب (سودت صفحاته التى تعد بالمئات) فيه تنديد بالبخارى . ومهاجمة للصحابة ! !

وما كنت أتصور ولا أعقل أن يكون لهذا الكتاب مؤيدون . وأن يعيش فى ظلاله دعاة . . .

فلما صدر هذا الكتاب ، . . .

وتجمع حوله الدعاة . . . .

تحول الموضوع فى تصورى وتقديرى من « قضية جانبية » إلى « قضية أساسية » . . بل إلى « قضية كبرى » ؛ ينبغى أن يهتم بها الداعية وأن يحذر الناس من شرها وضررها . . . !

• ولهذا ؛ كان لا بد لى أن أكتب فى هذا الموضوع ، وأخطب . . وكان لا بد لى من أن أدخل دائرة « الخلاف » ، لأقول كلمة « إنصاف » . .

إن القضية لم تعد « قضية توقف بالنسبة لبعض الأحاديث كما كنت أتصورها . . . ! إنما أصبحت « قضية شطب » لسائر الأحاديث . وفرق بين التوقف والشطب . . !

(فالتوقف) إيمان . . .
(والشطب) زندقة . . .

من الممكن أن (يتوقف) بعض الناس ، بالنسبة لبعض الأحاديث ، حتى يشرحها الله لصدورهم ، أو يشرح صدورهم لها . .

لكنه ليس من الممكن ولا من المستساغ أن نقدم (بجرأة الشيطان) (فنشطب) ما أقره الأئمة ، و (تنفى) ما أثبتته الأمة . . . بجرة قلم ! !

وليس من (المعقول) ولا من (المقبول) أن نلغى من اعتبارنا ، دواوين الحديث ، وعلوم السنة . . . التى بناها وأقامها (جمهرة صالحة) من سلف الأمة ، . . . ! !

تلك لعمرى قاصمه الظهر !

فاذا كنا - اليوم - قد شطبنا مائه وعشرين حديثاً ، فمن يدرينا كم . . وكم . . من الأحاديث « سنشطبها » غداً . . أو بعد غد . . ؟

وإذا كنا — اليوم — قد هاجمنا الصحابى الجليل أبا هريرة . . ورميناه بكل مايعيب ويريب . . فمن يدرينا . . كم . . وكم من الصحابه ستهاجم غداً . . أو بعد غد . . ؟

وإذا كنا — اليوم — قد نصبنا « طه حسين » عميداً للأدب العربى ، وإماماً للفكر الإسلامى المعاصر . . فمن يدرينا . . كم . . وكم من العمداء والأئمه سنصبهم غداً . . أو بعد غد . . ؟

* * *

• وقبل أن « أرفع » القلم . . عن هذا المقال القصير . . أحب أن « أضع » بعض الأسئلة بين يدى الذين قاموا بهذا العمل « المشكور » أو (الكفور) . . ألا وهو (تنزيه البخارى من الإسرائيليات) ! !

أولا : ما هو (الأساس العلمى المحدد) الذى يمكننا به أن نميز بين الحديث « الإسرائيلى » والحديث « اللا إسرائيلى » ! ؟

و . . ثانيا : إذا قلتم إن العقل وحده هو الأساس و « الفيصل » قلنا لكم . فما رأيكم فى الأحاديث « الضعيفه » و « الموضوعه » هل نقول فيها بالعقل أيضا ، فنثبت ما أثبته ونقوى ما قواه ، وننفى ما نفاه ؟ ؟

وثالثاً : وإذا قلتم إن العقل وحده هو الأساس و « الفيصل » فما رأيكم فى آيات القرآن وسوره ، وترتيب هذه الآيات فى تلك السور ، هل نخضعها - هى الاخرى - لحكم العقل ؟

ورابعاً : أى عقل تقصدون ؟ . . . وعقل من ستحكمون ؟ . . .

وما الفرق بين « العقل » عندكم . . و « العقل » عند المتكلمين . . و « العقل » عند الفلاسفة . . .

ثم ما الفرق بين « العقل » عندكم . . و « الذوق » عند الصوفية . .

وخامساً : لقد كان « المستشرقون » و « المستغربون » أكثر جرأة وصراحة منكم إذ حكموا العقل « فى القرآن » و « السنة » معاً . . .

وأنتم - اليوم - تحكمون العقل فى السنة وحدها ، فلماذا تؤمنون ببعض حديثهم وتكفرون ببعض ؟

وسادساً : ما رأيكم - دام فضلكم - فيما لو اختلفت العقول ، وتباعدت وجهات النظر حول حديث من الأحاديث ، فوجدنا بعض العقول تنفيه ، وبعض العقول تثبته . . فبأى (قاعدة) نحكم بينها ؟

علماً بأن (العقول) كثيراً ما تختلف فى أمور الدنيا ، فضلا عن أمور الدين ! ؟

وسابعاً . قد تقولون : القرآن هو الحكم : فما وافقه فهو الحق الذى لاشك فيه . وما عارضه فهو الباطل الذى لا شك فيه . . .

ولكن ، قولوا لى : مارأيكم فى الحديث إذا وافق القرآن . ولكن لم يقتنع به العقل عقلى ، أو عقل واحد من الناس - ! !

وقولوا لى . ما رأيكم فى الحديث إذا أفاد معنى ليس فى القرآن ، هل نحن ملزمون به ، أو غير ملزمين ، وما هو مصدر (قوة الإلزام) . . . علماً بأن (دواوين) السنة - كلها وعلى رأسها البخارى ، قد دخلها الاحتمال ، فبطل بها الاستدلال . . . ؟

وثامناً . ومارأيكم - دام فضلكم - فى الأمور التعبدية ، . . ماذا وراءها من حكمة ؟

ثم . . لماذا لا تكونون أكثر (صراحة) وأدق (منطقاً) فتنفون هذه (الأمور التعبديه) و (السنة) عموماً . . . كما نفاها من قبلكم (محمد نجيب متولى) وجماعته (أنصار القرآن) ! !

وتاسعاً . ألا ننتظر - منكم ، أو من غيركم - كتاباً آخر ، يضيف مجموعه أحاديث (إسرائيليه) (لاعقلية) أخرى . . حتى تكون (النظرة) إلى كتب الحديث . . (نظرة شمولية) ؟

وعاشراً . ألا ننتظر كتاباً (آخر) ، يضاف إلى هذا الكتاب (الأول) تحذرون فيه من (آيات إسرائيليه) ، وقعت فى القرآن الكريم ؟ ؟

تلك (عشرة) أسئلة (كاملة) . . .

وما زال فى النفس تساؤلات . . وتساؤلات . . . ؟

٢ ـ قالوا لى : انت متهم بالتناقض

فهل هذا صحيح ؟

بقلم الأستاذ

محمد جميل غازى

أخطأت ... وأخطأت ... وأخطأت ثلاث مرات !!!

• أخطأت ـ أولا ـ : لأن أحد الإخوة الأعزاء جداً ، أهدى إلى « كتاباً ما » .. فكتبت إليه « أشكره » ... !

أليس من حقه أن أشكره ؟

ثم ... لما قرأت الكتاب ، وبدا لى ما فيه من شر ، وكفر ، وضلال ... كتبت إليه مرة أخرى « أنقد » الكتاب ، .. و « أحذر » من إشاعته بين الناس ...

أليس من حق أن أنقده ؟

ولكن « الأخ العزيز جداً » ـ سامحه الله ! ـ اعتبر تصرفى هذا : « نفاقاً » و « شقاقاً » و « تناقضاً » ... أو كما قال ... !

• وأخطأت ـ ثانياً ـ : لأننى استجبت « للأخ العزيز جداً » ، حينما كتب إلى يدعونى إلى أن أعلن الحق ، وأن أجهر به ، وأن لا أخشى فيه لومة لائم !!

فلما أعلنت الحق الذى أعلنه ، وكتبت به ، وخطبت فيه ، مبينا للناس خطر هذا الكتاب الذى ظهر ، وضرره على الإسلام وعلى المسلمين ...

غضب ، وعتب ... ونادى بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ... ! و .. سامحه الله .. مرة أخرى !!

فما كنت أحسب أن كلمة الحق تغضب إلى هذا الحد ... !!

وقد كنت نسيت ، أو أنسيت أن أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ! ـ قال : ما ترك الحق صديقاً لعمر !!

• وأخطأت ـ ثالثاً ـ : لأنى لم أفهم أنى أخطأت ، ولا كيف أخطأت ، ولا متى أخطأت ، ولا فيم أخطأت ...

* * *

معذرة ـ يا سادة ...

واسمحوا لى أن أستمر !!

حق المؤلف ، وحق القارئ :

• إذا كان من « حق المؤلف » أن يكتب مايشاء ، فان من « حق القارئ » أن يقرأ مايشاء ... !!

• وإذا كان من « حق المؤلف » أن يغزو بأفكاره قلوب الجماهير ، وأن يختار الأسلوب الذى يرتضيه لهذا « الغزو » ، فان من « حق القارئ » أن يحسن كيانه ، وكيان أمته ضد أى « غزو » ضار مدمر ، فيقرأ - باكبار - مايمنعه ، ويرفض - باصرار - مايضره !!

• وإذا كان من « حق المؤلف » أن يغضب ويثور إذا وضع فكره « تحت الوصاية » فان من « حق القارئ » أن يغضب ويثور إذا وضع فكره « تحت الوصاية » ...!

• وإذا كان من « حق المؤلف » أن يؤلف فى حرية وتجرد ، فان من « حق القارئ » أن يقرأ فى حرية وتجرد .. !

• وإذا كان من « حق المؤلف » أن يخدم بكتاباته أمته ، فان من « حق القارئ » أن يخدم بقراءاته أمته ... !

• وإذا « نزا » القلم فى يد المؤلف ، وتحول إلى معول هدام للدين والخلق والقيم والتراث .. فان من حق القارئ أن يصده ويرده ويقول له مايقوله « رجل الأمن » لمن تحوم حوله شبهة : قف من أنت ؟

• وإذا تحول المؤلف إلى مغامر متاجر « بعقليات الجماهير » فان من « حق القارئ » - أى قارئ - أن يقومه : ويقاومه !!

• وإذا كان من « واجب المؤلف » أن يكتب فيما يهم ويفيد ، فان من « واجب القارئ » أن يقرأ مايهم ويفيد ..

• وإذا كان من « واجب المؤلف » أن يسأل نفسه وهو مقدم على تأليف كتاب :

- لماذا أؤلف هذا الكتاب ؟

فان من حق القارئ أن يسأل نفسه وهو مقدم ، على قراءة كتاب :

- لماذا أقرأ هذا الكتاب ؟

• وإذا « أعجب كل ذى رأى برأيه » :

فانتا حينئذ « ننتظر الساعة » !!

بين المنهج العلمى .. و « البلطجة » العلمية :

هذه عشر حقائق مقررة .. أو ينبغى أن تكون مقررة بين المؤلفين والقراء .. على السواء !!

ولكن بعض المؤلفين - وكثير منهم - لا يلتزمون بهذه المقررات ، ولا تعنيهم ، وإنما يواجهونها « بهزة كتف » !!

وكذلك بعض القراء .. يقرأون كل ما يقع تحت أيديهم من كتب ، لا يفرقون بين غث وثمين ، ولا بين نافع وضار ، ولا بين رفيع ووضيع !

وتلك « أزمة ثقافية » نعانى منها ، وينبغى أن ننتبه لها . بالمكافحة والمقاومة حتى لا تزول كياننا ، وتراثنا ، ومثلنا ..

إن علينا أن نواجه الكتاب جميعاً - حيث كانوا من أرض الله - بهذا الشعار الواضح المحدد :

إن هناك فرقاً بين « المنهج العلمى » و « البلطجة العلمية » ..

فالمنهج العلمى أسسه ، ومسلماته ، ونتائجه ..

أما « البلطجة العلمية » فهى عشوائيات ، مدمرة ، .. و « دوامات » لا تستقر إلى قرار ، ومتاهات لا أصول لها ولا قواعد !

* * *

[وسنرى فى هذا المقال - وفى مقالات تأتى - أن ما كتبه « صاحب الإسرائيليات » فى إسرائيلياته .. من قبيل « البلطجة العلمية » وليس له من « المنهجية العلمية » نصيب .. أى نصيب !!]

* * *

علامات استفهام :

وبعد : فهل يسمح لى « كاتب الإسرائيليات » أن أتقدم إليه بهذه الأسئلة العشرة .. !!

السؤال الأول : الحساب من ينظم هذا « الوصف المدنس » ضد البخارى ، وغيره من كتب السنة ؟

السؤال الثانى : هل فكرت قبل أن تبدأ :

— من أين أبدأ ؟

— وإلى أين أنتهى ؟

— ولماذا هذا التوقف ؟

— وما جدواه ؟

السؤال الثالث : أيمكن تنادى « بتحكيم العقل » — أو هكذا يريدون — قبل أن تخرج على الناس بما خرجت به ؟

السؤال الرابع : أصالح من يفرق الصف الواحد ، ويعمى الهدف الواضح ، ويبدد الجهد العظيم !!

السؤال الخامس : أحساب من تحول « المنابر والمساجد » إلى مثابة تقذف ، وساحة تشتم ، ومجال اتهام وإجرام .. ؟

أحساب من ... ؟

السؤال السادس : أتعنى تقول : أحساب السنة .. ؟

ياقه .. أحساب السنة ... تهدم السنة ؟

السؤال السابع : لقد ثار بعض أنصارك على ذات يوم حينما نقدت — عالماً من المتأخرين المعاصرين ، واعتبروا تصرفى هذا . [زلة ، تخرج من الملة] !!

فكيف ساغ لكم ، ولهم اليوم ، أن تهاجموا الصحابة بلا حياء ، وتقذفوا البخارى بكل اجتراء !!؟

السؤال الثامن : هل سألت نفسك . أو سألك الآخرون ، أى باب من أبواب الفتنة فتحت ، وفى أى متاهة من متاهات الضلال ألقيت بنفسك وبالآخرين ... ؟

أم أنك غارق حتى أذنيك فى شهوة التعصب ، ونزوة الغضب ... !!

السؤال التاسع : ألم يخطر ببالك .. وأنت تملك بقلبك ... أن تسأل نفسك :

— من أنا ومن أكون ؟

وأين أنا ، من أبى هريرة ، والبخارى ، ؟!

السؤال العاشر : هل تسمح لى بسطر واحد أو بسطرين أقول فيهما رأيى فى كتابك بصراحة :

إنه ثروة عربية ، وجهد دفين ، طال عليه الأمد ، فتحول إلى مرض مزمن وطوفان غادر هادر مدمر ، يريد أن يجتاح القيم ، ويجرف التراث !!

ولكن :

ياصديقى القديم .. هون عليك ...

فأنت لن تبلغ بكتابك ، إلا ما يبلغه النمل من أوكان « شهلان » ، أو مايبلغه الوعل من كيان الصخرة الشماء .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

* * *

وأخيراً ، وليس آخراً .

« الفتنة نائمة . . . . . والحديث بقية » .

الشيخ سعيد العمودى

وصل إلى مصر ـ الشيخ سعيد العمودى من كبار تجار جدة ومن الأخوة الموحدين المعدودين بالمملكة العربيه السعودية. والمركز العام يرحب به ويدعو له بالتوفيق والسداد.

اعلان هام جداً

نرجو من الإخوة المشتركين والمتعاملين مع الجلة أن تكون مكاتباتهم وحوالاتهم المالية باسم فضيلة رئيس التحرير الأستاذ محمد عبد المجيد الشافعى وألا يكون شىء من ذلك بأى اسم آخر

٣ - [الجملة المفيدة] أولا!!..

[إلى الذى ألف كتاباً من أربعمائة صفحة قبل أن يجيد تأليف الجملة المفيدة]

لو أن [أبا ريا] حى بيننا يرزق .. ؛ ثم قرأ - كما قرأنا - كتاب: [الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية و وتطهير البخارى منها] ذلك الذى ألفه : [أحد جنود البحرية المتقاعدين] ؛ لخف مسرعاً إلى أقرب « دار للقضاء » يطلب محاكمة « المؤلف » بتهمتين :

الأولى : سرقة كتابه : [أضواء على السنة المحمدية]

الثانية : تشويه هذا الكتاب بأخطاء إملائية ونحوية ... يتنزه عنها صغار التلاميذ ، فضلا عن كبار الباحثين الذين يتصدون لنقد البخارى . وغيره من دواوين السنة !!

• وقبل أن أبدأ فى استعراض نماذج من هذه الأخطاء ، أحب أن أريك رأى المؤلف فى نفسه ؛ لترى إلى أى حد بلغ به الادعاء .

يقول فى [ص ٦] من كتابه ، معلما الآخرين ، كيف يتعلمون ويتثقفون ، كما تعلم هو وتثقف ، حتى يتحولوا - بقدرة قادر - إلى كتاب ومؤلفين ، كما تحول هو - دون أن يدرى - إلى كاتب ومؤلف .

يقول : [ولهذا أقول لأخى فى الله ، وصديقى على درب الموحدين : إنى أهديك نصيحة صادقة ، هى أنك لو أردت العلم الدينى فما عليك إلا أن تتقى الله ، وتأخذ بأسباب التحصيل اطلاعا طويلا ، مرتكزاً على القاعدة القرآنية ، والسنة الصحيحة ، وبالصبر الجميل على طريق الاطلاع سوف تكون عالماً واعياً ولا ينبئك مثل خبير] .

أرأيت ؟

هذا هو « كاتب الإسرائيليات »

ـ أراد العلم الدينى ، فناله ، بالتقوى ، والتحصيل ، والاطلاع الطويل ، المرتكز على القاعدة القرآنية ، والسنة الصحيحة ، ...

وهكذا ؛ بالصبر الجميل على طريق الاطلاع تحول إلى عالم واع .. وإلى خبير.. أيضاً ؟

ورحم الله الذى قال: « اللهم لا تذقنى طعم نفسى ؛ لأنى لو ذقتها فلن أذوق خيراً أبداً » ...

• وأمال معى ـ ياعزيزى القارئ ـ نستعرض نماذج من الأخطاء اللغوية التى سقط فى بؤرتها ؛ العالم الواعى الخبير ، « كاتب الإسرائيليات » .

وأعدك ، وأعده ؛

١ ـ بأننا سنقدم نماذج من الأخطاء التى وقعت فى الصفحات الخمسين الأولى ؛ فقط !

٢ ـ وبأننا سنكتفى بعرض الأخطاء الخاصة بالفاعل، والمفعول به ، والمبتدأ، والخبر، والنواسخ ، أو بعبارة مختصرة [الأخطاء التى ينبغى أن يتقيها تلاميذ المرحلة الأولى]

٣ ـ وسأضرب صفحاً عن الأخطاء الكبيرة [الأخطاء التى ينبغى أن يتقيها تلاميذ المرحلة الإعدادية] مثل: كسر همزة (إن) وفتحها، وتعدى الفعل ولزومه ، وما إلى ذلك.

٤ ـ وسأضرب صفحاً ـ كذلك ـ عن الأخطاء المطبعية التى وقعت فى ثنايا الكتاب وانتشرت بين صفحاته وسطوره .

. . .

فى صفحة ٧ ، ١٣ قال : [وصلى(١) اللهم على نبيك]

وفى صفحة ٨ قال : [لم يفرض علينا شرط(٢)]

وفى صفحة ١٣ قال : [المهمة التى فرضها الله على أيدى(٣) مؤمنة]

وفى صفحة ١٥ قال : [حتى يعلمون(٤) مافيه]

---

(١) الصحيح صل ؛ فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة .

(٢) شرطا ؛ مفعول به منصوب بالفتحة

(٣) أيد ؛ وفعل إعلال فاض

(٤) يعلموا ؛ منصوب بحذف النون ؛ لأنه من الأفعال الخمسة .

وفى صفحة ١٨ قال : [والشافعية لم يجتمعون (١)]

وفى صفحة ١٨ أيضا قال : [ماعات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأباذر (٢)]

وفى صفحة ٢٠ قال : [ولو أنك تصفحت البخارى ومسلم (٣)]

وفى صفحة ٢٣ قال : [وقد روى للتابعين (٤)]

وفى صفحة ٢٧ قال : [ونقول للعقلاء من المؤمنين بالله ورسوله هذه أربع روايات فى موضوع واحد ، ومنها روايتين (٥) فى كتابه مسلم ، وكلهم مختلفين (٦) اختلافاً واضحا]

وفى صفحة ٢٧ أيضا ، قال : [أو فهما أعطيه رجلا مسلماً (٧)]

وفى صفحة ٢٨ قال : [إلا فهماً يعطى (٨) رجل فى كتابه]

وفى صفحة ٢٨ ، ٢٩ قال : [لايقبل الله منه صرف ولاعدل (٩)]

وفى صفحة ٣٢ قال : [بمعانى نصوصها مفتوحة للناقلين (١٠)]

---

(١) الصحيح : لم يجتمعوا ؛ مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة .

(٢) « أبى الدرداء وأبى ذر ، لأنهما معطوفان على المجرور

(٣) « ومسلماً ؛ لأنه معطوف على المفعول به

(٤) « التابعون ؛ فاعل مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم .

(٥) « روايتان ؛ مبتدأ مرفوع بالألف . لأنه مثنى .

(٦) « مختلفون ؛ جمع مذكر مرفوع بالواو ويقال [وكلها مختلفة]

(٧) « رجل مسلم ؛ وجل ؛ نائب فاعل (أعطى) ومسلم ، نعت له .

(٨) « الصحيح : رجلا ؛ مفعول ليعطى

(٩) « صرفاً ولا عدلا ، مفعول به ، ومعطوف عليه

(١٠) « بمعان ؛ أعلت إعلال قاض

وفى صفحة ٣٧ قال : [ممن لم يرجون(١) لله وقاراً]

وفى صفحة ٣٩ قال : [إلى هنا ينتهى كلام المستشرقون(٢) فى دائرة المعارف]

وفى صفحة ٤٠ قال : [مع أن دينهم لم يعادى(٣) شيئاً كما عادا(٤) الخلاف]

وفى صفحة ٤٢ قال : [وحتى يكونون(٥) مرجعاً]

وفى صفحة ٤٥ قال : [ولم يكن معاوية كاتب(٦) للوحى]

وفى صفحة ٤٧ قال : [وإذا حدثتم عنى حديث (٧) تنكرونه]

وفى صفحة ٤٩ قال : [سيف بن عمر كان كذاب (٨)]

وفى صفحة ٤٩ أيضاً قال : [ذكر المحققون أموراً كلية يعرف بها أن الحديث حديثاً(٩) موضوعا (١٠)]

وفى صفحة ٥٢ قال : [أسباب الدس هى كراهيـة الإسرائيليون (١١) للاسلام والمسلمين]

• • •

• وبعد ؛ فهذه بعض أخطائه اللغوية . أخطاء « صاحب الإسرائيليات » ، ومن يدرينا لعلها ليست بأخطاء ، وإنما هى محاولة منه ، لتعديل « النحو العربى » ، حتى يتفق — هو الآخر — مع العقل والمنطق ، فقد تكون أصابع الإسرائيليين عبثت بأصول « النحو » وقواعده ، كما عبثت بأصول « الحديث » وقواعده . .

محمد جميل غازى

---

(١) الصحيح : يرجوا ؛ فعل مضارع من الأفعال الخمسة مجزوم بحذف النون

(٢) « المستشرقين ؛ مضاف إليه مجرور بالياء ؛ لأنه جمع مذكر سالم

(٣) « يعاد ؛ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة

(٤) « عادى ؛ الألف رابعة فترسم ياء

(٥) « يكونوا ؛ منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة

(٦) « كاتبا ؛ خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة

(٧) « حديثا ؛ لأنه مفعول به

(٨) « كذاباً ، لأنه خبر كان

(٩) « حديث ؛ خبر إن

(١٠) « موضوع ؛ نعت لخبر إن

(١١) « الاسرائيليين ، لأنه مضاف إليه مجرور بالياء

السنة والتراث
بين التجديد والتبديد !

« ومؤلف الإسرائيليات » يحاول إلغاء السنة والتراث جميعاً ، بدعوى التطور والتحرر والتجديد ، وما إليها من ألفاظ براقة خلابة خادعة ، فتن بها كثير من كتّاب هذا العصر ومؤلفيه ...

ولسنا نمانع فى استعمال هذه الألفاظ ، وإنما نطالب بضرورة التأنى والتثبت فى « تحديد مفهومها » حتى تكون واضحة الهدف ، بينة الدلالة ... وحتى لاتكون أداة هدم لأركان الدين ، فى أيدى العابثين .

إن استعمال هذه الألفاظ البراقة بلارويّة ، وإطلاق هذه الدعاوى العريضة بلابرهان ، هو الذى أوقع « كاتب الإسرائيليات » فيما وقع فيه من إسراف وانحراف ، وجعله يتورط فى بحث أمور علمية ليس من رجالها ، ولا من أهلها ....

ونعود إلى ما قال .... ونعوذ بالله من شرّ ما قال ....

كتب يقول فى صفحة ١٢ من كتابه :

[فإنه — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — لم يأمرهم بتدوين شىء اسمه الحديث ، خشية أن يصبح « كتاب الحديث » فى مكانه المنازع لكتاب الله بعد مضى السنين ، وتعاقب الزمن] .

وهو يقول فى صفحة ٥ :

[إن كل ما يأتينا من أخبار منسوبة إلى النبى وليس لها سند قرآنى ، إنما هى من وحى الخيال الخرافى الشارد ، أو الكيد الإسرائيلى اللعين ، وأن رسول الله ﷺ (١)

(١) عبارة « صلى الله عليه وسلم » كتبناها من عندنا ، وإلا فإن كاتب الاسرائيليات يضرب على أن يكتب بدلها الحرف (ص) اختصاراً ، مع أن كتابه قد بلغت صفحاته (٤٨٤) صفحة ، ملئت بالكلام الفارغ ! .

هو صاحب الساحة البريئة من تلك الأخبار ؛ لأنه لا يستطيع أن يضيف إلى كتاب الله شيئاً من عنده ، بعد أن ضرب الله للناس فيه من كل مثل ، وأكد تمامه بقوله: ما فرطنا في الكتاب من شيء] .

وهو يحدد هدفه من إخراج كتابه ، على هذا النحو ، فيقول في صفحة ٤ :

[القضاء على منازعة الحديث الباطل للقرآن الكريم ، وإبعاد كتب التحصيل والتخريج التي تحمل كلاماً يخالف المفاهيم القرآنية ، وحذفها من مستوى المعادلة لكتاب الله ، قبل أن يتقادم الزمن فينزل هذه الكتب من القرآن منازل الكتب المدينة لأي كتاب من كتب السماء السابقة ، والتي أقرها تقادم الزمن فتبوأت منازل التقديس] .

[الاستكشاف الفعلي الانحراف عقائد من سبقونا من أمم الدراويش . وجماعات التنسك الشكلي ، وأصحاب الدعاوى بخروج بشريتهم ، أو بشرية شيوخهم على سنن الله في خلقه ، ادعاء للكرامات المصطنعة ، وزعماً للمعجزات الخيالية التي ملأت المدونات الصفراء ، وليس لهم فيها من سند ولا أصل إلاّ أحاديث الخيال المفتراة على رسول الله ﷺ تلك التي استقرت في كتب الأحاديث المعتمدة لدى المسلمين ، بحسن القصد من الناشرين والمستظلين] .

وهو يقول - وما أبشع ما يقول - في صفحة ٥ :

[إن تقديس رجال الأسانيد هو التعبد المرفوض] .

وهو يقول في صفحة ٩ :

[وبذلك يصبح القرآن شفاء مجدياً لأمراض الصدور ، بعد أن تعطلت فاعليته في هذا الشفاء نتيجة لمزجه بمحلول وتركيبة الحديث الدخيل على كلام النبي] ثم ينقل عن شيخه « أبي ريا » في صفحة ١٨ :

[ومعنى ذلك أن القرآن هو البداية وهو النهاية ولا شيء سواه]

هذه نقول ، تخالف صريح المنقول ، وصحيح المعقول .

ولو تأملناها لوجدناها تقوم :

أولا : أن كتب الحديث ، تعتبر منازعة القرآن الكريم .

ثانياً : وأن هذه الكتب : من وحى الخيال الخراق الشارد ، أو الكيد الإسرائيلى اللعين .

ثالثاً : ضرورة إبعاد كتب التحصيل والتخريج الفنى .

رابعاً : الحكم بانحراف عقائد من سبقونا من أمم الدراويش ! !

خامساً : تقديس رجال الأسانيد ؛ تعبد مرفوض .

سادساً : القرآن معطل ؛ لأنه مزج بالحديث ! !

تلك هى مقررات « كاتب الإسرائيليات » التى حملتها إلينا مقدمة كتابه ويضحكنى ، قوله [قبل أن يتقادم الزمن فتنزل هذه الكتب من القرآن منازل الكتب العديدة] ! !

كأن الزمان لم يتقادم بعد على هذه الكتب ! !

كما يؤسفنى قوله : [وليس لهم فيها من سند ولا أصل إلا أحاديث الخيال للفقراة على رسول الله ﷺ تلك التى استقرت فى كتب الأحاديث للعتمدة لدى المسلمين ؟ فهى معتمدة لدى المسلمين] .

لكنها غير معتمدة لدى كاتب الإسرائيليات ! !

فإنا لله وإنا إليه راجعون ! !

وتذهلنى سخريته « بالمدونات الصفراء » . . موسوعات العلم والثقافة والحضارة ، التى بهرت العالم كله ، ولكن ماذا أقول ، وقد سبقنى القدماء فقالوا : « من جهل شيئاً عاداه » ! ! وقالوا : « والناس أعداء ماجهلوا » ! !

ونعود إلى قوله : [إن تقديس رجال الأسانيد هو التعبد المرفوض] ونتمهل قليلا ؛ لنتساءل :

— وهل حمل القرآن إلينا إلا هؤلاء الرجال ؟

وحينما نحدق طويلا فى هذا السؤال ونتدبره ، نخرج بالسر الكامن ، وراء هذا الكتاب ، ووراء مؤلفه !

إنه يريد أن يقول ، وقد قال :

إن الأمة الإسلامية ، منذ سلفها الصالح جماعة من الدراويش الضالين المضلين ! !

وهو يريد أن يقول ، وقد قال :

إن هذه الأمة مدعوة إلى إجراء عملية « اكتساح » لكل تراثها ، فى الأدب ، واللغة ، والتاريخ ، والحضارة ، والدين ، والحديث ، والقرآن . أيضاً ! !

لكنه لم يقل هذه الأخيرة صراحة .

وإن كان قد قالها ضمناً ، ودلت عليها عباراته ، وإشاراته ، وسطوره . . !

بل دل عليها التحذيق الطويل ، والتدبر للسؤال الذى طرحناه سلفاً !!

لقد كنت أتوقع أن أرى فى هذا الكتاب (منهجية ما) ، ولكننى لم أر فيه إلا عبارات مفككة ، وقضايا مبتورة ، ومقدمات غير مسلمة ، ونتائج ليس لها مقدمات ! ! .

كنت أنتظر أن يبدأ المؤلف ، فيناقش سؤالين ، هما :

أولا : ماهو الموقف العلمى المحدد مما سماه « كتب التحصيل والتخريج الفنى » تلك التى أقرها ، علماء المسلمين ، ودرسوها وشرحوها ، وبنوا ثقافتهم عليها عبر العصور؟

وثانياً : ماهو البديل لهذه الكتب . . حتى يقوم معياراً لنقد المنقول إلينا من شريعة ربنا ، وسنة نبينا ؟ !

والرجل ، لم يكلف نفسه مشقة مناقشة أىّ من السؤالين ، وإنما راح فى توتر عصبى ، وانفعال نفسى ، يسبّ ويلعن ، ويمحو ويثبت ، ويرفع ويخفض ، ويقرر ويدمّر ! ! ويبيض ويصفر ، كأن الجو قد خلا له ! !

وقد أراد بهذا كله أن يظهر فى صورة الرجل المتحرر المتطور المجدّد . .

ونسى أن هناك فرقاً بين التحرر ، والتحلل ، والتطوّر والتهور ، والتجديد والتبديد . . . !

ولكن ماذا يفعل ، وقد غام فى نظره كل شىء ، وماعاد يرى أى شىء ، حتى مفردات اللغة ! !

محمد جميل غازى

مهـــــر سجـــــاح

« على طريقة حذيفة »

• ثم زرت السودان مرة أخرى ...

ورأيت وجهه الطيب الوديع المشرق ...

والتقيت بأهله الأحباء الأعزاء الأوفياء ...

وعشت بينهم شهر رمضان ، وبعضاً من شوال ، أتنقل بين المساجد والمنتديات والجامعات .. فى الخرطوم ، وأم درمان ، والأبيض .

وتلقيت (دعوات) كثيرة وعزيزة من مدن السودان الأخرى [كسلا ، وبورسودان ، وغيرها] وقد أرجأتها إلى العام القادم إن شاء الله ووفق .

• وقد أعجبنى فى أهل السودان ـ حياهم الله وزادهم براً وخيراً ـ إقبالهم العظيم على العلم والمحاضرات .

[ولو رحت أعدد وأسجل وأصف ما قوبلت به من حفاوة ، وما قوبلت به محاضراتى من اهتمام ؛ لخرج الحديث عن طبيعته (العامة) إلى حديث عن النفس ، وهذا ما لا أريده ولا أبتغيه !!]

• غير أنى قابلت فى السودان أفراداً لا يكادون يعدون على أصابع اليد الواحدة باعوا أنفسهم وعقولهم ومقدراتهم للشيطان ، واستبشروا بهذا البيع !!

• وعن هؤلاء أسوق حديث هذا العدد ضمن سلسلة أحاديثى عن الذين (كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)

• لكن.. لماذا أعرض هذا الجانب (الشرير الأحمق) ؟ أما كان الأوفق والأليق أن أعرض الجانب الوضاء المضىء ؟

وجوابى : كلمة حذيفة رضى الله عنه — التى يقول فيها : « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى »

وما قاله حذيفة أقوله ، فالناس يكتبون عن الخير ، أما أنا فأكتب عن الشر مخافة أن يدركنى .. أو يدرك الآخرين !!

أو كما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

١ ـ الإسلام الكوكبى

التقيت فى رحلتى السابقة إلى السودان (بالعالم الكوكبى) صاحب ومؤلف (الإسلام الكوكبى) أو (الرسالة الثانية) !! . وقد فسر لى مايقصده بالإسلام الكوكبى ، قال . إن الإسلام الأول جاء إلى الناس فى زمان كانت فيه وسيلة المواصلات هى (الجمل) أما اليوم فإن (وسائل المواصلات) قد تعددت وتلونت بحيث أصبحت تربط (الكوكب الأرضى) كله !!

وإذاً فإن البشرية أصبحت فى حاجة إلى (إسلام جديد) يتلاءم مع العصر الكوكبى . . عصر السرعة !!

وقد بنى على هذا الأساس المنهار . فكره المنهار كله . فقال : إنه من الضرورى والحتم شطب القرآن المدنى ، وإبقاء القرآن المكى [1] .

لماذا ؟ لأن القرآن المدنى يوقف سير الحضارة ، ويعوق (عجلة) التقدم ـ ولماذا أيضاً ؟ لأن القرآن المدنى (قرآن فروع) أما القرآن المكى فهو (قرآن أصول) !!.

ولما طلبت إليه أن يضرب لى مثلا للقرآن المكى ، ومثلا آخر للقرآن المدنى قال : القرآن المكى ، مثل : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)[2] .

والقرآن المدنى ، مثل : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[3] .

---

(١) يلاحظ أن صفة القرآن كله من القرآن المدنى (البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة) وماقدمه الله يؤخره صاحب العقل الكوكبى .. بل يلغيه ويشطبه !!

(٢) البقرة ٢١٩ (٣) التوبة ١٠٣

فلما قلت له : إن الآيتين مدنيتان .!

غضب وقال: إنني أعني بالقرآن المكي .. قرآن الأصول ، وأعني بالقرآن المدني قرآن الفروع .!

قلت له : لكن علماء السلف لم يصطلحوا على هذا !!

قال لي : هذا اصطلاح جديد ..

وصدق .. فهو (اصطلاح كوكبي) أيضاً !!

---

٢ ـ مزاعم الدراويش

والتقيت في السودان أيضاً بدرويش محظوظ .. آتاه الله بسطة في المال والأتباع !

قال لي : أنا الذي غيرت اسم الطريقة (البرهامية) وجعلتها (البرهانية)

قلت له : هذا اكتشاف خطير ، فكيف تم هذا ؟

قال : إن (سيده) إبراهيم الدسوقي التقى به وأفهمه هذا ، أفهمه أنه (برهان الله) ، وأن طريقته (البرهانية)

سألته : هل صحيح مايقال من أن (إبراهيم الدسوقي) دخل المعركة (معركة رمضان) بنفسه ؟

وهنا اعتدل في جلسته ، وافتر ثغره عن ابتسامة ، وألقى بنظراته عبر حجرته الواسعة المليئة بالصور واللافتات ، ثم قال في اختصار المتشدد : نعم !!

وعدت أسأل : بلحمه ودمه !!

وعاد يجيب : نعم .. بلحمه ودمه !!

---

٣ ـ ثالثة الأثافي

وثالثة الأثافي :.

رجل ينادي بضرورة (شطب السنة) ، وإلغاء كتبها ، وإعادة النظر في الإسلام كله ، من أوله إلى آخره . . بعيداً عن الرسول وصحابته ، فالقرآن وحده هو مصدر التشريعة ولاشيء سواه .. حتى في عدد الصلوات ، فهي ثلاثة وليست بخمسة كما تقول أجيال المسلمين !!

والمهم عندى هو : أن دعوة هذا الرجل تعتبر امتداداً طبيعياً لدعوة (صاحب الإسرائيليات) ذلك الذى تحدثنا عنه فى مقالات سبقت ، وسنتحدث عنه فى مقالات تأتى إن شاء الله وقدر !

فكل واحد من الرجلين يرفض كتب السنة ، ويندد برواتها ! حتى ولو كانوا من الصحابة كأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس وعائشة ..!

غير أن رجل السودان أكثر وضوحاً من تابعه فى مصر ..

فالأول : أعلن (رفض السنة) بلا لف ولا دوران ..

والثانى وقف عند قوله تعالى: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)

وقد تطوع (مكذب السنة)

كما تطوع (مسيلمة الكذاب) بجعل الصلوات ثلاثاً بدلا من خمسة .!

وقد تعاون الاثنان فى أن يكون هذا مهراً لسجاح .!

ولنر سجاح قصة أذكرها كما جاءت فى كتب التاريخ .

جاء فى كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى (ص ٣١٩ طبعة المغرب) ما أذكره ملخصاً :

[كان من حديث سجاح بنت سويد بن خالد بن أسامة ابن المنتفر بن ضبيع التميمية وتكنى أم صادر]

أنه لما قبض النبى صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبوبكر ، وكانت الردة ، تنبأت سجاح ، وخرجت مع بنى تغلب ، فتبعها أناس كثيرون من النمر بن قاسط ، وإياد ، ومن بنى تغلب الهذيل بن عمران]

[فخرجت تسير بهم إلى بلاد تميم]

[ثم قالت : عليكم باليمامة ؟ فإنها دار إقامة ، فلقى أبا ثمامة ، فإن كان نبياً ففى النبى علامة . وإن كان كذوباً فله ولقومه الندامة ولا يلحقكم بعده ملامة]

[فساروا حتى نزلوا العماد ، فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب — وكان قد تنبأ — فتجسس أهل اليمامة لها ، فقال مسيلمة . دعونى ورأيى ، فأهدى لها ، وكتب إليها

موعدنا يوم كذا نلتقى فيه ، ونتدارس ؛ فإن كان الحق بيدك بايعناك ، وإن كان فى أيدينا بايعتنا ، فخرجت فى أربعين ، فلما جلسوا أحصاهم ، ثم قال : ليقم من هاهنا عشرة ، ومن هاهنا عشرة ومن هاهنا عشرة ، ومن هاهنا عشرة حتى ننظر فى حب الأمر ، فقاموا ، فقال مسيلمة لغلامه : عثن لها لتذكر الباه - والعثان الدخان - أى : بخر لها بشىء من الطيب] .

[ثم قال :

ألا قومى إلى البيت فقد هيئ لك المضجع

فإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

قالت : بل به أجمع

قال : بهذا أوحى إلى]

[قالوا : ولما وقع عليها مسيلمة خرجت إلى قومها وهى تنطف عرقا ، قالوا : ماعندك ؟ قالت : وجدته أحق بالأمر منى فبايعته وزوجته نفسى .

قالوا : ومثلك لايتزوج بغير مهر

فقال مسيلمة : جعلت مهرها أن رفعت عنكم صلاة الغداة والعتمة]

والغداة : الصبح

والعتمة : العشاء

وإذا كان (مسيلمة الكذاب) قد قدم (مهر سجاح) إلغاء صلاة الصبح والعشاء ..!!

فإن (مكذبة الحديث) اليوم ، يقدمون نفس المهر ، لكنهم يتسترون ويسقطون الظهر والعصر ..!!

فما أشبه الليلة بالبارحة !!

محمد جميل غازى

من مفردات القرآن

— ١ —

سورة البقرة

بقلم الأستاذ

محمد جميل غازى

• هذه [فصول] فى التفسير ..
• و [نقول] عن تراجمة القرآن ..
• و [محـــاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم ، على ضوء [اللفظ المفرد] .

ألـــم .

• فى القرآن الكريم تسع وعشرون سورة ، افتتحت بحروف مقطعة ، هى : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم ، الحجر ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، يس ، ص ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، ن .

ومن هذه السور ما هو مكى ، ومنها ما هو مدنى .

فالمكى منها : الأعراف ، يونس ، هود يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، يس ، ص ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، ن .

والمدنى منها : البقرة ، آل عمران ، الرعد .

• وتشترك بعض هذه السور فى صورة الحروف التى بدئت بها ، مثل :

[الم] فقد بدئت بها : ١) البقرة . ٢) آل عمران ٣) العنكبوت ٤) الروم ٥) لقمان .

و [الر] بدئت بها سور : ١) يونس ٢) هود ٣) يوسف ٤) إبراهيم ٥) الحجر .

و [طسم] بدئت بها سورتا : الشعراء والقصص .

و [حم] كانت بدءاً لست سور ، هى : ١) غافر ٢) فصلت ٣) الزخرف ٤) الدخان ٥) الجاثية ٦) الأحقاف .

• وقد اختلف القراء فى عد هذه الفواتح آيات أو أبعاض آيات :

فذهب الكوفيون إلى أن :

[ألم] آية حيثما وقعت ، وقيل : فى [آل عمران] ليست بآية و [ألمص] آية .

و [ألمر] لم تعد آية .

و [الر] ليست بآية فى شىء من سورها الخمس .

و [طسم] آية فى سورتيها .

و [طه] و [يس] آيتان .

و [طس] ليست بآية .

و [حم] آية فى سورها كلها .

و [كهيعص] آية .

و [حم عسق] آيتان .

و [ص] و [ق] و [ن] لم تعد واحدة منها آية .

وقد قيل : إن جميع الفواتح آيات - عند الكوفيين - فى السور كلها ، بلا فرق بينها ، وأما من عداهم فلم يعدوا شيئاً منها آية .

• ومن عجيب أمر هذه الفواتح أن الله تعالى أورد فيها نصف حروف المعجم - أربعة عشر حرفاً - وهى :

الألف - والحاء - والراء - والسين - والصاد - والطاء - والعين - والقاف - والكاف - واللام - والميم - والنون - والهاء - والياء .

• وقد جاء فيها من الحروف المهموسة[1] نصفها ، وهى : [ح ، ه ، ص ، س ، ك] .

• ومن الحروف المجهورة الثمانية عشر نصفها ، وهى : [ل ، ن ، ى ، ق ، ط ، ع ، أ ، م ، ر] ومن الحروف الشديدة[2] نصفها ، وهى : [أ ، ق ، ط ك] .

• ومن الحروف الرخوة نصفها ، وهى : [ح ، م ، س ، ع ، ل ، ى ، ن ، ص ، ر ، ه] .

• ومن الحروف المطبقة[3] نصفها ، وهى : [ص . ط] .

وبقية الحروف وهى ٢٤ حرفاً تسمى

---

(١) الحروف المهموسة ، هى : ف ، ح ، ث ، ه ، ش ، خ ، ص ، س ، ك ، ن .
(٢) الحروف الشديدة . هى : أ ، ج ، د ، ت ، ط ، ب ، ق ، ك .
(٣) الحروف المطبقة ، هى : ص ، ض ، ط ، ظ .

مفتتحة ، ونصفها ، وهو ١٢ فى الفواتح . .
قال صاحب كتاب فتح البيان [١] :

[وهذا التدقيق لا يأتى بفائدة يعتد بها ، وبيانه : أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت ، لقال لهم : هذا القرآن من الحروف التى يتكلمون بها ، وليس من حروف مغايرة لها ، فيكون هذا تبكيتاً وإلزاماً يفهمه كل سامع منهم ، من دون إلغاز وتعمية] .

[ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التى تركبت لغة العرب منها ، وذلك النصف مشتملا على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلى ولا لإسلامى ، ومنكر ولا مسلم ولا معارض ولا يصلح أن يكون من مقاصد الرب سبحانه الذى أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به] .

ونحن نوافقه فى بعض كلامه ، ونخالفه فى بعضه الآخر .

نوافقه فى أن هذه الحروف ، وما اتصفت به من أوصاف ، وما انتصفت عليه من أنصاف ... لا تفيد فى حد ذاتها فى خطاب المنكرين ؛ خاصة وأن هؤلاء المنكرين لم يعرفوا لهذه الحروف هذه الخصائص ! !

لكننا نقول : إن القرآن لم ينزل لجيل واحد ، ولا لأمة من الناس مضت وانقضت . إنما نزل لكل الناس فى كل العصور ، وإلى قيام الساعة .

وكلما مر الزمان ، وتقدم العلم ؛ اكتشف الناس فى هذا الكتاب فتوناً لا تنتهى من الإعجاز ، ومنها ما نحن بصدده ...

إننا نتساءل : من أين لرجل أمى أن يأتى بحروف ، لها هذه الصفات والخصائص ؟

● وما زالت هناك دراسات وبحوث تجرى على هذه الحروف ..

ومنها بحوث (الكترونية) قام بها بعض العلماء .

وانتهوا منها إلى ما يؤكد أن الحروف المقطعة فى أوائل السور ، هى أكثر الحروف شيوعاً فى السورة نفسها .

فمثلا : [الم] أثبت (البحث الالكترونى) أنها أكثر الحروف وروداً فى سورة البقرة ، وهكذا سائر السور المفتتحة بهذه الحروف نفسها .

---

(١) حسن صديق خان ص ٤ ، ج ١ .

كذلك أثبت (البحث الألكترونى) أن الهمزة هى أكثر الحروف شيوعاً فى السورة ، ثم تليها اللام ، ثم الميم .

• وما أثبته (البحث الألكترونى) الحديث ؛ أثبته اللغويون القدماء للقرآن الكريم ، من أمثال الزمخشرى والخازن والنسفى والبيضاوى والخطيب وغيرهم .

* * *

• وكل حرف من الحروف المقطعة فى أوائل السور ينطق به نطقاً مستقلا مرتلا ، هكذا : ألف . لام . ميم ...

وقد فهم بعض المفسرين المعاصرين[1] من هذا الأسلوب فى نطق الحروف المقطعة أنها ترسم لمرتل القرآن أسلوباً خاصاً فى التلاوة ، فيقرأ الكلمات قراءة مستأنية يأخذ كل حرف مكانه على لسان القارىء ، كما أخذت حروف هذه المفتتحات وضعها المستقل على لسانه فى أناة وتقطيع ، حرفاً .. حرفاً ..

وبهذا يتحقق الأداء السليم لتلاوة القرآن كما يقول الله تعالى : (٧٣ : ٤ ورتل القرآن ترتيلا) ويقول : (١٧ : ١٠٦ وقرآناً فرقناه لتقرأه الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .

وقد روى البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : « كانت مداً » - ثم قرأ ، أى أنس - « بسم الله الرحمن الرحيم » يمد « الله » ويمد « الرحمن » ويمد « الرحيم » أى : أنه يمثل بهذا الأسلوب القراءة التى كان يقرأ بها النبى الكريم .

* * *

• وقد وقف المفسرون أمام هذه الفواتح دارسين متأملين ، وخرجوا علينا بحصاد هائل من البحوث والآراء ، يمكننا أن نرجعها إلى إتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول :

هو أن هذه الفواتح علم مستور ، وسر محجوب استأثر الله بعلمه ، ونسبوا إلى أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : « لله فى كل كتاب سر ، وسره فى القرآن أوائل السور » كما نسبوا إلى على رضى الله عنه أنه قال : « إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى » . ونسبوا إلى

---

(١) الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه : (التفسير القرآنى للقرآن) جـ ١ ص ٢٣ وما بعدها .

الشعبي أنه سئل عن هذه الحروف فقال : « سر الله فلا تطلبوه » . ونسبوا إلى ابن عباس قوله : « عجزت العلماء عن إدراكها » .

وأكاد أتوقف عن قبول هذا الاتجاه .

لأن الله تعالى يقول : (٤٧ : ٢٤ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ، ويقول : (٢٦ : ١٩٣ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) .

فهذه الآيات - وغيرها كثير - تفيد أن القرآن إنما أنزل للتدبر ، فكيف يمكن التدبر في كتاب غير مفهوم .. !؟

وكيف يكون بلسان عربي مبين ، وهو ملىء بالأسرار التي عجزت العلماء عن إدراكها ؟ !!

الاتجاه الثاني :

وتمثله عدة آراء :

الرأي الأول : أنها أسماء للسور ،

وقد عورض هذا الرأي من وجوه :

١ - أنا نجد سوراً كثيرة اتفقت في التسمية بـ [ألم] و [حم] والمقصود من التسمية رفع الاشتباه .

٢ - لو كانت أسماء لاشتهرت وتواترت ، لكن السور اشتهرت بغيرها : كالبقرة وآل عمران .

٣ - العرب لم يتجاوزوا بما سموا به مجموع اسمين نحو : معد يكرب ، ويعلبك ، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء ، وأربعة ، وخمسة !

وقد أجيب عن الاعتراض الأول بما يجاب به عن الأعلام المشتركة .

وعن الاعتراض الثاني : أنه لا يبعد أن يصير اللقب أكثر شهرة من الاسم الأصلي فكذا ههنا .

وعن الاعتراض الثالث : أن التسمية بثلاثة أسماء خروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسماً واحداً ؛ فأما إذا كانت منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار .

وقد ذهب إلى هذا الرأي أكثر المتكلمين ، واختاره الخليل بن أحمد وسيبويه قال القفال : وقد سمت العرب بهذه الحروف أشياء : فسموا بـ [لام] والد [حارثة بن لام الطائي] وكقولهم للنحاس [صاد] وللنقد [عين] وللسحاب [غين] وقالوا : جبل [قاف] وسموا الحوت [نوناً] !!

يقول صاحب تفسير المنار[1] : [ألم] هو وأمثاله أسماء للسور المبتدأة به، ولا يضر وضع الاسم الواحد كـ [ألم] لعدة سور ، لأنه من المشترك الذى يعين معناه ، اتصاله بمسماه .

● الرأى الثانى :

أنها حروف أقسم الله تعالى بها ، قاله ابن عباس وعكرمة .

يقول ابن قتيبة : ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها ، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل : تعلمت : أ ب ت ث وهو يريد سائر الحروف ، وكما يقول : قرأت الحمد - يريد فاتحة الكتاب - فيسميها بأول حرف منها .

وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ، ولأنها مبانى كتبه المنزلة ، وبها يذكر ويوحد .

قال ابن الأنبارى : وجواب القسم محذوف تقديره : وحروف المعجم لقد بينت لكم السبيل ، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل ، وإنما حذف لعلم المخاطبين به ، ولأن فى قوله (ذلك الكتاب لا ريب فيه) دليلا على الجواب .

● الرأى الثالث :

أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها ، والمعنى : أنه لما كانت الحروف أصولا لكلام المؤلف ، أخبر - سبحانه - أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف قاله الفراء والمبرد وقطرب والزمخشرى وابن الجوزى ، وذهب إليه بعض علماء الحديث كشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزى .

فإن قيل : إن الكفار يعلمون أن القرآن مؤلف من حروف فما الفائدة فى إعلامهم بهذا ؟

أقول : إنه - سبحانه - نبه بذلك على إعجازه ، فما دام القرآن من هذه الحروف التى تؤلفون منها كلامكم ، فما بالكم تعجزون عن معارضته ؟

● وقد تحدى القرآن جماهير المشركين أن يأتوا بمثله ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ، وانقلبوا خاسئين خاسرين .

ففى سورة الإسراء : (١٧ : ٨٨ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

---

(١) رشيد رضا جـ ١ ص ١٢٢ .

وفى سورة هود : (١١:١٣ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) .

وفى سورة يونس: (١٠:٣٨ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) .

وفى سورة البقرة : (٢ : ٢٣ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) .

فتحدى الله الناس بالقرآن فى جملته فى آية هود ، ثم تحداهم بسورة واحدة فى آيتى يونس والبقرة .

إن الحروف المقطعة فى أوائل السور هى نفس الحروف التى يصوغون منها أشعارهم ، وينقلون بها أخبارهم ، ويتواصون بها فى أمور دنياهم ؛ فما بالهم لا يستطيعون أن يصوغوا منها قرآناً كهذا القرآن ، أو ينظموا منها سورة من سوره ..؟!

وأكاد أميل إلى هذا الرأى وأختاره ... ولا يمنعنى هذا من اختيار الرأيين السابقين أيضاً . . فتكون الآراء الثلاثة صحيحة ، ولا تعارض بينها ...

الاتجاه الثالث :

وهو اتجاه أسطورى خرافى ؛ أذكره هنا للتنبيه إليه ، ولتحذير جماهير المسلمين من التورط فى قبول مثل هذه الآراء السقيمة التى شحنت بها كثير من كتب التفسير .

— ومن هذه الآراء الأسطورية : أن الحروف المقطعة فى القرآن هى اسم الله الأعظم !! ومن عجيب الأمر وغريبه أن ينسبوا هذا الرأى إلى على وابن عباس رضى الله عنهم !!

— ومنها : أنها حروف دالة على أسماء أخذت منها ، وحذفت بقيتها ، فمثلا : [الم] الألف ترمز إلى [الله] واللام إلى [جبريل] والميم إلى [محمد] !!!

— ومنها : أنها حروف دالة على أسماء الله الحسنى ؛ فالألف مفتاح اسمه [الله] واللام [لطيف] والميم [مجيد] !!!

— ومنها : ما نسبوه إلى ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : [الم] أنا الله أعلم ، وفى قوله : [الر] أنا الله أرى ، وفى قوله [المص] أنا الله أعلم وأفصل .

— ومنها : أنها أسماء الله تعالى ، ونسبوا إلى على رضى الله عنه أنه كان يدعو : يا كهيعص ، يا حم عسق !!!

— ومنها : أنها أبعاض أسماء الله!!!

— ومنها : ما نسبوه إلى سعيد بن جبير من أنه قال : [الر] و [حم] و [ن] مجموعها هو اسم [الرحمن] !!!

— ومنها : أن بعضها من أسماء النبي ﷺ كـ [طه] و [يس] !!

— وزعم بعض الصوفية ـ وزعم معلية الكذب ـ :

أن الألف معناها أنا .

واللام معناها لي .

والميم معناها مني !!!

— ومنها : أن هذه الحروف بعد حذف مكررها تشير ـ إذا حسبت بحساب الجمل ـ إلى موعد القيامة .

ومجموع هذه الحروف ٩٦٣ ومعنى هذا أن القيامة تكون قد قامت منذ زمن بعيد ، ونحن لا ندري !!

وشيء آخر ، هو : أن حساب الجمل مختلف فيه بين المشارقة والمغاربة .

فالمغاربة يحسبون السين بثلاثمائة والصاد بستين .

بينما المشارقة يحسبون السين بستين والصاد بتسعين !!

ومعنى هذا أن القيامة ستقوم عند المغاربة بعد للمشارقة بفترة طويلة !!

* * *

وإذا كان هناك اتجاه أسطوري لشرح هذه المفتتحات في كتب التفسير القديمة ؛ فإن هناك اتجاها أسطورياً معاصراً لشرح هذه المفتتحات ، نقدم منها هذا النموذج :

يرى بعض المفسرين المعاصرين : أن الحروف في بعض السور بل في معظمها كانت ترمز إلى عدد آيات السور في مرحلة من المراحل ، وقبل ترتيب آياتها نهائياً ، ثم أضيف بعد هذه المرحلة إليها آيات أخرى !!

وهذا يعني ـ كما يقول محمد عزة دروزة ـ[1] أن إضافة آيات أو فصول إلى سورة ما مرموز فيها إلى عدد آياتها في مرحلة من المراحل قد أخلت بالرمزية ، وبالتالي قد أفقدتها حكمتها التي علمها الله .

فإذا فرضنا أن ترتيب السور في صورتها النهائية قد تم في حياة النبي عليه السلام وبأمره ، فيكون النبي قد أخل بحكمة الرمزية الربانية ، وحاشاه أن يفعل ، وإذا كان الترتيب قد تم بعد وفاته ، فيرد حينئذ سؤال عما إذا كان النبي ﷺ قد أخبر أصحابه

(البقية على ص ٢١)

(١) التفسير الحديث حـ ١ ص ٤١ .

من مفردات القرآن

-٢-

تفسير سورة البقرة

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

- هذه [فصول] فى التفسير ..
- و [نقول] عن تراجمة القرآن ..
- و [محاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم على ضوء [اللفظ المفرد] ..

الكتاب — ١

[ذلك الكتاب لاريب فيه] البقرة / ٢

- ورد لفظ [الكتاب] ومشتقاته فى القرآن الكريم ٣١٩ مرة
- والأصل فى معنى كلمة [كتاب]، الشىء المكتوب.
- وقدأطلقت فى القرآن الكريم على عشرة معان :

الأول : مطلق الكتابة (٢ : ٧٩ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون).

الثانى : كتب بمعنى فرض (٤ : ١٠٣ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)

الثالث : الحجة والبرهان (٣٧ : ١٥٧ فائتوا بكتابكم إن كنتم صادقين).

الرابع: الأجل : (١٥ : ٤ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم).

الخامس : مكاتبة الرقيق : (٢٤ : ٣٣ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً).

السادس : آعمال الناس (١٨ : ٤٩ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه).

السابع : علم الله : (٣٠ : ٥٦ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث).

الثامن : كتب بمعنى قدر : (٩ : ٥١ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)

التاسع : الكتب المنزلة : (٥ : ٤٨ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) .

العاشر : القرآن الكريم . (٢ : ٢ ذلك الكتاب لاريب فيه) .

* * *

وتطلق كلمة [الكتاب] على القرآن الكريم كله ، وعلى أجزاء منه ، بدليل أنها وردت فى سور مكية ، كقوله تعالى : (٢٩ : ٥١ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) .

كما وردت فى سور مدنية ، كقوله تعالى : (٢ : ٢ ذلك الكتاب لاريب فيه)

وقد تجتمع كلمة [كتاب] وكلمة [قرآن] فى آية واحدة ، مثل قوله تعالى : (١٥ : ١ الر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) ومثل قوله عز وجل : (٢٧ : ١ طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين) .

ولايعنى ورودهما فى آية واحدة [الترادف] ، وإنما يعنى ، أن كلمة [قرآن] تشير إلى [المقروء] ، وأن كلمة [كتاب] تشير إلى [المكتوب] .

وقد ذكر لفظ الكتاب إسماً للقرآن الكريم فى الآيات الأولى أوالثانية فى كثير من سور القرآن ، كالبقرة ، وهود ، ويونس ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والكهف ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، ولقمان .

* * *

أسماء القرآن :

و [الكتاب] واحد من أسماء القرآن ، وللقرآن - فى القرآن - أسماء كثيرة ، سأحاول فى هذا المقال والذى يليه أن أسرد بعضها فى اختصار ، وقد فصلت القول فيها فى كتاب قدمته إلى المطبعة أخيراً .

* * *

من أسماء القرآن الكريم :

١ — الكتاب ، وقد تقدم .

٢ — القرآن ، قال تعالى : (١٧ : ٨٨ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) ، وللمفسرين فى اشتقاقه قولان : الأول : أن القرآن والقراءة بمعنى واحد لقوله تعالى : (٧٥ : ١٨ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى : إذا تلوناه عليك فاتبع تلاوته .

والثانى : أنه مصدر من قول القائل :

قرأت الماء فى الحوض إذا جمعته ، قال سفيان ابن عيينة : سمى القرآن قرآنا ؛ لأن الحروف جمعت فصارت كلمات ، والكلمات جمعت فصارت آيات ، والآيات جمعت فصارت سوراً ، والسور جمعت فصارت قرآنا ، ثم جمع فيه علوم الأولين والآخرين .

* * *

٣ — الفرقان : قال تعالى : (٢٥ : ١ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، وقد اختلفوا فى تفسيره ، فقيل : سمى بذلك لأن نزوله كان متفرقا فى خمس وعشرين سنة ، لقوله تعالى : (١٧ : ١٠٦ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) ، وقيل : سمى بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، والمجمل والمبين ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

* * *

٤ — الذكر : قال تعالى : (١٥ : ٩ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وقد فسر بأنه العلم ، أو الشرف لقوله تعالى : (٤٣ : ٤٤ وإنه لذكر لك ولقومك) أى : شرف .

٥ — الذكرى : وهى اسم أقيم مقام التذكر ، قال تعالى : (٥١ : ٥٥ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

٦ — التذكرة : وهى ما يتذكر به الشىء وهو أعم من الدلالة والأمارة ، قال تعالى : (٦٩ : ٤٨ وإنه لتذكرة للمتقين) .

* * *

٧ — التنزيل : قال تعالى : (٢٦ : ١٩٢ — ١٩٥ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) ، والفرق بين الإنزال والتنزيل فى وصف القرآن الكريم ؛ أن التنزيل يختص بالموضع الذى يشير إلى إنزاله مفرقا منجما ، ومرة بعد أخرى ، والإنزال عام .

* * *

٨ — أحسن الحديث ، قال تعالى : (٣٩ : ٣٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً)

قال القرطبى : وسمى القرآن حديثاً لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحدث به أصحابه وقومه .

والقرآن أحسن الحديث فى لفظه ومعناه .

أما فى لفظه ، فلأجل فصاحته وجزالته ، فالقرآن ليس شعراً ولا نثراً ولا خطبا ، ولا رسائل ، بل هو نوع يخالف كل هذا ، ويستطيبه كل ذى طبع سليم .

وأما فى معناه فلأنه :

١ — منزه عن التناقض ، كما قال تعالى :

(٤ : ٨٢ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

٢ — مشتمل على غيوب كثيرة فى الماضى والمستقبل .

٣ — ولأن العلوم الموجودة فيه كثيرة جداً بحيث لا تقع تحت حصر ، ومازال القرآن وسيظل ينبوع العلوم والمعارف .

* * *

٩ — الموعظة ، قال تعالى : (١٠ : ٥٧ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) والموعظة هى : الزجر المقترن بالتخويف ، وقال الخليل : هو التذكير بالخير .

* * *

١٠ — الحكم : قال تعالى : (١٣ : ٣٧ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً)

والحكم ، لغة القضاء ، وجمعه أحكام .

وقد سمى القرآن [حكماً] ، ولم يسم [حاكماً] مع أنه بمعناه للاشارة إلى أن القرآن الكريم إنما هو حكم صدر من حاكم حكيم ، هو الله سبحانه وتعالى .

١١ — الحكمة قال تعالى : (٥٤ : ٤ ، ٥ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة) .

والحكمة هى : العلم الصحيح ، يكون صفة محكمة فى النفس ، حاكمة على الإرادة توجهها للعمل ، ومتى كان العمل صادراً عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدى إلى السعادة .

١٢ — الحكيم : قال تعالى : (٣٦ : ١ ، ٢ يس والقرآن الحكيم) .

والحكيم ، إما بمعنى الحاكم ، مثل : القدير والعليم ، والقرآن حاكم بمعنى أن الأحكام تستفاد منه .

وإما بمعنى : ذو الحكمة فى تأليفه ونظمه وكثرة علومه .

وإما بمعنى . المحكم ؛ فعيل بمعنى مفعل قال الأزهرى : وهو شائع فى اللغة .

١٣ ، ١٤ — المحكم والمتشابه : وصف القرآن الكريم بالإحكام على الاطلاق فى أول سورة هود قال تعالى : (١١ : ١ كتاب أحكمت آياته) وهو من إحكام النظم وإتقانه أو : من الحكمة التى اشتملت آياته عليها .

ووصف كله بالمتشابه فى سورة الزمر : (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها) أى : يشبه بعضه بعضاً فى هدايته وبلاغته وسلامته من التناقض والتفاوت والاختلاف .

ولاشك أن القرآن الكريم يصح أن يوصف كله بالمحكم ، وأن يوصف كله بالمتشابه .

أما قوله تعالى فى سورة آل عمران : (٣ : ٧ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)

فالتقسيم فيها مبناه على استعمال كل من المحكم والمتشابه فى معنى خاص . ولذلك اختلف المفسرون فى تحديد هذا المعنى الخاص على أقوال منها أن :

— المحكم هو الناسخ ، والمتشابه هو المنسوخ .

— المحكم ما كان دليله واضحاً ، والمتشابه ما يحتاج فى معرفته إلى تأمل .

— المحكم ما أمكن تحصيل العلم به بدليل جلى أو خفى ، والمتشابه ما لا سبيل إلى العلم به كوقت قيام الساعة .

— المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجها .

— المحكم هو الإنشاء ، والمتشابه هو الخبر .

أما كون المحكمات هن أم الكتاب ؛ فلأنهن أصله وعماده ومعظمه ؛ فإن اشتبه علينا شيء رددناه إليها .

* * *

١٥ — الشفاء : قال تعالى : (٩٧ : ٨٢ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .

والقرآن شفاء لأمراض القلوب ؛ كالجهل وسوء الظن ، والشك ، والشرك ، والنفاق ، والحقد ، والضغن ، والحسد ، وسوء النية ، وخبث الطوية .

قال تعالى : (١٠ : ٥٧ وشفاء لما فى الصدور) .

فالآية تقرر أن القرآن شفاء لأمراض الصدور ، لا لأمراض الأبدان .

وقد روى أبو الشيخ عن الحسن البصرى أنه قال : إن الله تعالى جعل القرآن شفاء لما فى الصدور ، ولم يجعله شفاء لأمراضكم .

(ولمبحث صلة)

قريباً تخرج هذه المطبعة بمشيئة الله تعالى

(أسماء القرآن في القرآن)

بحث جديد ومهم للأستاذ محمد جميل غازى

فاطلبه من دار جماعة أنصار السنة المحمدية — المركز العام ومن مسجد العزيز بالله بالزيتون

من مفردات القرآن

-٣-

تفسير سورة البقرة

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

- هذه [فصول] فى التفسير ..
- و [نقول] عن تراجمة القرآن ..
- و [محاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم على ضوء [اللفظ المفرد] ..

الكتاب - ٢

[ذلك الكتاب لاريب فيه] البقرة / ٢

١٦ - الهدى: قال تعالى: (٢ : ٢ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) وهداية الله للإنسان على أربع مراتب :

المرتبة الأولى: إعطاؤه الإنسان القوى التى يهتدى بها إلى مصالحه ؛ إما تسخيراً ، وإما طوعاً ، كالحواس الخمس ، والعقل .

وبعض ذلك قد أعطاه للحيوان ، وبعضه الآخر قد خص به الإنسان ، وعلى ذلك دل قوله تعالى: (٢٠ : ٥٠ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ، (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) .

المرتبة الثانية: هداية الأنبياء ، قال تعالى : (٢١ : ٧٣ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) ، وقال عزوجل: (١٣ : ٧ ولكل قوم هاد) .

وهذه الهداية تنسب تارة إلى الله تعالى: (٤١ : ١٧ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) .

وتارة إلى النبى ﷺ : (١٧ : ٩ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) .

المرتبة الثالثة : التوفيق الذى يختص به الله الصالحين من عباده ، قال تعالى : (٢٢ : ٢٤ وهدوا إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد) ، وقال عزوجل: (٢٩ : ٦٩ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) .

المرتبة الرابعة : الهداية إلى الجنة ، قال الله تعالى : (٧ : ٤٣ ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار ، وقالوا : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

• وهداية الأنبياء : هداية دلالة ، قال تعالى : (٤٢ : ٥٢ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) فأثبت له الهدى الذى معناه الدلالة والدعوة والتنبيه .

أما هداية الله سبحانه وتعالى فهى هداية توفيق وتأييد ، وقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (٢٨ : ٥٦ إنك لا تهدى من من أحببت) فالهدى على هذا يأتى بمعنى خلق الإيمان فى القلب ، ومنه قوله تعالى : (٢ : ٥ أولئك على هدى من ربهم) .

• وهذه المراتب بعضها متوقف على البعض الآخر .

فلا تحدث الثانية إلا إذا حدثت الأولى ولا تحدث الثالثة إلا إذا حدثت الثانية ، ولا تحدث الرابعة إلا إذا حدثت الثالثة .

* * *

١٧ — الصراط المستقيم : قال تعالى : (٦ : ١٥٣ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

• وقد قالوا : إن الصراط المستقيم ، هو : الدين ، أو الحق ، أو العدل أو الحدود

ونقول : إنه كل ما يوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولا شك أن ذلك كله فى القرآن الكريم .

* * *

١٨ — حبل الله ، قال تعالى : (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قال المحققون : حبل الله : هو الذى يمكن معه التوصل به إليه ، من القرآن ، والنبى والعقل والإسلام وغير ذلك مما إذا اعتصمت به أداك إلى جواره .

وقال ابن مسعود : حبل الله القرآن .

• وما قلناه فى حبل الله ، نقوله فى [العروة الوثقى] .

• وقد ورد التعبير بها فى القرآن الكريم مرتين : (٢ : ٢٥٦ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) ؛ (٣١ : ٢٢ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)

* * *

١٩ — الرحمة : قال تعالى : (١٧ : ٨٢ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .

• والرحمة : رقة تقتضى الإحسان للمرحوم ، وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الإحسان المجرد عن الرقة .

• وإذا وصف البارى سبحانه وتعالى بهذه الصفة ؛ فالمراد بها : الإحسان المجرد عن الرقة .

* * *

٢٠ — الروح ؛ قال تعالى: (٤٢ : ٥٢ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) .

• قال الضحاك : وإنما سمى الله القرآن روحاً ، لأن فيه حياة من موت الجهل ، لما فيه من الهداية والعلم .

• ويمكن أن يحمل قوله تعالى (١٧ : ٨٥ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) عن القرآن أيضاً ، أى : ويسألونك من أين لك هذا القرآن ؟ قل : إنه من أمر الله أنزله على معجزاً .

• وكان مالك بن دينار ، يقول: يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب ، كما أن الغيث ربيع الأرض .

* * *

٢١ — البيان ، قال تعالى : (٣ : ١٣٨ هذا بيان للناس) .

٢٢ — التبيان ، قال تعالى : (١٦ : ١٨٩ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء) .

٢٣ — المبين ، قال تعالى: (١٢ : ١ تلك آيات الكتاب المبين) .

• وإنما وصف الكتاب بكونه [بياناً] و [تبياناً] و [مبيناً] لوجهين :

الأول : أنه مبين للذين أنزل إليهم ، لأنه نزل بلغتهم ولسانهم .

الثانى : أنه هو الذى أبان طريق الهدى من طريق الضلالة ، وأبان كل باب مما سواه وجعلها مفصلة متباينة .

* * *

٢٤ — البصائر ، قال تعالى: (٧ : ٢٠٣ هذا بصائر من ربكم)

والبصائر — جمع بصيرة — وهى : قوة القلب ، المدركة .

والبصيرة عدة معان : عقيدة القلب ، والمعرفة الثابتة باليقين ، والعبرة ، والشاهد أو الشهيد المثبت للأمر ، والحجة ، والفطنة والقوة التى تدرك بها الحقائق العلمية .

* * *

٢٥ — الفصل . قال تعالى : (٨٦ : ١٣ إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل) .

والمفسرين فى هذه الآية أقوال ، منها :

ـ أن القرآن فاصل بين الحق والباطل ، كما قيل: فرقان . .

— أنه قول فصل ، أى حكم ينفصل به الحق عن الباطل ، ومنه : فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم .

— أنه قاطع للمراء والنزاع .

— أنه جد وحق ، لقوله تعالى: (وما هو بالهزل) أى : باللعب ، والمعنى : أن القرآن نزل بالجد ، ولم ينزل باللعب .

***

٢٦ — المفصل ، قال تعالى: (٦: ١١٤ وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا) .

والمفصل ، الذى فرقت آياته ، فبعضها فى وصف ذات الله تعالى ، وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، وعجائب أحوال خلقه . وبعضها فى أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح ، وبعضها فى الوعد ، والوعيد ، وللثواب والعقاب ، ودرجات أهل الجنة ، ودركات أهل النار ، وبعضها فى المواعظ والنصائح والوصايا ، وبعضها فى تهذيب الأخلاق ورياضة النفس ، وبعضها فى قصص الأولين ، وتواريخ الماضين .

يقول الرازى : وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة ، والمباحث المتباينة مثل ما فى القرآن .

ويطلق [المفصل] على جملة من سور القرآن الكريم القصيرة ، وقد اختلف فيها العلماء على أقوال ، منها أنها :

— من الحجرات إلى آخر القرآن

— أو من الجاثية

— أو من القتال

— أو من ق

— أو من الصافات

— أو من الصف

— أو من الملك

— أو من الفتح

— أو من الأعلى

— أو من الضحى

وسمى هذا الجزء من القرآن منفصلا لكثرة الفصول بين سوره ، أو لقلة المنسوخ فيه .

ويسمى المحكم أيضاً ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : قرأت المحكم على عهد رسول الله ﷺ وأنا ابن اثنتى عشرة سنة .

قال الزمخشرى فى الفائق: يعنى: المفصل سمى محكماً لأنه لم ينسخ منه شىء .

٢٧ — المثانى ، قال تعالى : (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) .

وقد ورد هذا الإسم فى القرآن الكريم مرتين :

الأولى : فى سورة الحجر : (١٥ : ٨٧ ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم)

والثانية فى سورة الزمر : (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى)

والمقصود بالسبع المثانى فى آية الحجر [الفاتحة] لما خرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول ﷺ « الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثانى » قال : هذا حديث حسن صحيح .

والمثانى — فى آية الزمر — المقصود به [القرآن الكريم] ، لأنه يثنى فى التلاوة فلا يمل ، أو لاقتران آية الرحمة بآية العذاب ، أو لأن فيه ثناء على الله سبحانه وتعالى .

* * *

٢٨ — النعمة ، قال تعالى : (٩٣ : ١١ وأما بنعمة ربك فحدث)

روى ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث) قال : القرآن ، لأن القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ﷺ ، والتحديث به أن يقرأه ويقرئه غيره ويبين حقائقه لهم .

٢٩ — البرهان ، قال تعالى : (٤ : ١٧٤ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم)

والبرهان : أبين الحجج ، وأوكد الأدلة وهو الذى يقتضى الصدق أبداً لاستحالة .

وقد جاء البرهان فى القرآن الكريم على ثلاثة أنحاء :

الاول : بمعنى المعجزة : (٢٨ : ٣٢ فذانك برهانان من ربك)

الثانى : بمعنى الدليل . (٢ : ١١١ ، ٢١ : ٢٤ ، ٢٧ : ٦٤ ، ٢٨ . ٧٥ قل هاتوا برهانكم)

الثالث : بمعنى القرآن : (٤ : ١٧٤ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم)

* * *

٣٠ — القيم ، قال تعالى : (١٨ : ٢ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما)

وقوله تعالى : (قيما)

— أى : [قيما] بمصالح العباد ، وما لابد لهم منه من الشرائع ، فهو وصف له بأنه مكمل لهم ، بعد وصفه بأنه كامل فى نفسه

— أو : [قيما] على الكتب السالفة ، ومهيمنا عليها .

— أو : متناهيا فى الاستقامة والاعتدال فيكون تأكيداً لما دل عليه نفى العوج .

— أو : قواماً على شئون الدين وضابطاً لها .

[وللبحث صلة]

من مفردات القرآن

-٣-

تفسير سورة البقرة

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

- هذه [فصول] فى التفسير ..
- و [نقول] عن تراجمة القرآن ..
- و [محاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم على ضوء [اللفظ المفرد] ..

الكتاب — ٣

[ذلك الكتاب لاريب فيه] البقرة / ٢

ومن أسماء القرآن الكريم :

٣١ — البشير النذير: قال تعالى: (٤١ : ٣ ، ٤ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)

والبشارة ؛ هى الخبر السار، ويقال لها البشرى أيضاً .

والإنذار ؛ هو الإبلاغ والإعلام ، ولا يكاد يكون إلا فى تخويف يتسع زمانه للاحتراز ؛ فإن لم يتسع للاحتراز كان إشعاراً ، ولم يكن إنذاراً .

- وإذا وردت فى القرآن الكريم بشارة أعقبتها نذارة ، وكذلك إذا وردت نذارة أعقبتها بشارة .

وقد يغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال .

. . .

٣٢ — المهيمن : قال تعالى: (٥ : ٤٨ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)

- ولم يرد هذا اللفظ فى القرآن الكريم سوى مرتين :

الأولى : اسماً لله : (٥٩ : ٢٣ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام

المؤمن المهيمن) .

الثانية : اسماً للقرآن : وقد مر .

• وقد تعددت الأقوال المنسوبة إلى السلف فى معنى تسمية القرآن الكريم بالمهيمن :

فقال ابن عباس : المهيمن ؛ المؤتمن .

وقال الكسائى : المهيمن ؛ الشهيد

وقال غيرهما : هو الرقيب .

• فالقرآن هو الضابط والمرجع لما هو متداول بين اليهود والنصارى من كتب يقولون : إنها كتب الله المنزلة على أنبيائه قال تعالى : (٢٧ : ٧٦ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون)

. . .

٣٣ — النور : قال تعالى : (٧ : ١٥٧ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)

• والنور صفتان :

الصفة الأولى : كونه فى نفسه ظاهراً جلياً ، وكذلك القرآن ظاهر وجلى لكل من قرأه وتدبره .

الصفة الثانية : كونه سبباً لظهور غيره وجلائه ، ولذلك القرآن يظهر الحقائق ، ويجلو الدقائق .

٣٤ — الحق : قال تعالى : (٢١ : ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)

• ومعنى كون القرآن حقاً ، أنه نزل متلبساً بالحق ، مؤيداً به ، مشتملا عليه ، مقرراً له ؛ بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

. . .

٣٥ — العزيز : قال تعالى (٤١ : ٤١ ، ٤٢ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

• والعزيز : الذى يقهر ولا يقهر

• وإنما وصف القرآن بالعزة لمعنيين :

الأول : الغالب بقوة حجته ، ووضوح أدلته .

الثانى : الذى لا يوجد له نظير ؛ لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته .

. . .

٣٦ — الكريم ، قال تعالى : (٥٦ : ٧٧ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) .

• وإنما سمى القرآن بذلك لأنه ليس بسحر ولا كهانة ، وليس بمفترى ، وقد جعله الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ .

• وقيل : كريم ، أى غير مخلوق .

• وقيل : كريم ، لما فيه من كريم الأخلاق ومعالى الأمور .

• وقيل : لأنه يكرم حافظه ، ويعظم قارئه ، ويرفع شأن من عمل به من الأمم والأفراد .

٣٧ — العظيم: قال تعالى: (١٥ : ٧٨ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم).

• وقد عد الرازي من أسماء القرآن تسعة أسماء هي في الأصل أسماء لله تعالى:

١ ـ القيم
٢ ـ المهيمن
٣ ـ الهادي
٤ ـ النور
٥ ـ الحق
٦ ـ العزيز
٧ ـ الكريم
٨ ـ العظيم
٩ ـ المبارك

• غير أنني أخالف الرازي في هذا الاسم الاسم الأخير، لأن هذه الصيغة اسم مفعول من (بارك) وليست اسم فاعل منها ! والذي يليق بالله سبحانه هو الثاني لا الأول.

. . .

٣٨ — المبارك: قال تعالى: (٢١ : ٥٠ وهذا ذكر مبارك أنزلناه)

• والبركة: هي الزيادة والنماء والمنفعة النافعة، وهي لا تكون إلا من الله سبحانه وتعالى.

• وقد بارك الله القرآن:

ـ بما فضل به ما قبله من الكتب في النظم والمعنى.

ـ بما يكون من خلوده وثباته وبقائه

ـ بما حواه من هداية وعلوم ومعارف وأحكام.

. . .

٣٩ — المجيد: قال تعالى: (٥٠ : ١ ق والقرآن المجيد)

• والمجيد: هو العظيم، أو كثير الكرم.

• والقرآن مجيد:

ـ لأن الخلق لم يقدروا على الإتيان بمثله، أو بمثل عشر سور منه، أو بمثل سورة واحدة.

ـ ولأنه معطاء كل من طلب منه مقصوده وجده

. . .

٤٠ — العلم: قال تعالى: (٣ : ٦١ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم).

• والقرآن هو معيار العلوم، وينبوع المعارف، ونور القلوب، وشفاء الصدور.

قال عبد الله بن مسعود: « إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين »

وقال عبد الله بن عمر: « من جمع القرآن

فقد حمل أمراً عظيما ، وقد أدرجت النبوة بين جنبيه ، إلا أنه لا يوحى إليه »

. . .

٤١ — العربى ، قال تعالى: (١٢ : ٢ إنا أنزلناه قرآناً عربيا) .

• ولا يعنى تسمية القرآن بالعربى ، تقرير كون لغته هى اللغة العربية ، لأن هذا تحصيل حاصل .

وإنما يعنى تقرير كون لغته العربية لغة سليمة مأنوسة لا إغراب فيها ولا تعقيد ، ليستطيع السامعون على اختلاف طبقاتهم أن يفهموه ويفهموا ما فيه من مواعظ وأمثال:

. . .

٤٢ — هى كلام الله ، قال تعالى (٩ : ٦ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه) .

• والقرآن كلام الله ، وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر ، بقوله (٧٤ : ١٨ - ٢٦ إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر) .

ومحمد ﷺ بشر ، فمن قال إنه قول محمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر .

• وأما قوله تعالى (٦٩ : ٤٠ ، ٤١ إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر) فالمراد أن الرسول بلغه عن مرسله ، لا أنه قوله من تلقاء نفسه !

. . .

٤٣ — الوحى ، قال تعالى (٥٣ : ٣ ، ٤ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)

• والضمير فى قوله تعالى (إن هو إلا وحى يوحى) يرجع إلى القرآن الكريم ، وإلى ما ينطق به الرسول ﷺ مطلقا .

. . .

٤٤ — الإمام : قال تعالى (١٧ : ٧١ يوم ندعو كل أناس بإمامهم)

• والإمام : هو المؤتم به إنساناً كان أو كتاباً أو غير ذلك .

• ولا شك أن القرآن هو الإمام المعصوم من الخطأ والزلل والوهم والاضطراب والفساد والانحراف .

. . .

٤٥ — النبأ : قال تعالى (٣٨ : ٦٧ ، ٦٨ قل هو نبأ عظيم ، أنتم عنه معرضون) .

• والنبأ : الخبر ، وأنبأ : أخبر ،

ومنه اشتق النبي .

• وأما قوله تعالى (٧٨ : ١ ، ٢ عم يتساءلون ؟ عن النبإ العظيم) .

فقد ذكر المفسرون فى تفسير النبإ العظيم ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه هو القيامة .

والثانى : أنه القرآن .

والثالث : أنه النبى ﷺ .

. . .

٤٦ — حق اليقين : قال تعالى (٦٩ : ٥١ وإنه لحق اليقين)

• قال قتادة : « إن الله ليس بتارك أحداً من الناس حتى يقفه عن اليقين من هذا القرآن ، فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة ، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين »

. . .

٤٧ — الرسالة : قال تعالى (٥ : ٦٧ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) .

. . .

٤٨ — الصدق : قال تعالى (٣٩ : ٣٣ والذى جاء بالصدق وصدق به)

. . .

٤٩ — المصدق : قال تعالى (٦ : ٩٢ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه)

(يتبع) محمد جميل غازى

صدر كتاب :

أسماء القرآن في القرآن

دراسة جديدة ومفيدة فى ١٦٠ صفحة

ثمن النسخة ١٥ قرشاً

يطلب من : مسجد التوحيد : ٢٠ شارع العزيز بالله بالزيتون
المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ٨ شارع قولة عابدين

من مفردات القرآن

— ٤ —

تفسير سورة البقرة

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

• هذه [فصول] فى التفسير . .

• و [نقول] عن تراجمة القرآن . .

• و [محاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم على ضوء [اللفظ المفرد] . .

---

٤ — الكتاب

[ذلك الكتاب لا ريب فيه] البقرة / ٢

٥٠ — التصديق: قال تعالى: (١٢ . ١١١ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه)

• إن الصدق يحوط القرآن الكريم من جهاته كلها :

• وإذا كانت الرسالة لاتتم إلا بأركان أربعة :

المرسِل : وهو الله سبحانه وتعالى .

المرسَل : وهو الرسول الخاتم .

والرسالة : وهى القرآن الكريم .

والمرسَل إليهم : وهم العالمون

• فإن القرآن قد بين أن الله سبحانه وتعالى قد شهد على صدق القرآن : (٤:١٦٦ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه)

كذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم آمن بصدق القرآن ، قال : تعالى : (٢ . . ٢٨٥ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)

كما تحدث القرآن الكريم عن الرسالة والمؤمنين بها ، فقال (٣٩ . ٣٣ والذى جاء بالصدق وصدّق به)

قال ابن زيد ومقاتل : وقتادة : « الذى جاء بالصدق » النبى صلى الله عليه وسلم ، و « الذى صدق به » المؤمنون.

* * *

٥١ ـ العجب : قال تعالى . (٧٢ : ١ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا)

• وقوله تعالى : (عجبا) وصف لنظم القرآن وإعجازه البيانى .

• وقوله : (يهدى إلى الرشد) وصف لمعانيه ، ولما اشتمل عليه نظمه العجيب من معان كريمة ، مضيئة بنور الحق .

• وإنما كان القرآن الكريم قرآنا عجبا ، لأسباب كثيرة ، منها :

— النظم البديع المخالف لكل نظم معهود فى لسان العرب ، وفى غيره .

— الجزالة التى لا يقدر أن يأتى بها مخلوق ، مهما كانت قدرته وبلاغته .

ـ التصرف فى لسان العرب على وجه لا يستقل به عربى ، بل لا بد فيه من اتفاق سائر الناطقين باللغة .

ـ الإخبار عن الأمور التى تقدمت من أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمى ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه.

ـ الإخبار عن المغيبات فى المستقبل ، والتى لا يمكن الاطلاع عليها إلا من طريق الوحى .

ـ العلم بالحلال والحرام ، وبسائر الأحكام .

ـ الحكم البالغة التى لم تجر العادة بأن تصدر ـ بهذه الكثرة والوفرة والسمو ـ من آدمى .

ـ التناسب فى جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف .

* * *

٥٢ — الآيات البينات : (٢٩ : ٤٩ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) .

• والآية : هى العلامة ، بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها من الذى بعدها ، وانفصاله عنه .

• وقيل : سميت آية ، لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه ، كما يقال : خرج القوم بآيتهم ، أى : بجماعتهم .

• وقيل : سميت آية لأنها عجيبة

يعجز البشر عن التكلم بمثلها .

• قال القرطبي : قوله تعالى :(٢٩ . ٤٩ بل هو آيات بينات) يعني . القرآن :

* * *

٥٣ ـ فضل الله : قال تعالى : (١٠ : ٥٨ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)

• روي عن مجاهد أن المراد بهما واحد ، وهو القرآن ، وهو مردود

ـ وروى أبو الشيخ وابن مردويه من حديث أنس مرفوعاً : « فضل الله » : القرآن ، ورحمته : أن جعلكم من أهله :

* * *

٥٤ ـ الكوثر : قال تعالى :(١٠٨ : ١ إنا أعطيناك الكوثر) الكوثر ـ في اللغة ـ فوعل من الكثرة ، وهو المفرط في الكثرة.

وقد اختلف المفسرون في الكوثر الذي أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوه،منها : أنه القرآن والنبوة .

* * *

٥٥ ـ المنادي : قال تعالى : (٣ : ١٩٣ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا)

• قال شيخ المفسرين الطبري : اختلف أهل التأويل في تأويل المنادي الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية ،فقال بعضهم المنادي في هذا الموضع : القرآن .

ثم يقول : وقال آخرون : بل هو محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم يقول : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول محمد بن كعب ، وهو أن يكون المنادي القرآن ، لأن كثيراً ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولا عاينه ، فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن .

* * *

خاتمة : (المصحف) .

• لم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم ، كما لم يرد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم إنما ورد على ألسنة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأول من أطلقه على القرآن الكريم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، بمحضر من الصحابة،ثم شاع وكثر استعماله كما رواه البخاري وغيره من الثقات .

محمد جميل غازي

من مفردات القرآن

- ٥ -

تفسير سورة البقرة

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

- هذه (فصول) فى التفسير ..
- و (نقول) عن تراجمة القرآن ..
- و (محاولة) جديدة ، لفهم القرآن الكريم على ضوء (اللفظ المفرد) .

الختم

(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) البقرة ٧

(فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) البقرة ١٠

- تحدث القرآن الكريم عن القلوب المريضة فى اثنتى عشرة آية ، من آياته وبين أن هذا المرض يصاب به المنافقون ، كما يصاب به المترددون بين الإيمان والكفر؛ تفهم ذلك من قوله تعالى : (٨ : ٤٩ إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) . — فجمع بين المنافقين والذين فى قلوبهم مرض .
- وكذلك قوله تعالى : (٣٣ : ١٢ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله إلا غرورا) .. (٣٣ : ٦٠ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا) .
- وقد يذكر — فى الآية — مرضى القلوب وحدهم . وحينئذ يكون المقصود بهم المنافقين ، كما جاء فى قوله تعالى: (٢ : ١٠ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) . (٥ : ٥٢ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) . (٤٧ : ٢٩ أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) .

• أوصاف قلوب المنافقين والكافرين:

ولقلوب المنافقين والكافرين فى القرآن الكريم عشرون وصفاً .

• الأول : (الختم) - وهو الطبع - كما فى قوله تعالى: (٢ : ٧ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) فالآية تشير إلى أن الإنسان الذى يصر على اعتقاده الباطل ويتعامى عن دلائل الإيمان وأماراته ثم يمضى على وجهه ، لا يلتفت إلى الحق ، ولا يؤمن به ولا يفكر فيه ، إنما هو إنسان مطموس البصيرة . أعمى القلب ، مظلم الفطرة .

وقد قال الجبائى — فى تفسير الختم وتعليله — : إن الله تعالى يجعل الختم على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على كفرهم ، فلا يدعون لهم .

وهذا كلام غريب لا تطمئن إليه النفس وقد قال الراغب فى رده : وليس ذلك بشىء ، فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها أصحاب التشريح ، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال .

إنما الذى تطمئن إليه النفس ، أن معنى (الختم) تعالى شهادة الله على قوم من الكافرين والمنافقين أنهم لا يؤمنون !!

• الثانى : (الطبع) وهو : تصوير الشىء بصورة ما ، ومنه قوله تعالى: (٦٣ : ٣ فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (٤ : ١٥٥ بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) .

* * *

• الثالث : (الضيق) وهو ضد السعة ، ويقال: الضيق أيضاً ، ويستعمل فى الفقر والبخل والغم ، ونحو ذلك ، قال تعالى: (٦ : ١٢٥ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كأنما يصعد فى السماء) والصدر الضيق ، هو الصدر الذى تخنقه الأحزان ، وتغتاله الأوهام ، وتنسفه الآلام .

* * *

• الرابع : (المرض) وهو الخروج عن حد الاعتدال ، وقد يكون حسياً كما فى قوله تعالى : (ولا على المريض حرج) ، وقد يكون نفسياً كالشك والشرك والنزوة والشهوة ، وخبث النية ، وفساد الطوية وما إلى ذلك من أدواء القلوب ورذائلها ، وقد عبر الله عن كل أولئك بقوله (٢ : ١٠ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) .

* * *

• الخامس: (الرين) ، وهو: ضد

يعلو الشيء الجليل الثمين ، وليس هناك أثمن من قلب الانسان . ولا أضر عليه من الرين الذى يعتريه فيعميه ، قال تعالى : (١٣ : ١٤ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

* * *

• السادس: (الكبر) وهو إعجاب الانسان بذاته ، وعبادته لنفسه ، إنها حالة مرضية ، إذا وصل الانسان إليها رأى نفسه أكبر من الناس جميعا ، بل ربما استفحل داء الكبر فى نفس الانسان ، فيتكبر على الله الذى خلقه وبرأه ، فيرفض قبول الحق الذى أنزله ، ويأبى الاذعان له بالعبادة . قال تعالى : (٤٠ : ٥٦ إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) .

* * *

• السابع: (القساوة) وهى غلظ القلب وموت العواطف النبيلة منه موتاً أبدياً ، فيصبح قلباً عقوراً مدمراً ، يحن إلى الدماء ويطرب لوقع السياط على جلود الآخرين

قال تعالى : (٣٩ : ٢٢ فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله) ، (٢ : ٧٤ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) .

* * *

• الثامن: (الانصراف) تحويل الشيء من حالة إلى حالة ، وهكذا حول المنافقون قلوبهم من الرحمة والحنان والحب ، إلى العبوس والقنوط والكراهية ، حولوها من الإيمان إلى الكفران ، من اليقين إلى الشك ، من الفطرة إلى الظلمات .

قال تعالى : (٩ : ١٢٧ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم)

* * *

• التاسع: (حمية الجاهلية) والحمية هى الغضب ، حينما يثور ويفور ويشتد ، وينسى معه الانسان الحق والحقيقة ، ولا يبقى عنده شيء إلا صرخات الدم ، وعواء الانتقام ، وحب السطو على كل مؤمن وآمن .

قال تعالى : (٤٨ : ٢٦ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) .

* * *

• العاشر : (الإنكار) وهو ضد العرفان ، ومبعثه رفض القلب لكل جديد ولو كان حقاً ، وإلفه لكل قديم ولو كان باطلا ، إنه قلب يستمد معارفه - أو ما يسميه بالمعارف - من الموروثات من حوله دون بحث أو درس أو تمحيص ، إنه بدأ منكراً ، ويستمر منكراً ، وينتهى منكراً .

قال تعالى: (١٦ : ٣٢ قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) . ومن هنا نرى أن الانكار وليد الاستكبار .

* * *

• الحادى عشر: (الغفلة) وهى: سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتيقظ: قال تعالى: (١٨ : ٢٨ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) .

ويصبح الأمر فرطا ، والقلب منحلا ؛ إذا غفل عن ذكر الله ، وأعرض عن هداه !

* * *

• الثانى عشر: (العمى) وهو افتقاد البصر أو البصيرة ، والثانى هو المراد هنا :

وأشد العمى عمى البصيرة ، بل هو العمى على الحقيقة ، قال تعالى: (٢٢ : ٤٦ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

وحينما تعمى القلوب — وقانا الله وحمانا - فإنها لا تفرق بين الحق والباطل ولا بين الايمان والكفر ، ولا بين الخير والشر ، ولا بين المعروف والمنكر .

* * *

• الثالث عشر: (الاشمئزاز) وهو: النفور ، وقلوب الكافرين نافرة من كل ماهو حق ، مقبلة على كل ماهو باطل .

ثم هى مع نفورها متبرمة قلقة خائفة مهددة .. لأنها ترى أن دعوة الحق تفضح كل باطل ، وتخزى كل شر ، وتزهق كل منكر .

قال تعالى: (٣٩ : ٤٥ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) .

وأعرف من هذا الصنف كثيراً ، تحدثت معهم ، شرحت لهم ، ناظرتهم ، دعوتهم إلى التوحيد ، ونبذ الشرك والتقليد ، ولكنهم رفضوا ، واستكبروا ، وقعدوا لى بكل طريق ، يوعدون ، ويصدون ، ويهددون ويتوعدون .

كانوا يشمئزون إذا ذكر الله وحده .

ويستبشرون إذا ذكر الذين من دونه !

* * *

• الرابع عشر: (الزيغ) وهو الميل عن الاستقامة ، ومجانبة صراط الله ، إلى طرق كثيرة ، أقامها الشيطان ودعا إليها ، قال تعالى: (٦١ : ٥ فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم) !

* * *

• الخامس عشر: (الريب) وهو الشك والظنة والاتهام ، وكذلك هم يقضون عمرهم فى تفريخ الشائعات ، وإرسال التهم

جزافاً وبلاحساب . وتلك طبيعة نعرفها لأعداء الحق دائماً ، لايواجهون الحجة بالحجة ولكن يواجهونها بإثارة الشبهات والشكوك والنحل الفاسدة ، والافتراء . قال تعالى : (٩ : ٤٥ وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) .

وتميط الآية اللثام عن حقيقة الحقائق ، وهى أن الريب لن يقتل إلا صاحبه ، سيجعله يعيش دائماً فى اضطراب وقلق وتردد ، وكذلك هم ، كما عرفناهم .

* * *

• السادس عشر : (النفاق) وهو : الدخول فى الإسلام من باب ، والخروج منه من باب آخر . هو إظهار الإيمان ، وإضمار الكفر ...

ويجعل القرآن المنافقين فى درجة أحط من درجة الكافرين قال تعالى : (٩ : ٧٧ فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) . لماذا ، (بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون) .

* * *

• السابع عشر : (الغمرة) وهى - فى أصل الوضع اللغوى - تقال : للماء حينما يزداد ويتكاثر حتى يستر مقره . وكذلك قلوب الكافرين والمنافقين يغمرها الجهل ، ويغرقها الضلال !

قال تعالى : (٢٣ : ٦٣ بل قلوبهم فى غمرة) .

* * *

• الثامن عشر : (اللهو) وهو : انشغال الإنسان بما يلهيه عما يعنيه ، قال تعالى : (٢١ : ٣ لاهية قلوبهم) أى : ساهية مشتغلة بما لايفيدها فى دينها وآخرتها !

وما أكثر القلوب اللاهية فى زماننا هذا ! بل ما أكثر اللهو الذى اكتسح بطوفانه القلوب !

إنه لهو ، يقدم بكل صورة ، ويظهر فى كل طريق ..!

ولقد تعددت مجالات اللهو ، وتعددت فنونه ، وكثر القوامون عليه ، والمنتفعون منه !

وأصبح لدعاة اللهو والمجانة ، مكانة ليست لدعاة الحق والهدى !

* * *

• التاسع عشر : (الأكنة) وهى : الأغطية ، التى تحجب أى شعاعة للخير ، حتى لاتدخله ولاتستقر فيه .

قال تعالى : (٦ : ٥٦ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً) .

* * *

• العشرون : (الإثم) وهو : كل فعل يبطىء عن الثواب ، ويؤخر عن الأجر ، وهو — كما قال الرسول ﷺ — « ماحاك فى صدرك ، وخشيت أن يطلع عليه الناس ، وقلوب المنافقين تحملت الإثم ، ورضيت به ، وما فكرت أن تتوب منه أو تستغفر ، ولذلك أصبح الإثم صفة ثابته لهذه القلوب ، قال تعالى : (٢ : ٢٨٣ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) .

* * *

• أوصاف قلوب المؤمنين •

وتقابل هـــذه الأوصاف العشرين أوصاف أخرى لقلوب المؤمنين .

• الوصف الأول منها : (السلامة) وهى : الخلو من الآفات الظاهرة والباطنة ، قال تعالى : (٢٦ : ٨٨ ، ٨٩ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) . (٣٧ : ٨٣ ، ٨٤ وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم) .

* * *

• الثانى : (الإنابة) وهى الرجوع إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل ، قال تعالى : (٥٠ : ٣٢ ، ٣٣ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) .

• الثالث (الاطمئنان) وهو السكون بعد الانزعاج ، قال تعالى : (١٣ : ٢٨ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

* * *

• الرابع : (الهداية) وهى الوصول إلى الحق ، مع وضوح البرهان ، واستقامة الدليل ، قال تعالى : (٦٤ : ١١ ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى : يدله إلى الطريق القويم المستقيم .

* * *

• الخامس : (الربط) يقال : فلان رابط الجأش ، إذا قوى قلبه . ولاشك أن المؤمن أقوى الناس قلباً ، وأثبتهم جناناً ، لا تزعزعه الأهوال ، ولا تفزعه المخاوف ، مهما اشتدت واستبدت ، قال تعالى : (٢٨ : ١٠ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها) . وقال تعالى : (١٨ : ١٣ ، ١٤ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا) .

* * *

• السادس : (التقوى) وهى : حفظ

الشيء مما يؤذيه ويضره ، وهى فى العرف الشرعى : حفظ النفس عما يؤثم .

قال تعالى : (٢٢ : ٣٢ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) .

• السابع : (السكينة) وهى : زوال الرعب والخوف والفزع ، ولا يكون ذلك إلا فى البعد عن الشهوات والشبهات .

قال تعالى : (٤٨ : ٤ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) .

• الثامن : (الرأفة والرحمة) ، والرحمة : رقة تقتضى الاحسان إلى المرحوم قال تعالى : (٥٧ : ٢٧ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) .

• التاسع : (الخشوع) وهو الضراعة والفرق بينه وبينها ، أن الخشوع أكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب .

قال تعالى : (٥٧ : ١٦ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) .

• العاشر : (الشرح) وشرح الصدر ، بسطه بنور إلهى وسكينة من الله وروح منه .

قال تعالى : (٩٤ : ١ ألم نشرح لك صدرك) وقال سبحانه : (٦ : ١٢٥ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)

• الحادى عشر : (الشفاء) وهو البرء ، وقد أنزل الله كتابه ليكون شفاء وحياة ونجاة للقلوب من الأمراض التى تعتريها ، قال تعالى : (٩ : ١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) وقال عزوجل : (١٠ : ٥٧ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور) .

• الثانى عشر : (نزع الغل) والغل ، هو العداوة والبغضاء ، وإنما يكون هذا أعظم ما يكون فى الجنة مستقر رحمة الله ، قال تعالى : (١٥ : ٤٧ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)

• الثالث عشر : (الثبات) وهو : ضد الزوال ، وإنما يقال لكل ما كان ثباته بالبصر أو بالبصيرة .

قال تعالى : (١١ : ١٢٠ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقال سبحانه : (٢٥ : ٣٢ كذلك لنثبت به فؤادك) .

• الرابع عشر : (الطهارة) وهى نوعان : طهارة جسم ، وطهارة قلب ، ومن الثانى قوله تعالى : (٣٣ : ٥٢ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم

أطهر لقلوبكم وقلوبهن) .

• الخامس عشر : (الوجل) وهو : استشعار الخوف ، قال تعالى : (٨ : ٢ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)

• السادس عشر : (الإخبات) وهو اللين والتواضع والخشوع ، ومنه قوله تعالى : (٢٢ : ٥٤ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم) .

• السابع عشر : (التمحيص والامتحان) والتمحيص ، هو : التخليص من الشوائب والخبائث ، قال تعالى : (٣ : ١٥٤ وليبتغلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم) .

والامتحان ، هو : الابتلاء والاختبار قال تعالى : (٤٩ : ٣٠ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) .

• الثامن عشر : (الألفة) وهى اجتماع مع التئام ، وهكذا المؤمنون ، صفوفهم موحدة مترابطة ، كمثل الجسد الواحد ، والبنيان المرصوص ، قال تعالى : (٨ : ٦٢ ، ٦٣ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) .

• التاسع عشر : (اللين) وهو : ضد الخشونة ، ويستعمل ذلك فى الأجسام ، ثم يستعار للخلق وغيره من المعانى ، كما قال الراغب فى مفرداته . قال تعالى : (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) .

• العشرون : (الإيمان) وهو إذعان القلب للحق ، وتقبله له ، وسعادته به . قال تعالى : (٥٨ : ٢٢ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) .

• • هذه أوصاف القلوب .. قلوب المؤمنين ، وقلوب الكافرين ، ولا يملك من يقرأها ويتدبرها إلا أن يدعو الله سبحانه بهذا الدعاء المؤمن المخبت الذى كان الرسول ﷺ يردده فى إصباحه وإمسائه : « اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك »

(وبعد) : فإن ماجاء فى القرآن الكريم عن القلوب وأدوائها وشفائها ، يعتبر — لو أحسن فهمه ودراسته واستيعابه — أساسا « لعلم القلب القرآنى » أو على حد تعبير أهل هذا العصر : « علم النفس القرآنى ..

نماذج بشرية

"ومن الناس"

محمد جميل غازي

(الآيات ٨ - ١٦ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

* * *

. ومن الناس .

لفظ تفتتح به بعض الآيات القرآنية ، أو يجيء في خلالها، وأغلب الظن أنه يذكر في معرض الحديث عن المنافقين خاصة .

وقد جاء هذا التعبير في القرآن الكريم عشرة مرات :

في سورة البقرة : الآية ٨ -

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

الآية ١٦٥ - (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله ، ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً، وأن الله شديد العذاب) .

الآية ٢٠٠ - (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق) .

الآية ٢٠٤ - ٢٠٦ - (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) .

وفى سورة الحج : الآية ٣ ، ٤ -

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه ، فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) .

الآية ٨ - ١٠ (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) .

الآية ١١ ، ١٣ (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ، يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) .

وفى سورة العنكبوت : الآية ١٠

(ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) .

وفى سورة لقمان : الآية ٦ -

(ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) .

الآية ٢٠ (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) .

* * *

ومن خلال هذه المواضع العشرة نلتقى بنماذج للمنافقين :

* فأنت تلتقى بالمنافق المخادع الذى يعلن الإيمان شعاراً ودثاراً ، ثم يخفى فى حناياه الكفر الدنىء الوبىء .

* وأنت تلتقى بالمنافق الذى يبعثر هواه فى كل اتجاه ، ويلقى بمشاعره وعواطفه وحبه تحت أقدام (الأنداد) التى عبدها من دون الله ، ثم يحرق قلبه (بخوراً) فى معابدها وهياكلها !! .

* وأنت تلتقى بالمنافق (العليم اللسان) الحشون الجبان ، فيعجبك مقاله وتغضبك فعاله !

* وأنت تلتقى بالمنافق (الخائر) العزيمة (الخاسر) الصفقة ، الذى يتخلى عن دينه

عند أول أمتحان ، ليولى الأدبار عند أول أبتلاء !

* وأنت تلتقى بالمنافق الذى يبيع (قرآن الله) ودينه بالمعازف والملاهى ، والأدب الرخيص ، والفن العارى . والفكر المستورد!

* وأنت تلتقى بالمنافق السفيه الذى يقضى وقته فى (الجدل) و (المراء) و (المكابرة) دون رغبة فى الحق أو الوصول إليه ! !

* وأنت تلتقى بالمنافق الذى يجادل فى الله بغير علم لا يستصحب حجة ولا دليلا ولا برهاناً ولا كتاباً منيراً ، وإنما يحمل فى فؤاده النزق والهوس والجنون والمجون والطيش والسفه والاستهزاء !

* وأنت تلتقى بالمنافق الذى يرى أن العقيدة مجال مقامرة ومغامرة ومتاجرة (فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) ! !

أرأيت الى هذه (النماذج البشرية) وكيف صورتها آيات القرآن ؟ أرأيت كيف عبرت الآيات أصدق تعبير عن حركات الوجوه ودخائل النفوس ، وكوامن القلوب ؟ أرأيت . . . ؟

ونعود إلى الآيات التى صدرنا بها هذه (النماذج البشرية) وهى آيات من سورة البقرة المدنية .

وفى هذه الآيات تصوير لبعض النفوس البشرية وما فيها من التواء وعتامة وحيرة وخداع

انها نفوس لا تقوى على تحديد موقفها وتخاف أن تعرف بنفسها فلا هى مع الايمان الصريح ، ولا هى مع الكفر الصريح .

إنهم يدعون الإيمان بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ويدعون انهم مصلحون وهم مفسدون ، ولكن لا يشعرون ويدعون أنهم ليسوا بسفهاء . . وهم سفهاء ، ولكن لا يعلمون إنهم يقضون عمرهم فى اللف والدوران ، والخداع والتمويه . . ومايخدعون الا أنفسهم وما يشعرون .

وهم مع هذا كله ، وبرغم هذا كله يتربعون على جماهير الناس وعلى تصورهم للأمور . . .

ويعرض علينا هذا النص الكريم وأمثاله حقيقة كبيرة ، جديرة بأن يتدبرها المؤمنون ليطمئنوا ويثبتوا ويثقوا بأنهم على الطريق المستقيم ويتدبرها أعداء المؤمنين ليفزعوا ويرتاعوا ويرتابوا ويعلموا أن نوايا قلوبهم وطوايا نفوسهم ، وخفايا ضمائرهم لا تخفى على الله العليم بالسرائر والضمائر

وهذه الصفات التى تحملها الآيات لا تتوقف عند زمان ، ولا يحدها مكان بل تلتقى بها كل يوم ، فى كل أرض ! !

إن نصوص القرآن لا تتقيد (بأسباب النزول) فهى أوسع و أشمل وأبقى وأخلد وقد أعطتنا هذه الآيات بعض أخبار المنافقين

وكشفت لنا الستار عن المخبوء من أسرارهم فما عاد يحجبهم عنا حجاب ، وما عاد يخفيهم عنا نقاب .

إنهم قوم سدت فى وجوههم كل منافذ العلم والحكمة والنور فلم يعودوا يبصرون. ولا يسمعون ، ولا ينطقون ، ولا يفقهون .. (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً .)

وبرغم الحيرة التى استولت عليهم ، والضلال الذى أخذ عليهم كل طريق ، نراهم مشغولين بالدعاوى العريضة ، دعاوى الإيمان والاصلاح والتقوى مجرد كلام يقولونه ، لا يقين يلتزمونه .

(يخادعون الله والذين آمنوا) هكذا يتوهمون ، ولكن الحقيقة تصيح بهم ، أنهم (ما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون) .

ثم يمضون فى طريقهم العابث فيزعمون أنهم يستهزئون بالمؤمنين وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون) أرأيت كيف يستهزىء الباطل بالحق ، والغواية بالهداية ، والنفاق باليقين؟ أرأيت ؟ ولكن .ماذا وراء هذا الاستهزاء الرخيص ماذا أمامه؟ لا شىء الا ضحكة بلهاء عريدة . ثم يخرس اللسان البذىء الردىء إلى الأبد (الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) ولا يقولن قائل : كيف يستهزىء الله وقوله فصل ليس بالهزل ، وحكمه دائماً عدل وفصل ؟

فهذا فن بليغ من فنون القول ، اسمه (المشاكلة) نراه فى غير موضع من الكتاب الكريم (٤٢ : ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها) (٢ : ١٩٤ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) والجزاء لا يكون سيئة والقصاص لا يكون اعتداء. لأنه حق وواجب وكذلك ما نحن بصدده من قوله تعالى : (الله يستهزىء بهم) (٢ : ١٥ ومكروا ومكر الله) (٨٦ : ١٥ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً) إذ ليس منه سبحانه ومكر ولا هزء ولا كيد إنما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم وكيدهم ، ومثله (٤ : ١٤٢ يخادعون الله وهو خادعهم) (٩ : ٧٦ فيسخرون منهم سخر الله منهم)

* إن الآيات الكريمة فى هذا النص الكريم وغيره . . تتبع دعاوى النفاق فتدحضها واحدة تلو الأخرى . . .

فهم فى أول هذا النص الكريم ، قالوا : (آمنا بالله وباليوم الآخر) وهى كما ترى دعوى لا تحمل معها أى دليل . . ولذلك يردها الله حيث يقول : (وما هم بمؤمنين) !

وفى قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين) إدخال لهم فى زمرة الكافرين أو فيما دون زمرة الكافرين !

ومن عجيب ما قرأت أن « محمد بن كرام

السجستانى، الذى تنسب إليه فرقة (الكرامية) يرى أن الإيمان قول باللسان، وإن لم يعتقد القلب، محتجاً بقوله تعالى: (٥: ٨٥ فأثابهم الله بما قالوا) إذ لم يقل: بما قالوا وأضمروا، وبقوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم».

وأقول، كما يقول القرطبى (الجزء الأول ص ١٩٣): «وهذا منهم قصور وجمود وترك نظر لما نطق به القرآن والسنة من العمل مع القول والاعتقاد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان[1]».

وأقول، كما يقول القرطبى أيضاً: «فما ذهب إليه محمد بن كرام السجستانى وأصحابه هو النفاق وعين الشقاق، ونعوذ بالله من الخذلان، وسوء الاعتقاد».

* (فى قلوبهم مرض) مرض الضلال والحيرة (فزادهم الله مرضاً) مرض الحقد والحسرة، إذ نصر الله المؤمنين، وأعلى كلمة الدين.

* (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) لا تثيروا الحروب، ولا توقظوا الفتنة النائمة، ولا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين (قالوا إنما نحن مصلحون) هكذا... هكذا غرقوا فى الفساد حتى آلفوه، وعاشوا فى الضلال حتى استمرأوه، وحسبوه صلاحاً وهدى، كما قال الله تعالى: (٣٥: ٨ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) (٦: ٤٣ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) (١٨ ١٠٣ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً).

* وبعد أن نهوا عن المنكر، وقيل لهم: (لا تفسدوا فى الأرض) أمروا بالمعروف فقيل لهم: (آمنوا كما آمن الناس) وهذا أسلوب الإسلام وطبيعته، التخلية أولا، والتحلية ثانيا...

* ولكنهم هزئوا بالنهى وقالوا: (إنما نحن مصلحون)

وهزئوا بالأمر، فقالوا: (أنؤمن كما آمن السفهاء)!

وقال الله لهم، وقوله الحق: (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)!

* إنهم ألفوا الطغيان وحالفوه، فكانت عاقبة أمرهم ما قاله الله: (الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون).

ولهذه الآية نظائر فى الذكر الحكيم؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه.

كقوله تعالى : (١٩ : ٧٥ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) . (٣ : ١٧٨ إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً) (١٦ : ١١٠ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) .

والطغيان : الغلو فى العتو ، ومجاوزة الحد فى الكفر .

والعمه مثل العمى غير أن العمى عام فى عمى البصر ، وعمى البصيرة ، أما العمه فهو عمى البصيرة وحدها !

* (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) لم يكن لديهم هدى حتى يبيعوه ، ولا إيمان حتى يضيعوه ، وإنما كانت أسباب الهدى ميسرة لهم لو أرادوا ، وسبله ممهدة أيديهم لو أحبوا ، ولكنهم أخلدوا إلى الأرض واتبعوا هواهم ، واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير !

فكان عاقبة أمرهم خسراً (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) وهو تقرير لما هم عليه من خسران وبوار ، أو دعاء عليهم باستمرار الفشل والخسارة والصغار . .

* * *

ثم يضرب الله لهم . . ولغيرهم (الأمثال) ولنا مع هذه الأمثال لقاء ، فى عدد يأتى إن شاء الله تعالى ؟

محمد جميل غازى

اعلان للإخوة المشتركين بالمجلة

والمتبرعين للجماعة

حيث تم بحمد الله فتح الحسابين التاليين

الأول : باسم جماعة أنصار السنة المحمدية

ببنك القاهرة فرع الأزهر برقم ٦٧٧٢

والثانى : باسم مجلة التوحيد برقم ٦٧٧٥

فالرجا من جميع الهيئات والاخوة المتبرعين

إرسال تبرعاتهم للبنك المذكور بالحساب الأول رقم ٦٧٧٢

وعلى جميع المشتركين بالمجلة إرسال اشتراكاتهم

بالحساب الثانى رقم ٦٧٧٥ بنفس البنك

من مفردات القرآن

للأستاذ

محمد جميل غازى

الأمثـــــال

﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير ﴾

* * *

● وأصل المَثَل - بفتحتين - هو النظير والمشابه ، ويقال أيضاً : مِثْل - بكسر الميم وسكون الثاء - ويقال : مثيل ، كما يقال : شَبَه ، وشِبه ، وشَبيه . وبدل ، وبِدْل ، وبَديل ، ولا رابع لهذه الكلمات فى مجىء فَعَل ، وفِعْل ، وفعيل ، بمعنى واحد .

● وقد اختص لفظ المَثَل - بفتحتين - بإطلاقه على الحال الغريبة الشأن ، لأنها بحيث تمثل للناس وتوضح !

و « أمثال العرب » باب من أبواب بلاغتهم ، وقد خصت بالتأليف ، ويعرّفونه ، بأنه : « قول شبّه مضربه بمورده » !

● قال الزمخشرى فى كشافه : « ولضرب العرب الأمثال ، واستحضار العلماء

المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كالمشاهد .

ثم يقول : « ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين أمثاله ، وفشت في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء ، قال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

* * *

● وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للمنافقين مثلين ، في هذه الآيات التي صدرنا بها هذا البحث .

ففي المثل الأول : شبههم الله بقوم أوقدوا نارًا لتضيء لهم ، وينتفعوا بها ، فلما أضاءت لهم النار ، فأبصروا في ضوئها ماينفعهم ويضرهم ، وأبصروا الطريق - بعد أن كانوا حيارى تائهين - فهم كقوم مسافرين ضلوا عن الطريق ، فأوقدوا النار لتضيء لهم ، فلما أضاءت لهم - وأبصروا وعرفوا - طفئت تلك الأنوار ، وبقوا في الظلمات لا يبصرون ، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث - فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب مما يسمعه بأذنه ، ويراه بعينه ، ويعقله بقلبه - وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى ، فلا تسمع قلوبهم شيئاً ، ولا تبصره ، ولا تعقل ما ينفعها وقيل : لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، نزلوا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ، ولا عقل ، والقولان متلازمان .

● وقال الله تعالى في صفتهم (فهم لا يرجعون) لأنهم قد رأوا في ضوء النار ، وأبصروا الهدى ، فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا .

وتأمل قوله تعالى : (أضاءت ما حوله) كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً ، ولو أن الضوء كان متلبساً به ، داخلاً فيه ، لما ذهب .. لكنه كان ضوءا عارضاً ، والظلمة أصلية ، فرجع إلى معدنه ، وبقيت الظلمة في معدنها !

وتأمل قوله تعالى : (ذهب الله بنورهم) إنه لم يقل : بنارهم ، ليطابق أول الآية ، ولأن النار فيها « إشراق » و « إحراق » فذهب بما فيها من « الإشراق » - وهو النور - وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق - وهو النار - !

❁ وتأمل كيف قال : (بنورهم) ولم يقل : بضوئهم ، مع قوله : (فلما أضاءت ما حوله) لأن الضوء زيادة فى النور ، فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشىء وزيادة . وأيضاً ، فإنه أبلغ فى النفى ، وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم !!

❁ وتأمل مطابقة هذا المثل - لما تقدمه من قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) كيف طابق هذه التجارة الخاسرة ، التى تضمنت هول الضلالة والرضا بها - بدلاً عن النور - فبذلوا الهدى والنور ، وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة ، فيا لها من تجارة ما أخسرها ، وصفقة ما أشد غبنها !

❁ وتأمل كيف قال تعالى : (ذهب الله بنورهم) فوحده ، ثم قال : (وتركهم فى ظلمات) فجمعها ؛ فإن الحق واحد ، وهو صراط الله المستقيم - الذى لا صراط يوصل إليه سواه - وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا بالأهواء والبدع .. بخلاف طرق الباطل فإنها متعددة متشعبة ولهذا يفرد سبحانه الحق ويجمع الباطل ، كقوله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وقال تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فجمع سبيل الباطل ، ووحد سبيل الحق .

قال الحسن رضى الله عنه - معقباً على هذا المثل - هو المنافق أبصر ثم عمى ، وعرف ثم أنكر .

* * *

وفى المثل الثانى : شبه الله سبحانه وتعالى الهدى الذى هدى به عباده بالصيب ، لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر ، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له - فيما وراء ذلك - مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب ، وأن تلك الظلمات التى فيه ، وذلك الرعد والبرق ، مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب ؛ فالجاهل لفرط جهله - يقتصر على الإحساس بما فى الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد ، وتعطيل المسافر عن سفره ، والصانع عن صنعته ، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب فى الحياة والنفع العام ، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل ، لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب وهذه حال أكثر الخلق - إلا من سحب بصيرته - فإذا رأى ضعيف البصيرة ما فى الجهاد من التعب والمشاق ، والتعرض لإتلاف المهجة ، والجراحات الشديدة ؛ لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة ، والغايات التى إليها تسابق المتسابقون ، وفيها تنافس المتنافسون .

وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان ، الذى يرى ما فى القرآن من الوعد والوعيد ، والزواجر والنواهى ، والأوامر الشاقة على النفوس التى تفطمها عند رضاعها من ثدى المألوفات والشهوات - والفطام على الصبى أصعب شىء وأشقه - والناس كلهم صبيان العقول إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء ، وأدرك الحق علماً وعملاً ومعرفة ، فهو الذى ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ، ويعلم أنه حياة الوجود .

* * *

هذا كلام ابن القيم رحمه الله حول المثلين نقلته ببعض التصرف وهو كلام - كما ترى - ينبغى أن يتأمله المسلم ويتفهمه ! .

ولقد عرفت - وعرفت - من المثلين كيف أن المنافقين فقدوا النور والأمان فى هذه الحياة الدنيا.

وتوضح لنا « سورة الحديد » كيف أنهم فقدوا النور والأمان فى الحياة الآخرة كذلك يقول الله تعالى : (٥٧ : ١٢ - ١٥ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ، يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير).

وهكذا ، ضاع من المنافقين كل شىء ، الأمل ، والأمان ، والنور وعاشوا حيارى يضربون فى بيداء الحياة دون وازع ، أو هادٍ ، أو مرشدٍ أمين !.

وصدق الله العظيم (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور).

محمد جميل غازى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِى السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) صدق الله العظيم

الآيات من ٣٨ إلى ٤٠ من سورة فاطر

الفتاوى

رسالة من السودان

للأستاذ

محمد جميل غازى

● عزيزى الأستاذ الأخ محمد جميل غازى .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد :

أنا ماروى محمد أحمد الرجل الذى أجرى معك مناقشة فى شأن الطرق الصوفية بمنزل الأخ صديق محمد خير (بالأبيض — السودان) فى عصر آخر يوم من أيام زيارتك للأبيض ، وظللنا معك إلى أن وصلنا إلى المطار .

وإن من بواعث الأسف حقًا عدم وجود الوقت الكافى لمناقشة ما دار فى المحاضرات التى ألقيتها فى الأبيض ، والتى كان لها وقع عظيم فى نفوسنا) .

أنا رجل لى طريقة صوفية منذ حقبة من الزمن ، ولم أجد الفرصة الكافية لمعرفة حقيقتها . .

وقد رأيت أنه من الضرورى أن أبعث إليكم بهذه الأسئلة لعلى أجد فى ردكم ما يقطع شكى .

وخاصة أنه منذ سفركم — وحتى كتابة هذه السطور — لم تبارحنى هذه الشكوك . . . ولا لحظة ! !

● ١ — ذكرت لنا فى محاضرتك (بناى الإصلاح) تحت عنوان : ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ إنه ليس هناك أقطاب ولا أغواث ولا بدلاء ولا أنجاب ولا أوتاد .

وبعد البحث فى مسند الإمام أحمد ـ المجلد الأخير ـ وجدت حديثاً يثبت الأبدال ، وذكر الحافظ السيوطى أنه حديث متواتر ، نرجو الإفادة عن صحة هذا الحديث ؟

● ٢ — ما هن الوسيلة ؟ وما معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ .

● ٣ — ما هو الدليل على أن الصوفية بدعة ؟

● ٤ — إن الآيات التى كنت تستدل بها ؛ معظمها نزل فى المشركين فهل تجوز مخاطبة المسلمين بها ؟[1] .

* * *

ثم يقول الأخ ماروى :

إن الإجابة على هذه الأسئلة هام ؛ لأن من عاش على الشك مات هما .

ونحن نتقدم إليكم بالشكر لما قدمتم لنا من فوائد ، وأنا الآن أقرأ فى صحيح البخارى ، وقد انتهيت من مجلدين وأمامى الثالث .

وإن دل هذا فإنما يدل على أثر محاضراتكم التى بعثت فينا روح البحث والمعرفة ، جزاكم الله عنا خير الجزاء ، ووفقكم لما فيه إسعاد البشرية ، والسلام .

ماروى محمد أحمد

الأبيض — السودان هيئة توفير المياه

قسم حفر الآبار الجوفية

● عزيزى الأستاذ الأخ ماروى محمد احمد

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

---

(١) نكتفى بعرض هذا القدار من أسئلة الأخ الكريم ، لأنها — فى نظرنا — أهم من غيرها .

فلقد سررت لما قرأته فى رسالتكم من إقبالكم على قراءة صحيح البخارى ، وغيره من كتب السنة النافعة ، وهذا - ولله الحمد والمنة - بدء الطريق الصحيح للوصول إلى الله ، ومعرفة دينه الخالص ، البعيد عن البدع والخرافات ومحدثات الأمور .

وإنى أنتهز هذه المناسبة لأقول لك ، ولسائر إخوانك الذين وقعوا فى براثن الصوفية ؛ أن يتقوا الله فيما يقرأون من كتب ، فلا يقرأوا كتاباً إلا إذا ثبتت صحته .

ولا شك أن أهدى ما يقرأ هو : كتاب الله ، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ! ! .

أما أوراد مشايخ الصوفية وأحزابهم وكتبهم ، فهى - ولا شك - صارفة عن الحق ، مفرقة للأمة ، باعثة على الشقاق والفوضى .

نعوذ بالله من علم لا ينفع . .

ومن كتب باطلة ، تصرفنا عن كتاب الحق .

❁ وإليك - يا أخى - ما طلبت من إجابة ، على ما أرسلت من أسئلة :

١ - الأبـــدال

فى المسند حديثان عن الأبدال :

أحدهما : ماجاء فى مسند على عن شريح بن عبيد ، قال : « ذكر أهل الشام عند على رضى الله عنه - وهو بالعراق - فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف ، عن أهل الشام بهم العذاب » .

وثانيهما : حديث عبادة بن الصامت - مرفوعاً - « الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون ؛ مثل إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » .

والحديث الأول : من طريق شريح بن عبيد الحضرمي الشامي ، قال ابن عساكر : هذا منقطع بين شريح وعلي فإنه لم يلقه ، قال أحمد شاكر : هذا هو الصواب ، ووهم الهيثمي اغتراراً بما ذكره المزي في ترجمة شريح ، وقد تعقبه ابن حجر .

والحديث الثاني : ذكر الإمام أحمد سنده ومتنه ثم قال : فيه كلام غير هذا ، وهو منكر ، وهو من طريق الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة وفيه أمور :

الأول : إن في الحسن وعبد الواحد كلاماً شديداً (راجع ترجمتهما في التهذيب) .

الثاني : أن الحسن يدلس تدليساً شديداً ؛ يسمع الخبر من كذاب عن ثقة فيذهب ويرويه عن ذلك الثقة ويسقط اسم الكذاب .

الثالث : أن عبد الواحد بن قيس لم يدرك عبادة ؛

* * *

٢ - الوسيلة

● ورد لفظ (الوسيلة) في القرآن الكريم مرتين : في سورتي :

المائدة — الآية ٣٥ — ، والإسراء — الآية ٥٧ —

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) .

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً .

● والوسيلة — في اللغة — : القربة .

يقول الراغب : والوسيلة : التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من الوصيلة ،

لتضمنها معنى « الرغبة » وحقيقة الوسيلة إلى الله : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحرى أحكام الشريعة ، وهى كالقربة .

ويقول صاحب لسان العرب : الوسيلة — فى الأصل — : مايتوصل به إلى الشىء ، ويتقرب به إليه ، وذلك بعد أن فسر الوسيلة بالمنزلة عند الملك وبالقربة ، وقال : ووسل فلان إلى الله وسيلة ؛ إذا عمل عملا تقرب به إليه .

وجاء فى القاموس : الوسيلة والواسلة : المنزلة عند الملك ، والدرجة ، والقربة ، والوصلة ، وقال الجوهرى : الوسيلة : مايتقرب به إلى الغير ، والتوسيل والتوسل واحد ، يقال : وسل إلى الله تعالى توسيلا ؛ عمل عملا تقرب به إليه .

● ولا يكاد يخرج تفسير أئمة السلف لها عن هذه المعانى .

فقد روى تفسير الوسيلة بالقربة عن حذيفة ، وصححه الحاكم .

وروى ابن جرير عن عطاء ومجاهد والحسن وعبد الله بن كثير وقتادة فى تفسير الآية ، أنه قال : تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه .

وروى عن ابن زيد تفسيرها بالمحبة ، قال : (وابتغوا إليه الوسيلة) أى : تحببوا إلى الله ، وعن السدى : أنها المسألة والقربة .

وروى ابن الأنبارى : أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الوسيلة ، فقال : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك ، تكحلى ، وتخضبى

ولم يرو ابن جرير هذا ، وإنما استدل بالبيت على تفسير الوسيله بالقربة ، وإرادة القربة من البيت أظهر من إرادة الحاجة على أنه لا ينافيه ، كما أنه لا ينافيه تفسيرها بالمحبة .

* * *

● ومن استعراض ما قاله أئمة اللغة ونقلتها ، وما رواه أئمة التفسير بالمأثور ، يستطيع أن يقرر : أن الوسيلة هى : ما يتقرب به إلى الله تعالى .

والذى يتقرب به إلى الله تعالى هو : الواجب والمستحب .

أما المباح ، والمكروه ، والحرام فلا يتقرب به إليه سبحانه .

ولا يمكن معرفة الواجب والمستحب إلا عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم .

- فالوسيلة التى أمر الله الخلق بابتغائها ؛ هى التوسل إليه باتباع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

- ولكنه على الرغم من وضوح دلالة لفظ (الوسيلة) على معناه ؛ فإن الناس قد اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ؛ وإنما نشأ هذا الاختلاف لأنهم انحرفوا باللفظ عن وضعه اللغوى ومدلوله الشرعى ، وحملوه مالا يطيق من معان ومفاهيم ، يقول الإمام بن تيمية : « إن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ، ويعطى كل ذى حقه حقه ، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه ، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ، ومعنى ذلك ، ويعرف ما أحدثه المحدثون فى هذا اللفظ ومعناه ، فإن كثيراً من اضطراب الناس فى هذا الباب هو سبب ما وقع من الإجمال والاشتراك فى الألفاظ ومعانيها ، حتى تجد أكثرهم لايعرف فى هذا الباب فصل الخطاب .

* * *

٣ — الصوفية

الدليل على أن الصوفية بدعة هو اسمها نفسه . . فأنت لاتجد هذه الكلمة فى كتاب ولا سنة ، . . ولم ينطق بها واحد من الصحابة ! !

بل . . إن هذه اللفظة غريبة عن اللغة العربية ، ولا أدل على ذلك من اختلاف الصوفية ، حول تفسير لغوى لكلمة الصوفية . . . ! !

هذا من ناحية الشكل . . .

أما من ناحية المضمون ... فإنى أدعو السائل الكريم إلى مراجعة كتب الصوفية ليرى انحرافهم فى العقيدة ، والأخلاق ، والعبادة ... !

فهم فى العقيدة حلوليون ، يقولون بحلول الخالق فى المخلوق !

وهم فى الأخلاق انحلاليون ، يعتبرون الشذوذ الجنسى ، كرامة وقربى إلى الله !!

وهم فى العبادة مبتدعون !!

ولو رحت أعدد لك نماذج مما جاء فى هذه الكتب .. لضاق بى الوقت .. والصدر !

وسأقدم للطبعة قريباً كتاباً جديداً عنوانه : (الصوفية بدعة ضد الإسلام)[1] .

٤ ــ الشرك

● الشرك صفات من اتصف بها كان مشركاً ، وكذلك سائر الصفات المذمومة كالزنا ، والفسق ، والنفاق ، والظلم ، إذ العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب ، كما يقول الأصوليون .

ثم .. إذا صح ما تقول ، كان معناه : أن كل حكم نزل فى سبب مخصوص ، فى قضية مخصوصة ، لا يتعداها إلى غيرها ، وهذا باطل ، ظاهر البطلان ، وفيه ما فيه من تعطيل لكثير من آيات القرآن المبين ، وأحكام الدين ؛ فإن آيات الحدود ، والجنايات ، والمواريث والديات ، نزلت فى قضايا خاصة ، قد مضت ومضى أهلها الذين نزلت فيهم .

يقول ابن القيم فى تفسيره لقوله تعالى :

ــ (٣٤ : ٢٢ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك ، وماله منهم من ظهير) ؛ إن القرآن مملوء من

---

(١) هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من (التحقيقات الصحفية) التى أجريتها معى مجلة (التعاون) القاهرية .

أمثالها ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بدخول الواقع تحته ، ويجعلونه في قوم خلوا ، ولم يعقبوا إرثاً ، وهذا الذى يحول بين قلوب الناس وبين فهم القرآن .

* * *

وبعد :

فهذه يا أخى العزيز ، بعض الإجابة على بعض الأسئلة

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد جميل غازى

بشرى طيبة إلى جميع المسلمين فى بقاع الأرض

أبلغت الحكومة السعودية جميع سفاراتها بتيسير اجراءات الحج وطلبت من هذه السفارات عدم التقيد بأى شرط مما سبق إذاعته .

وأنصار السنة تبارك هذا العمل الجليل حيث أن الشروط السابق إذاعتها تعتبر صداً عن سبيل الله وجلالة الملك خالد حفظه الله لايرض بفرض أى قيد على الحج . وأنصار السنة المحمدية سبق لها أن أبلغت رأيها لفضيلة الشيخ عبد الله المبارك مفتش الحرس الوطنى وطلبت إبلاغه لجلالة الملك وذلك فى رمضان الماضى — ونحن نشكر لجلالة الملك بفضله بالغاء قيود الحج السابقة .

كل الطرق تؤدى إلى روما ! .

و .. دفاع عن الطريقة البرهانية !!

بقلم : محمد جميل أحمد غازى

• الثائرون على الطريقـــة البرهانية ــ اليوم ــ كثيرون ... كثيرون .. الصحف ، والأزهر ، والافتاء ، ومجمع البحوث ، والأوقاف .. و .. حتى (صاحب السماحة) شيخ مشايخ الطرق الصوفية ... !

ولســـت أدرى .. ولا المنجم يدرى .. لمـــاذا يثور الثائرون ، ويغضب الغاضبون ..

مع أن (الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ...) لا تختلف فى الشكل ولا فى المضمون عن غيرها من الطرق (المتفشية) فى بلادنا .. وفى غير بلادنا !!

وكل الطرق تؤدى الى الله .. ! أليس كذلك !!

• كذلك فان شيخ الطريقة البرهانية .. لا يعدو أن يكون واحدا من عشرات الشيوخ الذين يضيق بهم الأفق ، وتكتظ بهم الأرض ! !

• فلماذا اذا نثور على الشـــيخ وطريقته ... ونحرمه الحق المكفول بنص (الدستور الصوفى) ... لكل شيخ ؟ ولكل طريقة !

لمـــاذا ؟ مع أننا نحن الذين صفقنا له ، وطبلنا ، وزمرنا ، وازدحمنا فى موكبه ، وفرخنا له الكرامات ، وأطلقنا فى (زفته) البخور والعطور ..!؟ واستقبلناه استقبال الغزاة الفاتحين ... !

لمـــاذا نرضى آنا ، ونغضب آنا ؟

لمـــاذا نحب عاما ، ونكره عاما ؟

* **

قالوا : لأن (محمد عثمان عبده البرهانى) جعل من النبى ــ صلى الله عليه وســـلم ، وبرأه الله ــ الها ، وقال فى كتابه : (تبرئة الذمة ، فى نصح الأمة) ان من أسماء النبى : الله ، لقوله تعالى : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) !

وأقول لهم : كما قال (عقيل مظهر) ــ شيخ الطريقة البرهانيـــة

بطنطا ، ورئيس مجلسها المحلى ، أى : الجامع بين السلطتين الزمنية والدينية بها — وماذا فى هذا ؟ وكل الطرق تردد هذا الكلام ، وكتب الصوفية وأورادهم تنطق به ، والشيخ ناقل أمين ، لكلام شيوخ سبقوه!!

وهو — فقط — يريد بنشر ما نشر ، أن يبرىء ذمته ، وينصح أمته .. !

***

• بهذا — أو بقريب منه — تكلم عقيل مظهر ... المتحدث الرسمى باسم الطريقة البرهانية ...

وصدق عقيل مظهر ...

صدق ... وللأسف !

فالشيخ مجرد (ناقل للكفر) ...

• وأستطرد فأقول : لو أن الشيخ كان (ناقلا ناقدا) لقلنا : ان (ناقل الكفر ليس بكافر) ...

ولكنه ناقل بلا وعى ، ولا عقل ، ولا فهم ، ولا مسئولية !

ناقل ، ومعتز بما نقل ، وناشر لما اعتز به ، وجامع للأتباع والمريدين حول ما نشر وأذاع ... !

• وأستطرد فأقول أيضا : ان ناقل الكفر ، بهذه النية . وبهذا الأسلوب ، كافر ... ومن شك فى كفره فهو كافر أيضا !

***

• وأعتذر عن هذا الاستطراد ...

وأعود الى الطريقة البرهانية ، وشيخها ، والناقمين عليها . والمتحدث الرسمى ... باسمها ...

فأقول : ان (عثمان البرهانى) ليس هو أول من أله النبى — صلى الله عليه وسلم ، وبرأه الله . . .

وانما ذلك منهج صوفى قديم ، قدم الصوفية نفسها !

الصوفية التى ألهت كل مظاهر الكون وظواهره . . . حتى الكلب والخنزير ! !

الصوفية التى اعتبرت العملية الجنسية وصولا الى الله . . . وحلولا فى الله . . . !

واعتبرتها أكثر وصولا وحلولا . . . حينما تتم فى سفاح ! !

. فلماذا تغضبون ــ يا سادة ــ على عثمان البرهانى ! ؟

** *

. وحتى (عثمان البرهانى) ــ على حد تعبير المتحدث الرسمى باسمه ــ لم يخرج سوأته ــ أى : كتابه ــ للعامة ، وانما أخرجه للخاصة . . . وخاصة الخاصة . . .

من باب : (اذا بليتم فاستتروا) !

ومن باب : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) .

. أما الصوفية . . . فقد تعروا فى الطريق العام ، واعتبروا هذا التعرى نفسه ، قربى الى الله ، ووسيلة الى رضاه !

وارتكبوا الفواحش . . . كل الفواحش . . . حتى اللواط ... وانيان البهائم . . . وقالوا : اننا بهذا ننشر الاسلام ، وننصر جيوش المسلمين .

. فلماذا ــ اذا تغضبون على البرهانى ــ وتثيرون الدنيا عليه ؟

هل هو تنافس على (مناطق النفوذ الصوفية) ؟

هل هو محاولة للتوسع فى (المدد) يتبعه توسع فى النذور ، وصناديق النذور ؟

هل هى (معركة ضروس) بين « الميم » و « النون » ميم « البرهامية » ونون « البرهانية » (١) .

من يدرى ؟

. لكننى . . ما زلت أجدنى مدفوعا الى الدفاع عن محمد عثمان البرهانى وطريقته . . . !

---

(١) يحكى أن : محمد عثمان عبده ، التقى بسيده ابراهيم الدسوقى ، وأن الأخير أفهمه أنه (برهان الله) ــ هكذا قال له النبى صلى الله عليه وسلم !!

ويحكى أن : محمد عثمان عبده ، أعلن ميلاد طريقة جديدة ــ ولكل شيخ طريقة ــ اسمها البرهانية ! ! بالنون !

ويحكى أنه : هناك طريقة أخرى ــ قديمة ــ اسمها : البرهامية ــ بالميم ــ !

ويحكى أن : الصراع محتدم بين الطريقتين (البرهانية) و (البرهامية) !! .. مدد ! !

الذى قدر أن يخترع أسلوبا (تكنولوجيا) تقدميا فى عبادة الله !

فاليه وحده . . يرجع الفضل فى اختراع المسبحة ذات العداد (الألكترونى) ! . . . تلك المسبحة المنتشرة بين فتياننا ، وفتياتنا فى هذه الأيام ... !

ولقد شكرت أهل السودان ــ فى احدى محاضراتى هناك هذا العام ــ أن (صدروا) لنا هذا (الاختراع) الحديث جدا ! ! والمفيد جدا ! !

** *

• ولم يكن (شيخ البرهانية) وحده . . هو الذى أله الرسول ــ برأ الله رسوله ــ وانما كان معه جمهرة كبيرة من (كهنة) الصوفية • كان معه ابن عربى ، والجيلى ، وابن نباتة ، والبوصيرى ، والبكرى ، وابن مشيش ، والحلوانى . . . وغيرهم ، وغيرهم ، كثير !

لم يكن الرجل سوى (ناقل) و (ناقل أمين) . . .

لم يكن الرجل سوى (ببغاء) يهرف ، بما لا يعرف !

فالرجل ــ أولا وأخيرا ــ (تاجر مياه غازية) لا أكثر ، ولا أقل !!

** *

• وابن عربى ، يقول فى سفسطة كمضغ الماء : (بدء الخلق الهباء ، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحمانى ، وهو العرش الالهى ، ولا أين يحصرها لعدم التميز ، ومم وجد ؟ وجد من الحقيقة المعلومة التى لا تتصف بالوجود ولا بالعدم وفيم وجد ؟ فى الهباء ، وعلى أى مثال وجد ؟ على المثال القائم بنفس الحق المعبر عنه بالعلم به ، ولم وجد ؟ لاظهار الحقائق الالهية ، وما غايته ؟ التخلص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج) (١) .

ونترك (الشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر) يلف طلاسمه ، حول قلبه ، وقلوب أتباعه ومريديه ، ليشغلهم عن دين الله ، ويعزلهم عن

---

(١) الفتوحات المكية ١٥٢/١

هداه . . . . لنلتقى بالجيلى ، فنجده غارقا حتى قمة رأسه فى خضم من الخرافات والأباطيل ، فهو يقول . . . ويقول . . ويقول :

يقول : (ان العقل الأول المنسوب الى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلق الله جبريل عليه السلام منه فى الأزل ، فكان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبا لجبريل وأصلا لجميع العالم) .

ويقول : (لما خلق الله سبحانه وتعالى العالم جميعه من نور محمد صلى الله عليه وسلم كان المحل المخلوق منه اسرافيل قلب محمد صلى الله عليه وسلم) .

ويقول : (خلق الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم من نور اسمه الكامل ، وخلق الله عزرائيل من نور وهم محمد صلى الله عليه وسلم) (١) .

ويمضى الجيلى مع شيطانه حتى يصل الى قمة (فكره) أو (كفره) لست أدرى فيقول : (اعلم أن الانسان الكامل ــ الحقيقة المحمدية ــ هو الذى يستحق الأسماء الذاتية ، والصفات الالهية ، استحقاق الأصالة والملك ، بحكم المقتضى الذاتى) .

ونلتقى بابن نباتة الشاعر المصرى ، الذى يقول لنا فى تشنج عجيب:

لولاه ما كان من أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل

. ثم نجد البوصيرى ، يقرر فى (بردته) التى أصبحت فيما بعد (ترنيمة جنائزية) و (أنشودة صوفية) :

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

. أما البكرى ، فاننا نجده أكثر صراحة ، أو . . وقاحة . . حينما يعلن مخالفته للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم) !

فنجده يستعمل فى شعره الذى يمدح به الرسول ــ على حد

---

(١) الانسان الكامل ص ٣ ، ١٠٤

زعمه ــ حتى العبارات النصرانية • • • كالناسوت • • • والهيولى •• فهو يقول :

قبضة النور من قديم أرتنـــا ... فى جميع الشئون قبضا وبسطا
وهى أصـــل لكل أصل تبـــدى ... بسطت فضلها على الكون بسطا
وهى وتر قد أظهرت عدد الشفـــ ... ـــع ، بعلم فجل حصرا وضبطا
ولدت شكلهـــا فأنتـــج شـــكلا ... بشريا أقام للعـــــدل قسطـــا
وهو عبـــد قد حررته لديهـــا ... بيديهـــا ، وكم أفـــاد وأعطى
حققته بحقهـــــا فهـــو حـــق ... جاء بالحق ينظـــم الخلق سمطا
لنقوش النفوس حقق ، والرو ... ح أرته فى اللوح شكلا ونقطا
عالـــم منـــه آدم علـــم السر ... وعلم الأشيـــاء رسمـــا وخطـــا
هى نا ســـوت أنسنـــا والهيولا ... شمس سر الوجود بكرا وشمطا
كل شىء معناه ، والكل منـــه ... وعليه مبناه ، ما اختل شرطا

• وتتحول هذه الزندقات على ألسنة القوم الى دعوات وصلوات، فنرى ابن مشيش يقول فى (وظيفته) المعروفة :

(اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شىء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب ــ كما قيل ــ الموسوط) •

• ويقول الحلوانى ، فى (شطحة صوفية) ــ وما أكثر شطحات الصوفية فى القول والعمل :

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى ... فردا لفرد ، والبرية فى العدم
ثم استمـــد جميـــع مخلوقاته ... من نوّرك السامى ، فياعظم الكرم
فلذا اليـــك الخلق تفزع كلهم ... فى هذه الدنيا ، وفى اليوم الأهم
واذا دعتهـــم كربة فرجتهـــــا ... حتى سوى العقلاء فى ذاك انتظم
جدلى ، فان خزائن الرحمن فى ... يدك اليمين ، وأنت أكرم من قسم

• وينعق أحد الصوفية (أبو العباس القصاب) بما يناقض نص القرآن ، وكل كلام الصوفية مناقض لنص القرآن • • • أليسوا هم الذين يقولون : (القرآن كله شرك ، والتوحيد فى كلامنا) !

يقول : (لم يمت محمد ، وانما الذى مات هو استعدادك لأن تراه بعين قلبك) !

• وتمتد (ياء النداء) على ألسنة الصوفية حتى عنان السماء ، يحملونها كل الضراعات ، والتبتل ، والاستغاثة ، برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول شاعرهم :

ياسيـــدى يا رســـول اللـــه يا أملى
يا موئلى ، يا مـــلاذى ، يوم يلقـــانى
هبنى بجـــاهك ما قدمـــت من زلل —
جـــودا ، ورجح بفضـــل منك ميزانى
واسمع دعائى ، واكشف ما يساورنى
من الخطـــــوب ونفس كل أحـــزانى
فـــأنت أقـــرب من ترجى عواطفـــــه
عندى وان بعـــدت دارى وأوطـــــانى
وفيك يا بن خليـــل اللـــه يوم غـــد
ألوذ من ســـوء زلاتى وعصيـــانى

• ويمضى (الموكب الصـــوفى) فى مســـاره الغامض ، الملفف بالضباب • • • ونعود نحن • • • الى محمد عثمان البرهانى ، فنقول :

***

هل زاد البرهانى ، كلمةً أو حرفا ، على ما قاله هؤلاء الشيوخ ــ الكبار جدا ــ من أقطاب التصوف ، وأوتاده ؟

اذا فلماذا تخرجون الرجل من الملة ، وتنسبون اليه والى طريقته كل فتنة مضلة • • ؟

• هذا عتبى على أعداء البرهانى ، والناقمين عليه • • • !

أما عتبى على أنصاره ، والمنتمين اليه • • • !

فاننى أوجهه الى (عقيل مظهر) ، وذلك أن (مجلة التعـاون) نشرت له ـ تبـاعا ـ مقـالين ... فى سلسلة حوارها الطويل عن التصوف ، والذى بدأته بتحقيق صحفى معى عنوانه : (التصوف بدعة ضد الاسلام) .

• اتهم ـ عقيل مظهر المتحدث الرسمى باسم البرهانية ـ أعداء التصوف ، والناقدين له ، بأنهم هم الذين أشعلوا النار فى لبنان وفى المغرب ... !

وأنا أهمس فى أذنه :

ألست معى .. أن هذا هو أسلوب المخابرات القديم ؟

ثم ... ألست معى أنه أسلوب قد مضى وانقضى ... ؟ وأن الشمس أصبحت تملأ الطريق ؟

ثم ... ألست معى أنه (ارهاب فكرى) .. وغدر (علمى).. و (اغتيال) للحق والحقيقة ... ؟

• و ... هدد عقيل مظهر فى آخر مقاله ...

(وآخر القصيدة كفر) كما يقولون : بأنه على استعداد للقـاء من يريد مناقشته فى التصوف .. وفى الطريقة البرهانية ـ بالذات ـ فى أى زمان ومكان ...

ثم أعلن أنه سيستعين فى المناقشة بمـدد سَيـديه ، البرهانى ، والدسوقى !

ولقد حاولت .. أن أقدم على مناقشته ... ولكننى أحجمت جبنا وهلعا ... لأن أحد أصدقائى وأحبائى ، قال لى :

ـ كيف تخاطر بنفسك ، وتلقى بيدك الى التهلكة ، فتناقش رجلا، يملك هذا المدد المدمر المخرب السفاح القتال ؟

ـ أليس ابراهيم الدسوقى هو الذى أصدر حكمه باعدام سيد قطب ، ومن على شاكلته ؟ !

ثم قال لى صديقى ـ فى رحمة وحب واشفاق ـ : لا تتعجل وعد لأولادك سالمـا .

محمد جميل أحمد غازى

السيد البدوى . . .
يطلب من الله أن يدخله النار ! ! .

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

* * *

السيد البدوى : رجل أجمع الدراويش على أنه سيد الأولياء ، وعلى أن الله أعطاه حق القبض والبسط ، والخفض والرفع ، والاحياء والاماتة ، وحق التصرف فى العباد ...

وأجمع الدراويش ــ أيضا ــ على تقبيل أعتابه ، واللياذ بجنابه ، والتمرغ فى ترابه ، قائلين فى غمرة الهوى ، وسكرة الحب : « من قبل الأعتاب ، ما خاب » .

وأجمعوا على أن من كان مثل السيد البدوى فى « قطبانيته » و « عطبانيته » حينما يدعى لقضاء حاجة ، أو تفريج كربة ، لا ينبغى أن تذكر له الحاجة ، أو يلمح له بالكربة ، اذ أنه يعلم السر وأخفى ، ولهذا قالوا : « العارف لا يعرف ، والشكوى لأهل البصيرة عيب » ، وقالوا :

فرج بفضلك « ما أروم » فاننى قد ضقت ذرعا يا أبا فراج !!

* من هو السيد ؟

لكن : من هو « السيد البدوى » الذى حاز كل هذه المراتب ، وجمع كل هذه المزايا ؟

يقول الدراويش ــ فى ضراعات والهة ، وخشوع مستغرق ــ انه : « أبو فراج ، العطاب ، الغضبان ، منجى العيان ، ندهة المنضام ، عيسوى

المقـــام ، باب النبى » ثم يزداد بهم الوجـــد ويزداد ، فيصرخون فى « جذبة » شديدة : « مدد يا شيخ العرب » !!

ولو طلبت اليهم مزيـــدا من المعلومات عن « الســـيد » لحدثوك بالكثير والكثير من سيرته العطرة ، وكراماته التى لا تحد ولا تعد ...

ونترك الدراويش ... لنلتقى برجل « ثقة » اسمه « الشـــيخ صاوى » ...

وهذا « الشيخ صاوى » له « حاشية » على « الخريدة » ...

و « الخريدة » ــ ان كنت لا تعلم ــ كتاب « توحيد » درسناه فى الأزهر الشريف ... !!

قال « الشيخ صاوى » نقلا عن « المناوى » :

« هو ــ أى : السيد البدوى ــ أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر البدرى ، أصله من الشام ، ثم سكن والده المغرب .

ولد « بفاس » سنة ٥٩٦ هـ ، وعرف بالبدوى للزومه اللثام ، ولم يتزوج واشتهر بالعطاب لكثرة عطبه من يؤذيه ، ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق الى الأبد ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمتبولى !! ــ « ما فى أولياء مصر بعد محمد بن ادريس أكثر فتوة منه ، ثم نفيسة ، ثم شرف الدين الكردى ، ثم المنوفى » . وكان يمكث أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، ثم سمع هاتفا يقول ــ ثلاثا ــ قم واطلب مطلع الشمس ، فاذا وصلته فاطلب مغربها ، وسر الى طندتا « فيها مقامك أيها الفتى ! ، فسار الى العراق فتلقاه العارفان : الكيلانى والرفاعى ، فقالا : « يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والمشرق والمغرب بأيدينا ، فاختر أيها شئت » !

فقال : « لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح » ثم رحل الى مصر فدخلها سنة ٦٣٤ هـ ، فأقام بطندتا (طنطا) على سطح دار لا يفارقه ليلا ولا نهارا اثنتى عشرة سنة ، واذا عرض له الحال صـــاح صياحا عظيما ، وتبعه جمع منهم عبد العال ، وعبد المجيد ...

ولما دخل طندتا « طنطا » كان بها جمع من الأولياء ، فمنهم من خرج منها هيبة له كالشيخ حسن الاخنائى ، ومنهم من مكث كالشيخ سالم المغربى ، ومنهم من أنكر عليه كصاحب الديوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر ــ وكان وليا كبيرا فثار به الحسد فسلبه ــ !!

وكان لا يكشف اللثام عن وجهه ــ فقال له عبد المجيد : « أرنى وجهك » ؟ فقال : « كل نظرة برجل » ــ قال : « أرنيه » فكشف عن وجهه فمات عبد المجيد حالا ...

ويمضى الشيخ الصاوى ، والشيخ المناوى ، وجمهرة الدراويش فى تقديم دراسة مستوفاة عن حياة القطب الكبير ، الغوث السند !!.

ونتوقف نحن قليلا لنستعرض بعض « الملامح » الممتعة من حياة شيخ العرب ، وصاحب المدد ... !

* ملامح ... !

* أشاع بعض « المحجوبين » أن السيد البدوى ، لا يصلى ، فأجاب السيد البدوى مدافعا عن نفسه :

وفى « طندتا » قالوا : صلاتى تركتها ولم يعلموا أنى أصلى بمكة
أصلى صلاة الخمس فى «البيت» دائما مع السادة الأقطاب أهل الطريقة
مدد ... !

* روى الدراويش هذا الحديث « القدسى طبعا » !

قال الله تعالى : « انى اخترت من الأنبياء أحمد ، ومن الأولياء أحمد ، فأما أحمد الذى اخترته من الأنبياء ، فهو محمد نبيى ورسولى، وأما أحمد الذى اخترته من الأولياء فهو أحمد البدوى ــ سألنى ثلاث مسائل فأعطيته اثنتين ، ولم أعطه الثالثة ، سألنى أن يكون التصريف فى ملكى على يديه ، فأعطيته ، وسألنى فيمن زار قبره أن أغفر له فى اليوم الموعود ، فأعطيته ، وسألنى أن يدخل النار فلم أعطه ، لأنه لو دخلها ، « لتمرغ » فيها فتصير حشيشا أخضر ــ وحقا على أن أعذبه بها الكفار ... !!

انتهى ما رواه الدراويش ... !

* **للفكاهة فقط !**

اذا اشتدت بك أزمة ، أو حزبك أمر ... فانك تستطيع أن تستغيث بالسيد « حمال العسير » ، وثق جدا أن مهمتك ستقضى ، وأن غمتك ستنكشف ـــ بهذا وبأكثر منه يعدك كهنة الصوفية ... !

واذا كنت فى « عجلة » من أمرك ، وتريد أن تقضى حاجتك بأسرع من « ارتداد الطرف » ...

فتناول قلما وورقة ... ثم اكتب خطابا الى « السيد البدوى » . وضعه فى المقصورة ... أو أرسله اليه عن طريق البريد المسجل ... أو العادى ...

ثم .. انتظر كشف الغمة ، وقضاء كل مهمة ... !

أنا شخصيا كنت أفعل ذلك ، أيام أن كنت طالبا فى القسم الابتدائى بمعهد طنطا الدينى ... !

وان كنت لا تصدق ، فاقرأ معى هذه الواقعة ... !

فى سنة ١٩١٤ ...

سمع الشيخ بكرى محمد الصوفى مفتى الديار المصرية ، أن الشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر ، كان قد سعى فى اغضاب قلب الخديوى عباس عليه .

فقرر ... أن ينتقم من خصمه ... بأن يستغيث بالسيد البدوى..

فنظم قصيدة « عصماء غراء » .. ورفعها الى أحمد البدوى .. !

وحدث ... حدث ... أن كان « الخديوى عباس » فى زيارة لضريح أحمد البدوى ، فلفت نظره وجود أوراق كثيرة داخل قفص الضريح ...

ولما سأل عن هذه الأوراق .. وسبب وضعها فى هذا المكان .. قيل له : انها شكايات المظلومين التى يرفعونها الى القطب الكبير ... !

فأمر باخراجها فوجد بينها هذه القصيدة ... فقامت ضجة ... أودت بالشيخ المفتى نفسه ... فأقصى عن وظيفة الافتاء !!

* مولد السيد :

لكل ولى مولد ... فكيف لا يكون للسيد أعظم الموالد ؟
ان « مولد السيد » ليس بالشيء الهين ...

ان الدراويش يؤكدون : أنه حقيقة من حقائق الدين ، ونور من نوره المبين ....

وان الذين لا يزورون هذا المولد ، ولا يقدمون فيه الذبائح والقرابين ، محجوبون ومطرودون ... !

واسمع ما يرويه « القطب » الشعرانى ... فى سبب حضوره ... « مولد السيد » !

قال : « وسبب حضورى مولده كل سنة : أن شيخى العارف بالله تعالى « محمد الشناوى » ــ رضى الله عنه !! ــ أحد أعيان بيته رحمه الله ، كان قد أخذ على العهد فى القبة ، تجاه وجه سيدى أحمد رضى الله عنه ! وسلمنى اليه بيده !! ، فخرجت اليد الشريفة من الضريح ، وقبضت على يدى ، وقال سيدى : « يكون خاطرك عليه ، واجعله تحت نظرك » فسمعت سيدى أحمد رضى الله عنه من القبر ، يقول : « نعم » !!

ثم انى رأيته ــ الكلام للشعرانى طبعا ــ بمصر مرة أخرى ، هو وسيدى عبد العال ، وهو يقول : « زرنا بطندتا » ونحن نطبخ لك « ملوخية » ضيافتك ، فسافرت ، فأضافنى غالب أهلها وجماعة المقام ذلك اليوم كلهم « بطبيخ الملوخية » !

ثم رأيته بعد ذلك ــ الكلام للشعرانى طبعا ــ وقد أوقفنى على جسر قحافة « ضاحية من ضواحى طنطا » تجاه طندتا ، فوجدته سورا محيطا ، وقال : « قف هنا ! أدخل على من شئت ، وامنع من شئت » !

ولما دخلت بزوجتى ــ الكلام للشعرانى طبعا ــ فاطمة أم

عبد الرحمن وهى بكر ، مكثت خمسة شهور لم أقترب منها ، فجاءنى ، وأخذنى ، وهى معى ، وفرش لى فرشا ••• فوق ركن القبة على يسار الداخل ، وطبخ لى حلوى ، ودعا الأحياء والأموات اليه ، وقال : « أزل بكارتها هنا » فكان الأمر تلك الليلة » •

هذه هى بعض الأسرار ••• التى جعلت « الشعرانى » •• يهتم بمولد السيد كل هذا الاهتمام ••• وما أكثر الأسرار •• وما أكثر الزوار ••• !

*** أبطأ عبد الوهاب !!**

ماذا يحدث لو تخلفت عن « المولد » •• مرة •• ! لا تحسب أن المسألة ستمر بسهولة ••• بل ان السيد البدوى سيتدخل فورا • • • لانهـــاء هذه « المهزلة » •••

واسمع معى هذه القصة ••• وأرجوك « لا تبك » ••• وأرجوك ــ أيضا ــ « لا تضحك » ! ••• والقصة للشعرانى ••• قال :

« ••• وتخلفت عن ميعاد حضورى للمولد سنة ٩٤٨ هـ •• وكان هناك بعض الأولياء •• فأخبرونى أن سيدى أحمد رضى الله عنـــه (!!!) » كان فى ذلك اليوم يرفع الستر عن الضريح ، ويقول : « أبطأ عبد الوهاب « الشعرانى » ما جاء » !!

وأردت التخلف سنة من السنين •• فرأيت سيدى أحمد رضى الله عنه ، ومعه جريدة خضراء ••• وهو يدعو الناس من سائر الأقطار ••• والناس خلفه •• وعن يمنيه •• وشماله •• أمم لا يحصون •• فمر على وأنا بمصر « القاهرة » ••• فقـــال : « أما تذهب ؟ » ، فقلت : « بى وجع » ، فقال : « الوجع لا يمنع المحب » ••• !

ثم أرانى خلقا كثيرا من الأولياء وغيرهم •• الأحياء والاموات •• من الشيوخ والزمنى بأكفانهم •• وهم يمشون ويزحفون معه • • • ويحضرون المولد ••• ثم أرانى جماعة من « الأسرى » جاءوا من بلاد « الافرنج » مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم •••

فقال : انظر الى هؤلاء فى هذا الحال •• ولا يتخلفون ••

ـــ فقوى عزمى على الحضور ـــ ، فقلت له : ان شاء الله نحضر ، فقال : لا بد من « الترسيم » عليك • ، ـــ فرسم على سبعين عظيمين أسودين كالأفيال ـــ وقال : لا تفارقاه حتى تحضرا به •••

فأخبرت بذلك سيدى « الشيخ محمد الشناوى » رضى الله عنه (!!!) •••

فقال : سائر الناس يدعون الناس بقصادهم ، وسيدى أحمد رضى الله عنه يدعو الناس بنفسه الى الحضور !!!

ثم قال ـــ يعنى سيده الشناوى ـــ : « ان سيدى محمد السروى رضى الله عنه !! تخلف سنة عن حضور المولد ، فعاتبه سيدى أحمد رضى الله عنه ، وقال : موضع يحضر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه ، وأصحابهم ، والأولياء رضى الله عنهم ، لا تحضره ؟ ••• » •

هكذا ••• هكذا ••• الرسول •• والأنبياء •• والأولياء •• يحتفلون « بمولد السيد » ••• !

فمن الذى يستطيع أن يتخلف عن ذلك اليوم المشهود •• الموعود ؟

* لا تعترض !!

لا تكن « فيلسوفا » وأنت تقرأ هذا الكلام ••• !

لا تكن « عاقلا » •••

لا تقل « لم ؟ » فان من قال « لم ؟ » فقد كفر ••• !

ان « ناسا » من قبلك « اعترضوا » « فانطردوا » !

اسمع ••• يقول الشعرانى :

« وأخبرنى شيخنا محمد الشناوى رضى الله عنه (!!) أن شخصا

أنكر حضور مولد سيدى أحمد فسلب الايمان ، فلم تكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام ... فاستغاث بسيدى أحمد رضى الله عنه ... فقال : بشرط ألا « تعود » ! ، فقال نعم ، ــ فرد عليه ثوب ايمانه ــ ثم قال له : وماذا تنكر علينا ؟ قال : اختلاط الرجال والنساء ، فقال سيدى أحمد رضى الله عنه : ذلك يقع فى الطواف ولم يمنع منه أحد ! !

ثم قال : وعزة ربى ، ما عصى أحد فى مولدى ، الا وتاب وحسنت توبته ، واذا كنت أرعى الوحوش فى القفار ، والسمك فى البحـــار ، وأحميهم من بعضهم بعضـــا ، أفيعجزنى الله عن حمـــاية من يحضر مولدى ! ؟

مرة ثانية ...

لا تكن « فيلسوفا » وأنت تقرأ هذا الكلام ...

لا تكن « عاقلا » ..

لا تقل « لم ؟ » فان من قال : « لم » فقد كفر ...

ان « ناسا » من قبلك « اعترضوا » « فانطردوا » ...

*** ثم ماذا ؟**

وبعد :

فهذا هو السيد البدوى الرجل الذى أجمـــع الدراويش على أنه سيد الأولياء ، وعلى أن الله أعطاه حق القبض والبســـط ، والخفض والرفع ، والاحياء والاماتة ، وحق التصرف فى العباد ...

وبعد ــ للمرة الثانية : ــ

هذا هو الرجل الغنى الثرى ، الذى تمتلىء خزائنه كل عام بآلاف كثيرة من الدراهم والدنانير ، وتمتلىء « حظائره » بمئـــات كثيرة من

الأنعام والأغنام ، ويمتلىء صندوقه بمجموعات ضخمة من الكمبيالات ، وعقود البيع ، والتمليك ... !

وبعد ـ للمرة الثالثة : ـ

هذا هو السيد البدوى ، الذى أثار حفيظة الشاعر « حافظ أبراهيم » حتى قال أبياته المشهورة :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف ترزق الأموات
للسيد البدوى ملك دخله
خمسون ألفا ، والحظوظ هبات
من لى بحظ النائمين بحفرة
قامت على أرجائها الصلوات
يسعى الامام لها ، ويجرى حولها
بحر النذور ، وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب «باب المصطفى»
ووسيلة تقضى به الحاجات

ثم ماذا ؟

ثم ينتهى دورى فى الحديث .. ويبدأ دورك أنت أيها القارىء .

ان عليك أن تفكر بصراحة ، وبصوت مسموع .. فى كل ما قرأت ورأيت وسمعت ..... !

فان ديننا ودنيانا وحضارتنا .. تحتم علينا أن نفكر بصراحة .. وبصوت مسموع ... وأيضا ... بصدر مفتوح ....

محمد جميل غازى
رئيس التحرير بالمجلس الأعلى
. لرعاية الفنون والآداب
والعلوم الاجتماعية

ياشيخ الأزهر

أين هذه الصوفية المتآمرة

من تلك السلفية الطاهرة ... ؟

بقلم : الدكتور محمد جميل غازى

* ما كتبه الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الجامع الازهر .. ونشرته جريدة الاخبار فى عددها الصادر (يوم ٧ من شعبان ١٣٩٦ هـ ـ ١٣ من أغسطس ١٩٧٦ م) تحت عنوان : (حول الصوفية والسلفية) أثار أكثر من علامة استفهام ؟ .

وأكثر من علامة تعجب ! ! .

أهمها ... أننا لا ندرى ، هل كتب الشيخ ما كتب باسمه الشخصى؟ أم بوصفه شيخا ـ لأكبر وأقدم جامعة اسلامية ـ ؟ أم بوصفه شيخا من شيوخ التصوف المعروفين ، والمرموقين ... أم بكل أولئك ؟ لسنا ندرى ...

ولكن الذى ندريه ، أن ما كتب ونشر فيه اتهام صريح وواضح (لسلف الامة الصالح) ـ رضوان الله عليهم ـ .. أنهم كانوا مجموعة من (دراويش الصوفية وكهنتها) ... !

وهذا ما لا يرضاه الله ، ولا يقره التاريخ !! .

* ويكفى أن أقدم لفضيلته (الامام الاكبر) .. شيخ الجامع الازهر .. بعض الوثائق التاريخية .. التى تدين الصوفية ، وتتهمهم بالتآمر على الاسلام ، والكيد للمسلمين .. !

الطريقة التيجانية

* وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نتحدث عن (الطريقة التيجانية) وهى واحدة من عشرات الطرق التى تتمتع بجاه عريض ، ومدد واسع ، وثراء لا يحد ولا يعد ...

لقد كان أتباعها وشيوخها من أكثر العملاء نفعا لفرنسا فى الجزائر، وبعض الاقطار الافريقية •

ففى عام ١٨٧٠ م استطاعت سيدة فرنسية تدعى (أوريلى بيكار) أن تتسلل الى الزاوية التيجانية ، وتتزوج شيخها ، المدعو (سيدى أحمد) ولما توفى تزوجت أخاه ، المدعو (سيدى على) فأصبحت بذلك السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين، وأطلقوا عليها لقب (زوجة السيدين) وكانوا يتيمنون بالتراب الذى تمشى عليه ، مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم ، وقد أنعمت فرنسا عليها (بوسام الشرق) ، وقالت الحكومة الفرنسية فى أسباب منح هذا الوسام : (لان هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى ادارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى ، وكسبت للفرنسيين مزارع خصيبة ، ومراعى كثيرة ، لولاها ما خرجت من أيدى العرب الجزائريين التيجانيين ، ولانها ساقت الينا جنودا مجندة من أحباب الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون فى سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص (!!)) •

* وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل ، فكانوا يتجسسون لحسابهم ، ويرسلون معهم الادلاء ، ويقاتلون الى جانبهم اذا اقتضى الامر ، وعد مشايخهم ذلك واجبا يمليه الشرف ، ويبغون فيه الاحتساب من الله تعالى •

* يقول الشيخ محمد الكبير (صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجانى الاكبر مؤسس هذه الطريقة فى خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية فى مدينة (عين ماضى) المركز الاساسى للطريقة الصوفية التيجانية) بتاريخ ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٥٠ هـ •

(ان من الواجب علينا اعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا ومعنويا وسياسيا ، ولهذا فانى أقول : ـ لا على سبيل المن والافتخار ، ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب ـ ان أجدادى قد أحسنوا

صنعا فى انضمامهم الى فرنسا ، قبل أن تصل بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام بلادنا) .

* أما شيخ هذه الطريقة (وهو واحد من مشايخ الطرق) فان رائحة التآمر على عقيدة المسلمين تفوح من كتبه المملوءة بالضلالات .

قال فى كتابه : (جواهر المعانى) .

(ان الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لامر الله تعالى ، ليسوا بخارجين عن أمره) .

وقال فى الكتاب نفسه :

(ان الشيخ العارف يمكنه أن ينقلَ روحه من جسده الى جسد رجل آخر ، ويتصرف بذلك الرجل بما يريد من الامور) .

وقال فى هذا الكتاب أيضا :

(ان من أراد الدخول فى طريقتنا لا خوف عليه من صَاحبه ولا من غيره أيا كان من الأولياء الأحياء والاموات فى الدنيا والآخرة ، وهو آمن من كل ضرر يلحقه فى الدنيا والآخرة ، لا من شيخه ولا من غيره ، ولا من الله ورسوله النبى صلى الله عليه وسلم) .

وقال فى الكتاب نفسه :

(قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله تعالى من أول انشاء العالم الى النفخ فى الصور) .

وقال فى (جواهر المعانى) :

(من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب !!) وزاد فى (بغية المستفيد) ــ (ولو كان كافرا يختم له بالايمان !!) .

* وقد اخترع ــ هذا التيجانى ــ لاتباعه صلاة على الرسول سماها (صلاة الفاتح) قال فى وصفها :

(وسألته عن صلاة الفاتح ، فأخبرنى ــ أولا ــ بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرنى ــ ثانيا ــ أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة آلاف مرة) .

وكل ذلك ليصرف جماهير المسلمين عن كتاب الله عدو الاستعمار الاول !! .

التجسس ... كرامة !!

* ويتحدث (صوفى) عن اطلاع شيخه (التيجانى) على الغيب، فيقول :

(ومن هذا الباب ، اخباره عن استيلاء أعداء الدين على الجزائر ، وقد كان ـ رضى الله عنه !!! ـ على ما تلقيناه من فضلاء أصحابه كثيرا ما يشير اليه بما يفيد تحقيق وقوعه ، تارة تصريحا ، تارة تلويحا) .

وهذه (الكرامة الصوفية) تمسك بخناق الشيخ متلبسا بجريمة التآمر على بلاد المسلمين لحساب فرنسا ! .

موقف الصوفية من الجهاد

* والصوفية منصرفون عن الجهاد فى سبيل الله ... الى مواكبهم المزركشة الصاخبة التى تسد وجه الافق ، وتزحم فجاج الارض ... !

ولا نذهب بعيدا فى اثبات نفور الصوفية من الجهاد ، بل ننقل ما ذكره (عمر فروخ) فى كتابه : (التصوف فى الاسلام) : كتب يقول :

(ألا يعجب القارىء اذا علم أن (حجة الاسلام) أبا حامد الغزالى شهد القدس تسقط فى أيدى الفرنج الصليبيين ، وعاش اثنتى عشرة سنة بعد ذلك ، ولم يشر الى هذا الحادث العظيم ، ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة اخوانهم فى الشام لنفر مئات الالوف منهم للجهاد فى سبيل الله ، ولو فروا اذن على العرب والاسلام صورا مملوءة بالكفاح ، وقرونا زاخرة بالجهل والدمار .

وما غفلة الغزالى عن ذلك الا لانه كان فى ذلك الحين قد انقلب صوفيا ، أو اقتنع على الاقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة ، بل هى أهدى تلك السبل وأسعدها .

وكذلك عاش عمر بن الفـــارض ومحيى الدين بن عربى فى ابان الحروب الصليبية ، ولم يرد لتلك الحروب ذكر فى آثارهما .

وبينما كان الافرنج يغيرون على المنصورة فى مصر (١٢٥٠ م) تنادى المتصـــوفة ليقرأوا الرسالة القشيرية ، ويتجـــادلوا فى كرامات الاولياء (كما يقول الشعرانى) ويزعم الصوفيـــة أن لهم كرامات ، ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم) .

ثم يقول :

(ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب ، بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه (كذا) فاذا كان الله قد سلط على قوم ظالما ، فليس لاحد أن يقاوم ارادة الله ، أو أن يتأفف منها) .

* ويقول الدكتور زكى مبارك ـــ بعد أن تحدث قليلا عن الحروب الصليبية ـــ :

(أتدرى لمـــاذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية ؟ لتعرف أنه بينما كان (بطرس الناسك) يقضى ليله ونهـــاره فى اعداد الخطب ، وتحبير الرسائل ، يحث أهل أوربا على احتلال أقطار المسلمين، كان الغزالى (حجة الاسلام) غارقا فى خلوته ، منكبا على أوراده ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة الى الجهاد) .

* * *

الصوفية يلوذون بفاروق !

* ومن الامثـــلة المحزنة المخزية المخجلة ـــ وما أكثر ما يحزن ويخزى ويخجل فى التاريخ الصوفى ـــ التى تدمغ الصوفيـــة بالتآمر والتعاون مع الظلمة والفسقة ، أن (صوفية مصر) لاذوا بفـــاروق ، وهرعوا اليه يشكرونه على أن منح شيخهم (كسوة) وبين يدى فاروق ، وقف شيخ الصوفية يخطب عابدا ذاكرا شاكرا ، فقال :

(انها يا مولاى رمز لمـــا أعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض

من فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر) .

(معروف أن شيخ مشايخ الطرق الصوفية أصدر صحيفة نسب لفاروق تثبت انتماءه الى النسب المحمدى من جهة أمه الطاهرة نازلى) تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك ، فصفت روحك الطيبة ، وان هذا التكريم للصوفية انما هو قبس من قلبك النقى ينير لنا الطريق ! ! ويهدينا سواء السبيل ! منك نستضىء ! ومن هديك نسترشد . ومن روحك العالية نستمد الالهام والهدى ! !

وانى اذ أتشرف بالوقوف بين يديك اليوم ، أقطع على نفسى عهدا وثيقا أن أكون لجلالتك المخلص الوفى .

أمدك الله يا مولاى بروح من عنده ، وألبسك حلة مجده ، وأيدك بجند من جنده ، وأعانك بعونه ، وكفلك بعين رعايته) .

واقرأ — ان شئت — الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥

* * *

وبعد . . يا شيخ الازهر !

فهذه صفحة واحدة (سوداء) من تاريخ الصوفية (الأسود) .. وكم للصوفية من صفحات ... وصفحات ! .

ان الصوفية يا فضيلة الشيخ — وأنت بها خبير — هى السبب المباشر فى تخلف المنطقة الاسلامية وتدهورها .

وتاريخها — وأنت به عليم — يمثل (الخط البيانى الهابط) للحضارة الاسلامية ! .

أما السلفية — وأنت بها خبير أيضا — فانها هى التى أقامت دولة الاسلام ، وشادت مجد المسلمين . . .

وتاريخها — وأنت عليم كذلك — يمثل (الخط البيانى الصاعد) للحضارة الاسلامية . . . . !

فأين الظلمات من النور . . .

وأين هذه الصوفية المتآمرة . .

من تلك السلفية الطاهرة ؟ .

د. محمد جميل غازى

حوار حول التوسل والوسيلة[1]

يجريه الدكتور محمد جميل غازى

تعـــريف :

* الوسيلة ـــ فى اللغة ـــ : القربة •

يقول الراغب : والوسيلة : التوصل الى الشىء برغبة ، وهى أخص من الوصيلة لتضمنها معنى « الرغبة » •

وحقيقة الوسيلة الى الله : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى أحكام الشريعة ، وهى : كالقربة •

ويقول صاحب لسان العرب : الوسيلة فى الاصل : ما يتوصل به الى الشىء ويتقرب به اليه ، وذلك بعد أن فسر الوسيلة بالمنزلة عند الملك وبالقربة ، وقال : ووسل فلان الى الله وسيلة اذا عمل عملا تقرب به اليـــه •

ويقول صاحب القاموس : يقال : وسل الى الله توسيلا : عمـــل عملا تقرب به اليه •

* ولا يكاد يخرج تفسير أئمة السلف لها عن هذه المعانى •

فقد روى تفسير « الوسيلة » بالقربة عن حذيفة وصححه الحاكم•

وروى ابن جرير عن عطاء ومجاهد والحسن وعبد الله بن كثير وقتادة ، فى تفسير الآية ، أنه قال : تقربوا اليه بطاعته ، والعمـــل بما يرضيه •

---

(١) كنا نظن أن هذا الموضوع لم يعد فى حاجة الى كتابة أو ايضاح . ولكن الذين فى قلوبهم زيغ . . . ما زالوا يحاولون اتباع المتشابه ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التأويل . . . ولو انهم ردوا المتشابه الى المحكم لهدوا الى الحق والى صراط مستقيم ! ! . . ولكنهم لا يفعلون لحاجة فى نفوسهم ، ومرض فى قلوبهم ، وكبر فى صدورهم ! !

وروى عن ابن زيد تفسيرها بالمحبة ، قال : (وابتغوا اليه الوسيلة) أى : تحببوا الى الله ، وعن السدى : أنها المسألة والقربة .

وروى ابن الانبارى أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن الوسيلة فقال : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

ان الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك، تكحلى، وتخضبى

ولم يرو ابن جرير هذا ، وانما استدل بالبيت على تفسير الوسيلة بالقربة ، وارادة القربة من البيت أظهر من ارادة الحاجة على أنه لا ينافيه كما أنه لا ينافيه تفسيرها بالمحبة .

* * *

الحقائق العشر :

* وقبل أن أبدا هذا الحوار ، أقرر فى الاول عشر حقائق ، أرى أنها هامة وضرورية لتجلية الموضوع ، وتوضيحه ، وشرحه .

الحقيقة الاولى : أن الله سبحانه وتعالى ما أرسل رسله ، ولا أنزل كتبه الا ليعلم الناس (توحيد الالوهية) الذى ضلوا فيه وزلوا — يقول الله تعالى : (ولقد أرسلنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١) ويقول : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (٢) ويقول : (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (٣) .

الحقيقة الثانية : أن المشركين الذين حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وهو : كون الله سبحانه وتعالى متصفا بالخالقية والرازقية والمالكية وغيرها من الافعال

---

(١) النحل : ٣٦ (٢) الانبياء : ٢٥
(٣) الزمر : ٦٥ ، ٦٦

والصفات ، وكانوا يقرون أن غيره سبحانه وتعالى مربوب له ، ومخلوق ، ومرزوق ، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ومع ذلك فلم يدخلهم اقرارهم هذا فى الاسلام ، ولم يخرجهم من الكفر ، والدليل على ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى : (قل : من يرزقكم من السماء والارض ؟ أم من يملك السمع والابصار؟ ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الامر؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون) (١) ؟ .

وقوله تعالى : (قل : لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله قل : أفلا تذكرون ؟ قل : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله ، قل : أفلا تتقون ؟ قل : من بيده ملكوت كل شىء . وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون: لله ، قل ، فأنى تسحرون) (٢) .

وقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن : الله فأنى يؤفكون) (٣) .

ويقول الله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٤) .

فسروا الايمان فى هذه الآية ، بأنه : (توحيد الربوبية) وفسروا الشرك فيها ، بأنه فى (توحيد الالوهية) .

الحقيقة الثالثة : أن الاله ، هو : المعبود ، وأن (توحيد الالوهية) يعنى : توحيد العبادة ، يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : « كل

---

(١) يونس : ٢١ .
(٢) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ .
(٣) الزخرف : ٨٧ .
(٤) يوسف : ١٠٣ .

ما ورد فى القرآن من العبادة ، فمعناها : التوحيد (١) .

قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٢) . أى : يوحدون ، ومثله قوله سبحانه : (فاياى فاعبدون) (٣) . أى : وحدون، ومثله قوله عز وجل : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٤) . أى: أى : وحدوا الله .

والعبادة ــ فى اللغة ــ هى : التذلل والخضوع والطاعة ، وهى ــ فى الشرع ــ ما أمر به الشارع من أفعال وأقوال مختصة بجلال الله تعالى وعظمته ، وهى : اسم جنس تشمل أنواعا كثيرة ، كالاستعانة، والاستعاذة ، والذبح ، والنذر ، والحلف ، والدعاء ، والعكوف ، والطواف ، والسجود ، والركوع .

الحقيقة الرابعة : أن الله سبحانه ، هو ــ وحده ــ الذى يستحق أن يعبد ويحمد ويقصد ، وأن ما عداه ومن عداه لا يستحقون شيئا من ذلك ، يقول الله تعالى : (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) (٥) أى : معبود واحد يعبد فيهما ، ويقول سبحانه : (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) (٦) .

الحقيقة الخامسة :

ان الدعاء هو مخ العبادة ، ولبابها ، ورأسها ، وأساسها ، فقد أخرج الحاكم : « ان أفضل العبادة : الدعاء » وروى الترمذى : «الدعاء: هو العبادة » .

يقول الله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) (٧) . « وادعوه خوفا وطمعا » (٨) (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) (٩) .

(١) الدين الخالص ، لصديق حسن خان حـ ٢١٣/١
(٢) الذاريات : ٥٦ (٣) العنكبوت : ٥٦
(٤) النساء : ٣٦ (٥) الزخرف : ٨٤
(٦) الذاريات : ٥٠ (٧) الاعراف : ٥٥
(٨) الاعراف : ٥٨ (٩) البقرة : ١٨٦

وقد نهى الله سبحانه عن دعاء غيره ، فقال : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (١) أى : لا تعبدوا ، ولا تنادوا غيره كائنا من كان ، وأينما كان ، وقال تعالى : (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) (٢) .

الحقيقة السادسة :

اذا ثبت أن العبادة ـ كما قال ابن عباس ـ : التوحيد ، وثبت أن الدعاء ـ كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : هو العبادة كان معنى ذلك : أن من دعا غير الله سبحانه وتعالى يكون مشركا .

الحقيقة السابعة :

أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن المشركين ، انما يعظنا ويذكرنا حتى لا نتورط فيما تورطوا فيه ، وحينئذ يكون من المفيد والهام أن ندرس الجاهلية التى حاربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية » .

الحقيقة الثامنة :

أن القرآن الكريم أثبت أن النفع والضر ، والاحياء والامانة، والشفاء والكفاية ، والخلق والرزق لله وحده . وأن من دونه من الخلق لا يملكون شيئا من ذلك ولا يستطيعون . يقول تعالى : (قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، قل لنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) (٣) والملتحد : الملجأ .

ويقول عز وجل : (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون) (٤) .

ويقول : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده) (٥) .

---

(١) الجن : ١٨ .
(٢) يونس : ١٠٦ .
(٣) الجن : ٢١ ، ٢٢ .
(٤) النحل : ٧٣ .
(٥) فاطر : ٢

الحقيقة التاسعة :

أن الله سبحانه وتعالى يجب أن يسأله عباده ، وأن يتوجهوا اليه فى كل ما يهمهم من أمور الدنيا والآخرة ، ففى حديث ابن مسعود الذى رواه الترمذى : « سلوا الله من فضله ، فان الله يحب أن يسأل » . وروى الترمذى أيضا — من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يسأل الله يغضب عليه » .

الحقيقة العاشرة :

انه لا اعتبار عند الله تعالى للاحساب والانساب ، وانما العبرة عنده — تعالى — بالعمل الصالح ، فقد أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : لما نزلت : (وأنذر عشيرتك الاقربين) (١) . دعا النبى صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا ، فعم ، وخص ، فقال: يابنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبو مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها ، أى : أصلكم فى الدنيا بمقتضى القرابة — ولكن لا أغنى عنكم من الله شيئا » .

وقد قال تعالى للمؤمنين : (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير ، قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم : انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شىء ، ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير) (٢) .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ (٢) الممتحنة : ٣ ، ٤

(٢) حوار حول التوسل والوسيلة

يجريه الدكتور محمد جميل غازى

* تحدثت فى العدد السابق عن « الحقائق العشر » التى ينبغى الالتزام بها عند « مناقشة » موضوع « التوسل والوسيلة » .

* وعلى ضوء هذه المقررات العشر . أستطيع أن أقول :

ان الوسيلة فى « القرآن الكريم » : اسم لكل ما يتوصل به الى مرضاة الله تعالى من علم أو عمل . . .

وهى فى « الحديث الشريف » اسم « لمنزلة فى الجنة » .

فقد روى أحمد والبخارى وأصحاب السنن من حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من قال حين يسمع النداء ــ أى : الاذان ــ اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى » .

وروى أحمد ومسلم وأصحاب السنن ــ الا ابن ماجة ــ من حديث عبد الله بن عمر ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « اذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا على ، فان من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون هو ، فمن سأل لى الوسيلة ، حلت عليه الشفاعة » .

* وتفسير النبى صلى الله عليه وسلم للوسيلة : يؤيد تفسير بنقلة اللغة بأن من معانيها : المنزلة عند الملك .

* * *

من التوسل المشروع :

* ومن التوسل المشروع الثابت بالقرآن والسنة : طلب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته .

يقول الله تعالى : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (١) .

ومنه ما رواه الترمذى بسنده الى عثمان بن حنيف رضى الله عنه (٢) ، أن ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادع الله أن يعافينى ، فقال : ان شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ ، فيحسن الوضوء ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد انى توجهت بك الى ربى ليقضى لى فى حاجتى هذه ، اللهم فشفعه فى » . وفى رواية : « وشفعنى فيه » . أى : استجب دعائى فى أن تقبل دعاء النبى لى » .

* وهذه الحادثة ، تفيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا للأعمى ، فاستجاب الله دعاءه ، ولو كانت الحادثة تفيد مجرد التوسل بالذوات لامكن لاى أعمى أن يتوسل الى الله بنبيه فيشفى كما شفى هذا الاعمى ! !

* * *

---

(١) النساء : ٦٤ .

(٢) هذا الحديث رواه البيهقى والنسائى أيضا ، وقال عنه الترمذى : انه حديث حسن صحيح ، ورواه الامام أحمد ، ورواه الحاكم فى المستدرك ، وقال : على شرط البخارى ، ورواه الطبرانى فى المعجم ، قال أبو عبد الله المقدسى : والحديث صحيح .

غير اننى اقول : ان فى سند هذا الحديث أبا جعفر .

ـ فان كان هو عيسى بن أبى عيسى ماهان أبو جعفر الرازى التميمى كما ظنه الحافظ ابن حجر فى « التقريب » ، فالاكثرون على ضعفه ، وقال عنه أحمد والنسائى ليس بالقوى ، وقال ابن المدينىَ : ثقة كان يخلط ، وقال مرة عنه : انه يكتب حديثه الا أنه يخطىء ، وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير .

ـ وان كان أبا جعفر المدنى ـ كما فى سنن ابن ماجة ـ فهو مجهول .

وأما تحسين الترمذى والحاكم وابن خزيمة للحديث فلا يعتد به ، لانهم كانوا يتساهلون فى التحسين ، قال ابن دحية : وكم حسن الترمذى فى كتابه من أحاديث موضوعة ، وأسانيد واهية ، وقال الحافظ ابن حجر : وفى تصحيح الترمذى نظر كثير ، وكذلك الحاكم وابن خزيمة وابن حبان ، فقد نبه الحافظ ابن حجر على انه : « لا بد للمتأهل من الاجتهاد والنظر ، والا يقلد هؤلاء ومن نحا نحوهم » ثم يقول : « فكم حكم ابن خزيمة بالصحة لما لا يرتقى من رتبة الحسن » .

* ومن ذلك القبيل ، استسقاء عمر بالعباس رضى الله عنهما : ففى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه استسقى بالعباس ، وقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا عليه الصلاة والسلام فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون .

* وهذا الذى روى عن عمر وعثمان بن حنيف رضى الله عنهما . توسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم . والله — سبحانه وتعالى — يستجيب دعاء عباده المؤمنين ، فما بالك بامام المؤمنين ، وخاتم المرسلين؟!

التوسل بذوات الانبياء والصالحين :

* أما التوسل بذوات الانبيـاء والصالحين ، والاقسام على الله تعالى بهم أو بحقوقهم ، فهى بدعة مستحدثة بعد خير القرون (١) .

---

(١) يقول ابن تيمية فى كتابه « قاعدة جليلة » — ص ٨٥ — : « والاحاديث التى تروى فى هذا الباب — وهو السؤال بنفس المخلوقين — هى من الاحاديث الضعيفة الواهية ، بل الموضوعة » ثم يسوق من هذه الاحاديث :

— ما يروى عن ابى بكر الصديق أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « انى أتعلم القرآن ، ويتفلت منى » ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : اللهم انى أسألك بمحمـد نبيك ، وبابراهيم خليلك ، وبموسى نجيك ، وبعيسى روحك وكلمتك » الخ ..

— وما يروى عن عمر بن الخطاب — مرفوعا وموقوفا — « أنه لمـا اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لمـا غفرت لى .. » الخ .

— وما يروى عن ابن عباس — مرفوعا — : « من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن ، وحفظ أصناف العلم ، فليكتب هذا الدعاء فى اناء نظيف بعسل وزعفران وماء مطر ، وليشربه على الريق ، وليصم ثلاثة أيام . وليكن افطاره عليها ويدعو ربه فى ادبار صلواته : اللهم انى أسألك بحق محمد نبيك » . الخ .

ثم يقول ابن تيمية — فى ص ٩٢ من الكتاب المذكور — : « والمقصود — هنا — أنه ليس فى هذا الباب حديث واحد مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم يعتمد عليه فى مسألة شرعية باتفاق أهل المعرفة بحديثه ، بل المروى فى ذلك انما يعرف أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات ، اما تعمدا من واضعه ، واما غلطا عليه » .

* وأول واحد تكلم فى ردها ــ على ما نعلم ، والله أعلم ــ الامام أبو حنيفة رحمه الله • فقد روى عنه صاحبه الامام أبو يوسف ، أنه قال : لا يسأل الله الا بالله . والدعاء المأذون فيه ما استفيد من قوله تعالى : (٧ : ١٨٠ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) •

وقال أو حنيفة رحمه الله ــ أيضا ــ كما نقله جمهور فقهاء الحنفية ، فى باب « الحظر والاباحة » : لا يجوز أن يقول الداعى فى دعائه : اللهم انى أسألك بحق فلان ، لانه لا حق لاحد على الله ! •

* * *

* ومن زعم أنه لا فرق بين طلب الدعاء والشفاعة منه صلى الله عليه وسلم بين حال الحياة والممات ، لانه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حى فى قبره ، فكأنه يدعى أنه أعلم من الصحابة وسائر أئمة السلف ، لانهم لم يفطنوا الى ما فطن هو اليه •

وكأنى بهؤلاء يسفهون رأى عمر رضى الله عنه ، حيث لم يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ، بل عدل عنه الى العباس رضى الله عنه •

ولو كان الامر كما يقولون لهرع الصحابة . رضوان الله عليهم ــ الى قبره صلى الله عليه وسلم ، ولتشققت حناجرهم بالنداء باسمه الشريف •

* ولكن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ بحصافة عقولهم ، ونور ايمانهم ، وعلمهم الصحيح بحقوق الله ورسوله ، ومعرفتهم الكاملة بربهم ونبيهم وعقيدتهم ، فرقوا بين الحالين ، وان شئت فقل : بين الحياتين •

* وهذا امام الصحابة ــ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أبو بكر رضى الله عنه ، يقول : « من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » •

(وللحوار بقية) •

د• محمد جميل غازى

(٣) حوار حول التوسل والوسيلة

يجريه الدكتور محمد جميل غازى

* فان قال قائل : أليست الشفاعة ثابتة للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ فلماذا لا نتوجه الى الله تعالى بموجب هذه الشفاعة ؟

* قلنا له : انه عليه الصلاة والسلام ــ الآن ــ موعود بالشفاعة فى اليوم الآخر ، ووعد الله حق ، لكنها مشروطة بالاذن والرضا قال تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) (١) وقال تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) (٢) وقال تعالى: (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٣) • وقال تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٤) •

فينبغى لمن أراد أن يدعو بطلب الشفاعة أن يقول : اللهم لا تحرمنى شفاعته صلى الله عليه وسلم ، أو اللهم شفعه فى ، وأمثال ذلك •

ولو كانت تطلب منه صلى الله عليه وسلم ــ الآن ــ لجاز لنا أن نطلبها ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن ، والملائكة ، وأطفال المؤمنين والصالحين •••

ولجاز لنا أن ندعوهم ، ونلتجىء اليهم ، ونرجوهم بهذه الشفاعة، فنصير اذا والمشركين الاولين فى طريق واحد ، لا نفترق عنهم الا بالاعمال الظاهرة من صلاة وصيام ونطق بكلمة التوحيد من غير عمل بها ، ومن غير اعتقاد لحقيقتها •

* ونقول أيضا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا أن أسعد الناس بشفاعته ، من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه ، كما فى حديث البخارى عن أبى هريرة ، وشاهده فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل بنى دعوة مستجابة ،

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .
(٢) طه : ١٠٩ .
(٣) الانبياء : ٢٨ .
(٤) النجم : ٢٦ .

فتعجل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة، فهى نائلة ــ ان شاء الله ــ من مات لا يشرك بالله شيئا » .

* فحقيقة الشفاعة المأذون فيها ، أن يتفضل الله سبحانه وتعالى على أهل الاخلاص والتوحيد ، فيغفر لهم بدعاء الشافعين الذين أذن لهم فى المشفوع ، فيكرمهم على حسب مراتبهم ، وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون .

* وقد نفى القرآن الكريم شفاعة الشرك فى كثير من آياته كقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (١) وكقوله : (فما لنا من شافعين) (٢) وكقوله : (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) (٣) وكقوله (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) (٤) وكقوله : (وما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) (٥) .

ومن تأمل هذه الآيات الكريمة وغيرها مما جاء فى معناها ، علم أن المقصود بنفى الشفاعة ، نفى الشرك بها أو فيها ، وهو أن لا يعبد الا الله .

* وقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ــ بل وجميع الرسل عليهم السلام بكلمة التوحيد ليبعدوا الناس عن ضلالات الالتجاء والشفاعة والرجاء والدعاء لغير الله سبحانه وتعالى وعز وجل .

* * *

* فان قال قائل : ان المشركين كانوا يعبدون هذه الآلهة ، ونحن لا نعبد الانبياء والصالحين ؟

* قلنا له : ان عبادتهم لها هو الالتجاء والدعاء والضراعة ، لانهم لم يكونوا يركعون لها ولا يسجدون ، وهل كان ود ، وسواع ، ويغوث، ويعوق ، ونسر الا أولياء وصالحين ؟

يقول عبد الله بن عباس وغيره : هؤلاء قوم صالحون كانوا فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، فعبدوهم .

* * *

---

(١) المدثر : ٤٨ .
(٢) الشعراء : ١٠٠ .
(٣) الاعراف : ٥٣ .
(٤) الروم : ١٣ .
(٥) الانعام : ٩٤ .

* فان قال قائل : ان الداعى الذى يلجأ الى قبور الاولياء والصالحين ، لا يريد بعمله الا التقرب الى الله ، والزلفى اليه ، والشفاعة عنده ، والتوسط بهؤلاء الذين هم أقرب منه الى الله وأحب .

* قلنا له : ان هذا هو عين ما أراده المشركون الاولون ، بدليل قوله تعالى حكاية عنهم : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) (١) وقوله عز وجل : (ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (٢) وقد ختم الله الآية الاولى بقوله : (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) وختم الآية الثانية بقوله : (سبحانه وتعالى عما يشركون) .

* فان قال قائل : ان هذه الآيات وغيرها — مما استشهدت به فى باب الشرك — وردت فى المشركين عباد الاصنام ، ولا يصلح اطلاقها على غيرهم من مسلمة هذا الزمان .

* قلنا له : ان الشرك صفات من اتصف بها كان مشركا ، وكذلك سائر الصفات المذمومة كالزنا ، والفسق ، والنفاق ، والظلم ، اذ العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب ، كما يقول الاصوليون .

ثم ... اذ صح ما تقولون ، كان معناه : أن كل حكم نزل على سبب مخصوص ، فى قصة مخصوصة ، فهو لا يتعداها الى غيرها ، وهذا ظاهر البطلان ، وفيه ما فيه من تعطيل لكثير من آيات القرآن المبين ، وأحكام الدين ، فان آيات الحدود والجنايات والمواريث والديات نزلت فى قضايا خاصة قد مضت ومضى أهلها الذين نزلت فيهم .

يقول ابن القيم فى تفسيره لقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير) (٣) : ان القرآن مملوء من أمثالها، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بدخول الواقع تحته ، ويجعلونه فى قوم خلوا ولم يعقبوا ارثا ، وهذا الذى يحول بين قلوب الناس وبين فهم القرآن .

* * *

(١) الزمر : ٣ .
(٢) يونس : ١٨ .
(٣) سبأ : ٢٢ .

* فان قال قائل : ان المشركين الذين حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا لا يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وكانوا ينكرون البعث ويجعلون القرآن سحرا ؟

* قلنا له : لا خلاف بين أئمة الامة أن الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ، وكذبه فى شىء آخر أنه لم يدخل فى الاسلام ، كما اذا آمن ببعض القرآن وكفر ببعض ، فما نحن فيه من هذا القبيل .

ثم ... ما رأى هذا « القائل » فيما كتبه الائمة الفقهاء فى (باب الردة) لا سيما ما جاء فى كتب الحنفية من التكفير بألفاظ يذكرها بعض الناس من غير اعتقاد ؟

ثم نقول : اذا كانت الالفاظ لا عبرة بها ، وانما العبرة بالاعتقاد لامكن لكل من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة ، ألا يتوب ، وألا نتوجه اليه بلوم ! .

ثم ... ما هو الكفر المقصود فى قوله تعالى : (ولئن سألتم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) (١) مع أن القوم كانوا هازلين ؟ .

د. محمد جميل غازى

أخى القارىء :

بعد أن تنتهى من قراءة هذا العدد من المجلة أعطه لابنائك لقراءته ، أو اشرح لهم ما جاء به من موضوعات ، حتى تحببهم فى الاسلام ، وتربيهم على طاعة الله ، والله يوفقك .

مجلة التوحيد

---

(١) التوبة : ٦٥ .

— ٤ —

* فان قال قائل : لماذا تمنعون التوسل بذوات الانبياء والصالحين ، مع أن حديث الاعمى الذى سبق أن استشهدت به دليل على اثبات التوسل بالذوات لا على نفيه •

* قلنا له : ان خلاصة معنى حديث الاعمى ، الدعاء من الاعمى ، والدعاء له من النبى صلى الله عليه وسلم ، والدعاء وطلبه مشروعان ، ومن دعا لغيره كان شفيعا له • ومنه الدعاء للميت ، كما ورد : « وقد جئناك راغبين اليك ، شفعاء له » فالاعمى : طلب الدعاء من النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا له ، والدعاء شفاعة ، وهو دعا الله أن يقبل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فيه — أى : دعاءه له — ولا يمكن للمتوسلين بالنبى عليه الصلاة والسلام اليوم أن يعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لهم وشفع فيهم حتى يسألوا الله أن يقبل شفاعته لهم ، ويستجيب دعاءهم •

* فان قال قائل : قد جاء فى حديث رواه أحمد فى مسنده وابن ماجة عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه علم الخارج الى الصلاة أن يقول : « وأسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا ، فانى لم أخرج أشرا ، ولا بطرا ، ولا رياء ، ولا سمعة ، ولكن خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك » ففى الحديث توسل واقسام على الله بحق السائلين وبحق المشى •

* قلنا له : ان فى اسنـــاد هذا الحـــديث عطية العوفى ــ وهو ضعيف ــ وعلى فرض صحة الحديث ، فان حق السائلين هو الاجابة التى وعدها الله تفضلا منه لهم ، فيكون سؤال الله بهذا الحق ، سؤالا بما هو من صفاته تعالى وأسمائه ، وهو : « المجيب » فلا حجة فى ذلك للمتوسلين بذوات المخلوقين وصفاتهم .

* * *

* فان قال قائل : ان للمستغاث به قدرة كسبية وتسببية ، فتنسب الاغاثة اليه بهذا المعنى .

* قلنا له : ان كلامنا فيمن يستغاث به عند المام ما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وأما فيما عدا ذلك مما يجرى فيه التعاون والتعاضد بين الناس ، واغاثة بعضهم بعضا ، فهذا شىء نقره ولا ننكره ، كيف والله تعالى يقول : ــ « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه » (١) .

اننا نعد منع هذا النوع من الاستغاثة جنونا وجهلا .

كما نعد اباحة الاستغاثة فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى شركا وضلالا !

* * *

* فان قال قائل : ان الرســـول صلى الله عليه وسلم ، قال : « توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عريض » أو « عظيم » .

* قلنا له : لا شك أن جاه النبى صلى الله عليه وسلم عظيـــم عند ربه .

ولكن الشك كله فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الكلام ،

---

(١) القصص : ١٥

يقول ابن تيمية (١) : « هذا الحديث كذب ليس فى شىء من كتب المسلمين التى يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث» .

* * *

* فان قائل : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور » .

* قلنا له : ما قاله ابن تيمية أيضا من أن هذا الحديث كذب مفترى على النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

* وقلنا له ــ أيضا ــ : كيف يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم باللياذ بالموتى ، وهو الذى نهى أمته قبل أن يموت بخمس عن تتشييد القبور والقباب حيث يقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد » تقول أمنا عائشة رضى الله عنها : « كان يحذر ما صنعوا » .

ثم . . . كيف يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نلجأ الى الموتى ، وربه سبحانه وتعالى يأمره ، ويأمرنا معه بأن نلجأ الى الحى الذى لا يموت « وتوكل على الحى الذى لا يموت » (٣) .

* * *

* فان قال قائل : ان اليهود كانوا يستفتحون بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، ويسألون الله به ، يقول الله تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (٤) .

* قلنا له : ان الآية تشير الى أن اليهود كانوا يقولون للمشركين: سوف يبعث هذا النبى ، ونقاتلكم معه فنقتلكم ، وهذا هو المعنى الثابت عند أئمة التفسير الموثوق بهم ، وهذه الآية نظير قوله تعالى : (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) والاستفتاح : طلب النصر .

* * *

* فان قال قائل : اننا عصاة مذنبون ، وان هؤلاء أطهار بررة ،

---

(١) ص ١٣٢ قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة .
(٢) ص ١٥٧ من المصدر السابق .
(٣) الفرقان : ٥٨ (٤) البقرة : ٨٩

فنحن نتوسل بهم ، لاننا لا نستطيع أن ندعو الله مباشرة !

* قلنا لهم : شبهتـــكم يا هؤلاء كشبهة المشركين الذين كانوا يخلعون ملابسهم ويطوفون عراة . . . ويقولون : كيف نعبد الله فى ثياب عصيناه فيها . . . !

* * *

* فان قال قائل : ان التوسل من الاسباب العادية لاجابة الدعاء.

* قلنا لهم : مثلكم فى هذا كمثل الذى يقول : ان الاكل يشبع غير الآكل

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس

* * *

* فان قال قائل : ان التوسل مجرد قسم على الله بمن يحب !

* قلنا له : اذا كان من المحظور أن يقسم المخلوق على المخلوق بمخلوق ، أفيجوز أن يقسم المخلوق على الخالق بمخلوق ؟ !

* * *

وبعد :

فهل يسمعنى ، أو يقرأ لى ، الغارقون فى التوسلات ، العاكفون على دعاء الاموات ؟

هل يجيبنى أحد ؟

أو يستجيب لى أحد ؟

أم أن صوتى سيضيع فى ضجيج الحشود الهائلة الزاحفـــة نحو القبور . . لتردد فى خشوع وتبتل :

يا سادتى من أمكم لرغبة فيكم جبر

ومن تكونـــوا ناصريه ينتصر

فرج بفضلك ما أروم فاننى

قد ضقت ذرعا يا أبا فراج

العارف لا يعرف والشكوى لاهل البصيرة عيب . .

* * *

لست أدرى . . غير أن الذى أدريه . . أننى بلغت . . والله على ما أقول شهيد .

د. محمد جميل غازى

من مفردات القرآن

الوحى

للدكتور محمد جميل غازى

قال الله تعالى :

(٤٢ : ٥١ ــ ٥٣ وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم • وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم• صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامــور) •

* * *

١ ــ ورد لفظ الوحى فى القرآن الكريم ٧٨ مرة •

ومن استعراض المــادة بكافة اشتقاقاتها ، وعلى ضوء ما قررته معاجم اللغة ، نستطيع أن نخلص الى هذا التعريف :

الوحى ــ فى اللغة ــ يطلق على الاشارة والايماء ، ومنه قوله تعالى (١٩ : ١١ فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وعلى الالهام الذى يقع فى النفس وهو أخفى من الايماء ، ومنه قوله عز وجل : (٢٨ : ٧ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم) وعلى ما يكون غريزة دائمة ، ومنه قوله تعالى : (١٦ : ٦٨ وأوحى ربك الى النحل) وعلى الاعلام فى الخفاء وهو أن تعلم انسانا بأمر تخفيه على غيره ، ومنه قوله تعالى : (٦ : ١١٢ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض) وأطلق على الكتابة والرسالة لمــا فيهما من التخصيص •

ووحى الله الى أنبيائه : هو ما يلقيه اليهم من العلم الضرورى الذى يخفيه عن غيرهم بعد أن يكون قد أعد أرواحهم لتلقيه بواسطة — كالملك — أو بغير واسطة •

وقد عرفه الامام محمد عبده فى رسالة التوحيد بأنه : « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والاول : بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت • ويفرق بينه وبين الالهام، بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » •

٢ — وقد تحدث القرآن الكريم عن ضرورة الوحى وحتميته ، وعن أهمية ارسال الرسل ، وانزال الكتب ، فقال سبحانه وتعالى : (٤ : ١٦٥ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (١٧ : ١٥ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٢٠ : ١٣٤ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا : ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (٢٨ : ٤٧ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) (٢٨ : ٥٩ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا) •

وفى الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحد أحب اليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين » •

وقد ذهب البعض الى أن « هداية العقل تغنى عن هداية النبى » وفسروا « الرسول » فى قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) بالعقل • وهو وهم تنفيه الآيات الاخرى التى تحدثت عن الرسل ، والتى لا [illegible] ل تفسير « الرسول » فيها « بالعقل » ، كما [illegible] ه تعالى [illegible] ن للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله عز [illegible] ل : (وما [illegible] القرى حتى يبعث فى أمها رسولا) الى [illegible]

٣ ــ ولقد أوحى الله الى رسل كثيرين منهم من قص علينا نبأه فى القرآن عظة وذكرى ومنهم من لم يقصص علينا نبأه .

ولنا أن نسأل : ان الرسل الذين قص القرآن علينا أنباءهم يكادون ينحصرون فى المنطقة العربية وما حولها .. فهل كانت هذه المنطقة ــ كما قد يتوهم البعض ــ هى منطقة النبوات فقط ؟ وهل خلت الارض ــ فيما عدا هذه المنطقة ــ من الانبياء والمرسلين ؟ مع أن الارض ــ فى تاريخها القديم ــ قامت عليها حضارات كثيرة ، هندية وصينية واغريقية . ويستبعد العقل أن تكون هذه الحضارات قامت بعيدا عن وحى الله ، وهداية الرسل .

وقد وضح القرآن الكريم الاجابة على هذا السؤال حيث يقول : (١٦ : ٣٦ ــ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وحيث يقول : (٣٥ : ٢٤ انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير) .

لقد أرسل الله رسله الى أمم الارض كلها هادين ، مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة .. فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا ؟ .

* * *

٤ ــ وضروب تكليم الله للبشر حددته آية الشورى التى نحن بصدد تفسيرها (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) .

والوحى ــ هنا ــ النفث فى الروع (١) ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرويه ابن حبان : « ان روح القدس نفث فى روعى أن

---

(١) الروع ــ بالضم ــ القلب ، والعقل ، والروع ــ بالفتح ــ الفزع .

نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم » .

وقوله : (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى ، وقد سمى الله تكليمه لموسى وحيا فى قوله تعالى : (٢٠ : ١٣ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) .

واستدلوا ــ بتأكيد الفعل ــ فى قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) على تكليم الله لموسى حقيقة لا مجازا ، يعنون أنه لو قال ــ فى هذه الآية ــ كما قال فى سورة البقرة : (٢ : ٢٥٣ منهم من كلم الله)ولم يزد عليه (تكليما) المؤكدة لجاز أن يكون التكليم مجازا . فان الفراء قال : ان العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر ، فاذا أكد لم يكن الا حقيقة الكلام .

وقوله تعالى : (أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) المقصود بالرسول : ملك الوحى المعبر عنه بالروح الامين ، وهو « جبريل (١) » عليه السلام .

(للمقال بقية) :

د. محمد جميل غازى

---

(١) جاء اسم جبريل ــ تصريحا ــ فى سورتى البقرة والتحريم ، يقول الله تعالى فى الاولى : (٢ : ٩٧ ، ٩٨ قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) ويقول الله تعالى فى الثانية : (٦٦ : ٤ وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل) . وقد ذكر القرآن جبريل باسم « الروح » فى (٨٧ ، ٢٥٣ البقرة) و (١١٠ المائدة) و (١٠٢ النحل) و (١٩٣ الشعراء) الى غير ذلك من الآيات .

من مفردات القرآن

الوحى

للدكتور محمد جميل غازى

(٢)

تحدثنا فى المقال السابق عن قول الله تعالى : (٤٢ : ٥١ ــ ٥٣ **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم · وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم · صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور**) ·

وقد بينا فى المقال السابق النقط الآتية :

١ ــ معنى كلمة (الوحى) ·

٢ ــ حديث القرآن عن ضرورة الوحى وحتميته ·

٣ ــ تأكيد أن الله أوحى الى رسل كثيرين : منهم من قص علينا **نبأه ، ومنهم من لم يقصص علينا نبأه** ·

٤ ــ ضروب تكليم الله للبشر التى حددتها آية سورة الشورى ·

* * *

ونواصل الآن الحديث فى هذا الموضوع ، فنقول وبالله التوفيق :

٥ ــ وقد كان للوحى الى الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم عدة حالات لا تخرج عما جاء فى هذه الآية الجامعة :

منها : الرؤيا ، فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت :

« **أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح** » ·

وقد سبق لابراهيم عليه السلام أن رأى فى منامه أنه يذبح ابنه ، فصدق

ما رأى ، وهم بتنفيذه : (**٣٧ : ١٠٢ يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى**) .

ومنها : ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « **ان روح القدس نفث فى روعى** » . **وقد مر.**

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول ، وفى هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا ، كما فى الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان كثيرا ما يأتيه فى صورة دحية بن فضالة الكلبى ولعل نزول الوحى فى صورة هذا الصحابى كان بعد الهجرة اذ أن دحية لم يسلم الا بعد غزوة بدر .

ومنها : أنه كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس ــ وكان أشده عليه صلى الله عليه وسلم ــ فيتلبس به الملك ، حتى ان جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد ، وحتى ان راحلته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ، ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

ومنها : أنه يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما قص الله علينا فى سورتى التكوير والنجم . قال تعالى ــ فى سورة التكوير : (١٩ ــ ٢٣ **انه لقول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم آمين ، وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالافق المبين**) .

وقال تعالى ــ فى سورة النجم ــ : (١ ــ ١٥ والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى) .

وقد أورد ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد) (١) حالتين للوحى غير ما ذكر :

الاولى : كلام الله للنبى صـــلى الله عليه وسلم ــ منه اليه بلا واسطة ملك ، كما كلم الله موسى بن عمران .

الثانية : تكليم الله له كفاحا من غير حجاب ، ويرى ابن تيمية أن الصواب هو ما ذهبت اليه عائشة رضى الله عنها ، ووافقها عليه جمهور الصحابة ، كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة . وهو الحق اذ أن المراجع الصحيحة تنفى أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه فى الدنيا .

أما الحالة الاولى التى أوردها ابن القيم ــ فانه على فرض ثبوتها ــ يمكن أن تفهم من حالات الوحى التى سبق أن ذكرناها .

* * *

٦ ــ وقد سمت « آية الشورى » ــ التى نحن بصدد تفسيرها ــ الوحى « روحا » حيث يقول الله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) ــ لان به حياة الافراد والامم ، وسعادة الدنيا والآخرة .

وانما قال : (من أمرنا) لانه أنزله كما يشاء على من يشاء من النظم المعجز ، والتأليف المعجب ، ويمكن أن يحمل قوله تعالى : (١٧ : ٨٥ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العـــلم الا قليلا**) أى : **يسألونك من أين لك هذا القرآن ؟ قل : انه من أمر الله ، أنزله على معجزا .**

وقوله تعالى : (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) توضـــحه آيات قرآنية أخرى ــ كقوله تعالى : (٢٩ : ٤٨ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون) وقوله تعالى : (٩٣ : ٧ ووجدك ضالا فهدى) .

* * *

(١) ج ١ ص ٣٤ مطبعة السنة المحمدية بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله .

٧ ــ لقد أوحى الله الى أنبيائه عليهم صلوات الله وسلامه ، فأناروا الدنيا ، وأرشدوا الحيارى ، وقعدوا قواعد الحق ، وأصلوا أصول البر ، وحددوا طريق الهدى ، وبينوا الصراط المستقيم الذى لا يضل سالكه .

ولولا وحى الله لعاش البشر فى عماء لا ينتهى ، وضلال لا هداية منه ، وفوضى لا نظام لها .

وكما أوحى الله الى أنبيائه ورسله ، أوحى الى الكائنات نواميسها التى لا تتغير ، ولا تتبدل ، ولا تتحول : **(٤١ : ١١ ، ١٢ ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا : أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها) (٩٩ : ١ ــ ٥ اذا زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ، وقال الانسان ما لها ، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها) (١٦ : ٦٨ ــ ٦٩ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)** .

* * *

٨ ــ والوحى : وحيان ــ كما يقول ابن عباس رضى الله عنهما . وحى الله ــ ووحى الشيطان .

يقول الله تعالى : (٦ : ١١٢ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) .

ويقول عز وجل : (٦ : ١٢١ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون) .

روى أصحاب السنن فى سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : أتى ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله انا نأكل ما نقتل ، ولا نأكل ما يقتل الله تعالى ، فنزلت الآية .

والشياطين لا تفتر عن وسوستها ، والقائها الوحى الى أوليائها ، فقد قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : ان المختار يزعم أنه يوحى اليه ، فقال : صدق ، وتلا قوله تعالى : (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) .

ومن وحى الشياطين ــ كما يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى تفسيره ــ ما جاء فى كتب الصوفية من ضلالات وزندقة وأوهام .

بل ان الشياطين لعبت بأوهام الصــوفية وأهوائهم حتى زعموا أن الوحى اليهم ، أفضل من الوحى الى الانبياء :

فابن عربى يرى : أن الاولياء أفضل من الانبياء ، وأن الانبيــاء وسائر الاولياء يأخذون عن خاتم الاولياء ، وأنه هو يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى الى الرسول ، فان الملك عنــده هو الخيال الذى فى النفس وهو جبريل عندهم . وذلك الخيال تابع للعقل، فالنبى عندهم : يأخذ من هذا الخيال ما يسمعه من الصوت نفسه . ولهذا يقولون : ان موسى كلم من سماء عقله ، والصوت الذى سمعه كان فى نفسه لا فى الخارج ، ويدعى أحدهم أنه أفضل من موسى ، كما ادعى ابن عربى أنه أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث ادعى أنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى النبى .

أرأيت الى الشيطان كيف يلقى بأتباعه فى هوة من الظلمات لاقرار لها ؟ (٢٤ : ٤٠ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .

د. محمد جميل غازى

محاضرات المركز العام

تم بحمد الله تنظيم محاضرات المركز العام كالآتى أسبوعيا :

الاحد : تفسير القرآن الكريم للدكتور محمد جميل غازى

الثلاثاء : حــديث وفقــه للاخ أحمد فهمى أحمد

الاربعاء : موضوعات عامة لفضيلة الشيخ عدلى المرشــدى والدكتور حسن رمزى (بالتناوب)

ونسأل الله التوفيق والسداد .

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

(٦ : ١٤٥ ــ ١٥٣ قل : لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير ، فانه رجس، أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم • وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون • فان كذبوك ، فقل : ربكم ذو رحمة واسعة ، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ، سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون ، قل : فلله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين قل : هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ، فان شهدوا ، فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ، والذين لا يؤمنون بالآخرة ، وهم بربهم يعدلون •

قل : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون • وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)•

* * *

وردت مادة (حل) ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٥١ مرة ، وقد جاءت لهذه المعانى :

١ ــ حل العقدة يحلها : فكها ، ومنه قوله تعالى : (٢٠ : ٢٧ ــ ٢٨ واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) .

٢ ــ وحل المكان ، وبالمكان يحل ــ بضم الحاء وكسرها ــ نزل فيه، ومنه قوله تعالى : (٩٠ : ٢ لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد).

٣ ــ حل المحرم من احرامه يحل ــ بكسر الحاء ــ خرج منه ، وأبيحت له محظوراته ومنه قوله تعالى : (٥ : ٢ واذا حللتم فاصطادوا).

٤ ــ حل عليه الغضب أو العذاب يحل ــ بكسر الحاء وضمها ــ نزل به ، ومنه قوله تعالى : (٢٠ : ٨١ ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى).

٥ ــ وحل الشىء يحل ــ بكسر الحاء ــ حلا ، أبيح ، ومنه قوله تعالى : (٢ : ٢٢٨ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) .

٦ ــ أحل الشىء ، أباحه ، فهو محل ، وهم محلون ، ومنه قوله : (٧ : ١٥٧ ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث) .

٧ ــ وأحله المكان : أنزله فيه ، ومنه قوله تعالى : (٣٥ : ٣٥ الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب).

٨ ــ الحليلة ، الزوجة ، وجمعها ، حلائل . ومنه قوله تعالى : (٤ : ٢٣ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم)

٩ ــ تحلة اليمين ، ما يزال به اثم اليمين ، ومنه قوله تعالى : (٦٦ : ٢ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) .

١٠ ــ يقال : بلغ الهدى محله ، أى الموضع الذى يحل فيه نحره ، ومنه قوله تعالى : (٢ : ١٩٦ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) .

* * *

ووردت مادة (حرم) ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٨٣ مرة . وقد جاءت لهذه المعانى :

١ ــ حرمه الشىء يحرمه حرما ، وحرمانا ، منعه اياه ، واسم المفعول منه محروم ، ومنه قوله تعالى : (٥٦ : ٦٧ بل نحن محرومون).

٢ ــ الحرام ضد الحلال ، وهو : الممنوع ، اما بتشريع ، أو بصرف

عنه ، وحرم الشيء تحريما ، جعله حراما ، أى : ممنوعا ، سواء أكان هذا المنع بحكم شرعى أو صرف عن ملابسته بصارف ، أو حيلولة بين المحرم والمحرم عليه قهرا ، واسم المفعول محرم ، ومؤنثه محرمة ، ومنه قوله تعالى : (١٦ : ١١٥ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) (٥ : ٢٦ قال : فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض) .

٣ ــ المسجد الحرام ، والبيت الحرام ، والشهر الحرام ، والمشعر الحرام ، سميت بذلك لان الله حرم فيها كثيرا مما ليس محرما فى غيرها ، ومنه قوله تعالى : (٢ : ١٩١ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) (٥ : ٩٧ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) (٢ : ١٩٤ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) (٢ : ١٩٨ فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) .

٤ ــ والحرام ، ما يحميه الرجل ويدافع عنه ، والحرام ما لا يحل انتهاكه ، وبهذا المعنى الاخير سميت مكة وما حولها ، ومنه قوله تعالى : (٢٩ : ٦٧ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حولهم ؟) .

٥ ــ وأحرم الرجل بالحج أو العمرة ، فهو محرم وحرام ، وجمعه حرم ــ بضمتين ــ وانما وصف بذلك لانه يحرم عليه ما كان له حلالا من قبل كالصيد والنساء ، أو لانه دخل بذلك فى عهد وحرمة من أن يعتدى عليه كما كانت عادة العرب ، ومنه قوله تعالى : (٥ : ١ أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم) .

٦ ــ والاشهر الاربعة الحرم ــ هى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب وسميت بذلك لان الله حرمها منذ عهد قديم ، والتزمت العرب تحريمها ، ومنه قوله تعالى : (٩ : ٣٦ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) .

٧ ــ والحرمة : ما لا يحل انتهاكها ، أو ما وجب القيام بها من حقوق الله ، وحرم التفريط فيه ، وجمعها : حرمات . ومنه قوله تعالى : (٢٢ : ٣٠ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) .

(للحديث بقية)

د. محمد جميل غازى

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازى

(الحلقة الثانية)

والحلال ما لم يدل الدليل على تحريمه ، والحرام بخلافه ، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البزار والطبرانى من حديث أبى الدرداء : « ما أحل الله فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئا » • وروى الترمذى وابن ماجة من حديث سلمان أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجبن والسمن والفراء ، فقال : « الحلال ما أحل الله فى كتابه ، والحرام ما حرم الله فى كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه » •

والحلال والحرام قواعد مقتبسة من الكتاب والسنة ، ينبغى أن يعيها المسلمون ويدرسوها ، فهى عمل تربوى أخلاقى متكامل ، وهى دستور سلوكى مستقيم ، لا نجد له ما يناظره أو يقاربه فى التراث الحضارى كله •

وقد اخترت لقراء « التوحيد » عشرين قاعدة منها ، وشرحتها حسب الوقت والطاقة وضيق المقام •

القاعدة الاولى :

أن الاصل فى الاشياء والمنافع الاباحة ، لقوله تعالى : (٢ : ٢٩ هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) ، (٣١ : ٢٠ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ، (٤٥ : ١٣ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) •

فهذه مائدة الله ونعمته قد مدت للعالمين ، وأتيحت للناس أجمعين ، لم يحرم منها مؤمنا ولا كافرا ، لانه ـ سبحانه ـ لو حرم منها المؤمن ـ اكتفاء بنعيم الآخرة ـ لكان فى ذلك ارغاما له على الكفر ، ولانه ـ سبحانه ـ لو حرم منها الكافر ، لكان فى ذلك ارغاما له على الايمان •

ان الله ــ سبحانه وتعالى ــ لا يريد أن يرغم الناس على الايمان أو الكفر ، بل ترك لهم الحرية والاختيار (١٨ : ٢٩ فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر) •

فالجميع يأكلون من مائدة الله ، ويتلقون امداداته ، غير أن المؤمن يعرف فضل الله عليه ، فيشكره ويعبده ، أما الكافر فقد قال الله فيه وفيمن على شاكلته : (٤٧ : ١٢ يتمتعون ، ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) •

ومن فضل الله وكرمه ، أن الطيبات المباحة المتاحة ، كثيرة لا حصر لها ، بينما الخبائث قليلة يمكن حصرها وعدها والاشارة اليها ، ولهذا أطلق الله الطيبات وجعلها شاملة عامة ، وقيد الخبائث وحصرها فى دائرة ضيقة ، يقول الله تعالى : (٦ : ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقا أهل لغير الله به) وحتى هذه المحرمات الاربعة أعقبها الله بقوله : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) •

وقد وضع الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من الآصار التى كانت على الامم من قبلهم ، فلم يعد الحرام بالنسبة اليهم عقوبة كما كان بالنسبة الى اليهود ، يقول الله تعالى : (٤ : ١٦٠ ، ١٦١ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل) (٦ : ١٤٦ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما ، أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم ، وانا لصادقون) •

القاعدة الثانية :

أن الحلال حلال الله ، وأن الحرام حرامه ، لانه ــ سبحانه ــ هو خالق الخلق ، وواهب الرزق ، فكان له وحده حق التحليل والتحريم • يقول الله سبحانه وتعالى : (١٦ : ١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) ، (١٠ : ٥٩ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل : آلله أذن لكم أم على الله تفترون) • وقد أخرج أبو داود عن ابن عباس

رضى الله عنهما قال : « كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ، ويتركون أشياء تقذرا ، فبعث الله نبيه ، وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو معفو عنه » وروى الامام الشافعى فى كتابه : « الام » عن القـــاضى أبى يوسف : « أدركنا مشايخنا من أهل العلم يكرهون فى الفتيا أن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام ، الا ما كان فى كتاب الله تعالى بينا بلا تفسير ، حدثنا ابن السائب عن ربيع بن خيثم وكان أفضل التابعين أنه قال : اياكم أن يقول الرجل : ان الله أحل هذا ورضيه ، فيقول الله له : كذبت لم أحل هذا ولم أرضه ، أو يقول : ان الله حرم هذا ونهى عنه فيقول الله : كذبت لم أحرمه ولم أنه عنه » •

ومن قلد فى قضايا الحلال والحرام أقوال الناس وآراءهم بدون علم ولا هدى ولا كتاب منير ، كان مشركا ، لقوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى : (٩ : ٣٠ ، ٣١ وقالت النصـــارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون) •

يقول الرازى فى تفسير هذه الآية : « الاكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الارباب أنهم اعتقدوا أنهم آلهة العالم ، بل المراد أنهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم ، نقل أن عدى بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ســـورة براءة فوصل الى هذه الآية قال : فقلت : لسنا نعبدهم ، فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ قلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم •

ويقول السيد حسن صديق خان فى تفسيره لهذه الآية : « فى هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله ، وايثار ما يقوله الاسلاف على ما فى الـــكتاب العزيز والسنة المطهرة » • (للحديث بقية) **د• محمد جميل غازى**

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

(الحلقة الثالثة)

القاعدة الثالثة :

الحلال هو الطيب ، والحرام هو الخبيث • فقد حرم الله — سبحانه وتعالى — الخبيث من الاقوال والافعال والعقائد حيث يقول : (٧ : ٣٣ قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، فهذه آية جامعة فى تحريم جميع الذنوب ، لان قوله تعالى (الفواحش) و (الاثم) يشتمل على الصغير والكبير ، والافعال القبيحة ، والعقود المخالفة للشرع ، والاقاويل الفاسقة ، والاعتقادات الباطلة ، ودخل فى قوله تعالى : (ما ظهر منها وما بطن) أفعال الجوارح ، وأفعال القلوب ، والخيانات والمكر والخديعة ، ودخل تحت قوله تعالى : (والبغى) كل ظلم يتعدى على الغير ، فيدخل فيه ما يفعله البغاة والخوارج والحكام اذا انتصروا بغير حق ، ودخل تحت قوله تعالى : (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) تحريم كل شرك وعبادة لغير الله ، ودخل تحت قوله تعالى : (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) كل بدعة وضلالة وفتوى بغير حق وشهادة زور •

وقد رتبت الخبائث فى هذه الآية ترتيبا تصاعديا فكانت المحرمات فيها على أربعة أنواع ، أولها : الفواحش وهى أدناها مرتبة — وثانيها : الاثم والظلم ، وهو أشد درجة من سابقه ، وثالثها : الشرك بالله تعالى وهو أعظم تحريما ، ورابعها القول على الله بغير علم ، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم فى أسمائه وصفاته وأفعاله ، وفى دينه وشرعه •

* * *

وقد قال الامام ابن تيمية فى كتابه : « جواب أهل الايمـــان » : (الطيبات التى أباحها الله هى : المطاعم النافعة للعقول والاخـــلاق ، والخبائث هى الضارة للعقول والاخلاق ، كما أن الخمر هى : « أم الخبائث » لانها تفسد العقول والاخلاق ، فأباح الله الطيبات للمتقين لكى يستعينوا بها على عبادة ربهم التى خلقوا لها ، وحرم عليهم الخبائث التى تضرهم فى المقصود الذى خلقوا له) .

وقد جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تقابل بين الطيب والخبيث فى الناس والاموال والبلاد والكلام ، يقول الله تعالى : (٣ : ١٧٩ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميـــز الخبيث من الطيب) (٤ : ٢ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) (٧ : ٥٨ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا) (١٤ : ٢٤ ــ ٢٦ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثـــة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار) .

واذا كان الله سبحانه وتعالى ، قد أحل الطيبات وأباحها ، ونهى عن تحريمها ، فانه سبحانه وتعالى ، قد نهى عن الاعتداء فيها ، يقول الله تعالى : (٥ : ٨٧ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) أى : لا تتجاوزوا حد الاعتدال الى الاسراف الضـــار بالجسد كالزيادة على الشبع والرى فهو تفريط ، وهذا هو معنى قوله تعالى : (٧ : ٣١ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ، وذلك لان تزكية النفس تكون بايقافها عند حد الاعتدال ، واجتناب التفريط والافراط ، قال بعض الحكماء : « ان أكثر الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم » بمعنى أنهم لاسرافهم فى الطعام يصابون بأمراض تهلكهم .

* * *

القـــاعدة الرابعة ؟

ما حرم استعماله ، حرم اتخاذه ، كاقتناء آلات اللهو ، وتربية

الكلب لغير الصيد والحراسة ، ويتفرع على هذه القاعدة قاعدة ثانية (ما حرم أخذه حرم اعطاؤه) وذلك كبذل المـــال للحاكم ليبطل حقا ، وكالربا وأجرة النائحة ... وقاعدة ثالثة : (ما حرم فعله حرم طلبه) وذلك كالرشوة طلبها حرام ، وفعلها حرام ، فقد روى الحميدى فى مسنده أن رجلا أراد أن يهدى النبى صلى الله عليه وسلم راوية خمر ، فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أن الله حرمها ، فقال الرجل : أفلا أبيعها فقال : ان الذى حرم شربها حرم بيعها ، فقال : أفلا أكارم بها اليهود ؟ فقال : ان الذى حرم بيعها حرم أن تكارم بها اليهود فقال الرجل: فماذا أصنع بها قال النبى صلى الله عليه وسلم شنها على البطحاء .

* * *

القاعـــدة الخامسة :

الضرورات تبيح المحظورات والاصل فى هذه القاعدة ما جاء فى قوله تعالى : (٢ : ١٧٣ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فـــلا اثم عليه) (٥ : ٣ فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) (٦ : ١٤٥ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) (١٦ : ١١٥ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) (٦ : ١١٩ وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) .

وضابط الضرورة : أن يبلغ المضطر حدا لو لم يتناول المحظـــور لهلك أو قارب الهلاك .

وقد اشترطوا لاباحة المحظور بالضرورة : أن ينقص المحظور عنها، فلو أكره على القتل لا يحل له أن يفعل .

كذلك اشترطوا أن تقدر الضرورة بقدرها ، فالمضطر لا يأكل من الميتة الا قدر سد الرمق ، ولا يشبع الا اذا كانت بين يديه مســـافة بعيدة لا يقطعها الا بالشبع .

وقالوا : ان الضرر لا يزال بالضرر ، بمعنى : أن يزال ضرر انسان

بارتكاب ضرر انسان آخر ، لان الخلق كلهم عيال الله ، فساوى بينهم فى الاحترام ، فلا يحل لمضطر أن يأكل طعام مضطر آخر .

ويرى أئمة السلف : أن يستجيب لداعى الضرورة ولا يتعفف ، يقول مسروق « من اضطر الى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات دخل النار الا أن يعفو الله عنه » وقال أبو الحسن الطبرى : « وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة ، بل هو عزيمة واجبة » .

وليس من الاضطرار الذى يلجىء الى الميتة أن يجد المضطر ما يزيل ضرورته فى يد الغير ، فاضلا عن حاجته ، بل عليه أن يقاتله عليه اذا منعه منه . يقول ابن حزم (لا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاما — فيه فضل على صاحبه — لمسلم أو ذمى ، لان فرضا على صاحب الطعام اطعام الجائع ، فاذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر الى الميتة ولا الى لحم الخنزير وله أن يقاتل عن ذلك ، فان قتل فعلى قاتله القود أى القصاص وان قتل المانع : فالى لعنة الله ، لانه منع حقا) » .

* * *

القاعدة السادسة :

المشقة تجلب التيسير ، والاصل فى هذه القاعدة قوله تعالى : (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر) (٢٢ : ٧٨ وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (٤ : ٢٦ — ٢٨ يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) — وقوله صلى الله عليه وسلم (بعثت بالحنيفية السمحة) (انما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين) وروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : (ان دين الله يسر — ثلاثا) وروى الشيخان عن عائشة

رضى الله عنها : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما) الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة •

وقاعدة « التيسير » أوسع من قاعدة « الاضطرار » لان التيسير فى ترك الواجب الى عاجل أو آجل ، أما الاضطرار ففى استباحة المحرم ولو مؤقتا ، وترك الواجبات أهون من فعل المنهيات ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فدعوه) •

وأسباب التخفيف فى العبادات وغيرها ستة :

الاول : السفر ، ومن رخصه : القصر ، والفطر ، والمسح على الخف أكثر من يوم وليلة ، والجمع ، والتيمم •

الثانى : المرض ومن رخصه : التيمم ، والصلاة من قعود فى الفرض أو الاضطجاع أو الايماء ، والتخلف عن الجماعة والجمعة ، والفطر فى رمضان ، واباحة محظورات الاحرام مع الفدية •

الثالث : الاكراه فانه يبيح الخمر ، والتلفظ بكلمة الكفر ، ولا يبيح القتل •

الرابع : النسيان ، فانه مسقط للاثم ، كمن جامع فى نهار رمضان ناسيا الصوم فلا كفارة عليه ، ولا يبطل صومه ، وكمن سلم من ركعتين ناسيا فى الصلاة الرباعية لا تبطل صلاته ويكمل ، ويسجد للسهو •

الخامس : الجهل بالحكم ، فانه مسقط للاثم أيضا •

السادس : النقص عن الكمال فانه نوع من الشقة كعدم تكليف النساء بكثير مما يجب على الرجال كالجمعة والجماعة والجهاد وكعدم تكليف الصبى والمجنون •

(للحديث بقية)

دكتور محمد جميل غازى

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

الحلقـــة الرابعـــة

القاعدة السابعة :

التحريم لا يكون بأثر رجعى ، أى أن التحريم يبدأ من النص لا قبله ، فلا عقوبة الا بنص سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، فقد تساءل الصحابة رضوان الله عليهم بعد تحريم الخمر ، كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربونها : فقال الله تعالى : (٥ : ٩٣ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصـــالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين) .

القاعدة الثامنة :

ما أدى الى الحرام فهو حرام ، وان كان جائزا فى الاصل ، يقول الله تعـــالى مؤدبا للمؤمنـــات : (٢٤ : ٣١ ولا يضربن بأرجلهم ليعلم ما يخفين من زينتهن) نهوا عن الضرب بالارجل وان كان جائزا فى نفسه لئلا يكون سببا الى فتنة الرجال واثارة شهواتهم ويقول تعالى : (٢٤ : ٥٨ يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات) نهوا عن الدخول مع أنه مباح حتى لا يطلعوا على العورات .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخارى عن عبد الله بن عمر « ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل سابا لاعنا لابويه بتسببه فى ذلك .

وحرم صلى الله عليه وسلم الخلوة بالاجنبية ، والنظر اليها •

كما نهى عن بناء المساجد على القبور ، ولعن من فعل ذلك ، ونهى عن تجصيص القبور ، وتشريفها ، واتخاذها مساجد ، وعن الصلاة اليها وعندها ، وعن ايقاد المصابيح عليها ، وأمر بتسويتها بالارض ، ونهى عن اتخاذها عيدا ، وعن شد الرحال اليها ، لئلا يكون ذلك ذريعة الى اتخاذها أوثانا والاشراك بها ، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه ، وذلك سدا للذرائع •

القاعدة التاسعة :

التحايل على الحرام حرام ، وتجويز الحيل يناقض قاعدة « سد الذرائع » تماما ، وذلك لان الشارع سد الطريق الى المفاسد بكل ممكن، والمحتال يفتح الطريق الى المفاسد بحيله ، فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع فى المحرم ممن يعمل الحيلة للتوصل اليه ؟

ومن تأمل أحاديث اللعن وجد عامتها لمن استحل محارم الله وأسقط فرائضه بالحيل ، كقوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله المحلل والمحلل له » وقوله : « لعن الله الراشى والمرتشى » وقوله : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها » وقوله « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه » وقوله : « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة » •

يقول أبو أيوب السختيانى ــ فى أهل الحيل ــ يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان ، فلو أتوا الاثم عيانا كان أهون على •

القاعدة العاشرة :

الامور بمقاصدها ، أى : الشئون مرتبطة بنياتها ، والاصل فى هذه القاعدة قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » • وهذا الحديث صحيح مشهور أخرجه الائمة الستة وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه •

* والنية هي التي تميز العبادات من العـادات ، وتميز رتب العبادات بعضها من بعض ، فالغسل قد يكون للتبرد والتبرد ، وقد يكون للعبادة ، والصوم قد يكون للتداوى ، وقد يكون للعبادة . وهكذا .

ولهذا لا تشترط النية فى العبادات التى لا تكون عادات ولا تلتبس بغيرها كالايمان بالله تعالى ، والخوف منه ، وقراءة القرآن . وكذلك فى المتروكات ، كترك الزنا ، والسرقة وغيره ، فلم يحتج الى نية لاجتنابه .

* والنية الطيبة تحيل المباحات والعادات الى طاعات وقربات الى الله تعالى ، يقول الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه : «الحلال والحرام» « فمن تناول غذاءه بنية حفظ الحياة ، وتقوية الجسد ليستطيع القيام بواجبه نحو ربه وأمته كان طعامه وشرابه عبادة وقربة ، ومن أتى شهوته مع زوجته بقصد ابتغاء الولد أو اعفاف نفسه وأهله كان ذلك عبـادة تستحق المثوبة ، وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يأتى أحدنا شهوته يا رسول الله ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أليس أن وضعها فى حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك ان وضعها فى حلال كان له أجر » « ومن طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة ، وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره لقى الله وجهه كالقمر ليلة البدر » .

ثم يقول الدكتور القرضاوى : « أما الحرام فهو حرام مهما حسنت نية فاعله ، وشرف قصده ، ومهما كان هدفه نبيلا ، ولا يرضى الاسلام أبدا أن يتخذ الحرام وسيلة الى غاية محمودة ، لان الاسلام يحرص على طهر الغاية وشرف الوسيلة معا » .

* وقد أخرج أحمد وغيره عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ، أن الله تعـالى لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث » وفى الحديث الذى رواه مسلم

والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا »•

*** القاعدة الحادية عشرة :**

التعلل بمشيئة الله لا يبرر اقتراف المحرمات ،وقد رد الله سبحانه فى أربعة مواضع من كتابه على الذين تعللوا بالمشيئة ، وبرروا بها الشرك ، والتقليد ، والامساك عن الانفاق فى سبيل الله ، وتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، يقول تعالى : (٦ : ١٤٨ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء) (١٦ : ٣٥ وقال الذين أشركوا لو شاءالله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) (٣٦ : ٤٧ واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) (٤٣ : ٢٠ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) •

وقد كان ابليس ــ عليه لعائن الله ــ هو أول من احتج بالقدر بعد أن عصى أمر ربه فلم يسجد لآدم كما أمره ، فلما غضب الله عليه لم يرجع على نفسه باللائمة ولم يستشعر الندم فيتوب كما تاب آدم ، بل غلبت عليه شقوته فقال : (١٥ : ٣٩ رب بما أغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين) ، وقد تلقى كثير ممن غلبت عليهم الشقوة من بنى آدم هذه الحجة الضالة عن ابليس •

* ومن عجيب أمر هؤلاء الناس ، أنهم عند الطاعة قدريون ، وعند المعصية جبريون •

* ويقول جعفر الصادق ، للذين شغلوا بالقدر ، وتعللوا به : (ان الله تعالى أراد بنا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وأما أراده منا أظهره لنا ، فما لنا نشتغل بما أراده بنا ، عما أراده منا ؟) •

للحديث بقية : **د• محمد جميل غازى**

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

الحلقة الخامسة *

القاعدة الثانية عشرة : اذا اجتمع فى الشيء اثم ومنفعة ، كان الحكم تابعا للغالب فيهما ، فان زاد الاثم على المنفعة كان حراما • وان زادت المنفعة على الاثم كان حلالا ، لقوله تعالى : (٢ : ٢١٩ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) فالاشياء والاعمال قد لا تكون شرا خالصا ، فالخير يتلبس بالشر ، والشر يتلبس بالخير فى هذه الارض ، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر ، فاذا كان الاثم فى الخمر والميسر أكبر من النفع فتلك علة تحريم ومنع ، وان لم يصرح فى الآية بالتحريم والمنع •

واذا اشتبه الامر على الانسان ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » الحديث • رواه الشيخان عن النعمان بن بشير •

* * *

القاعدة الثالثة عشرة : اذا زال الموجب زال الموجب (١) ، وتتعدى هذه القاعدة الى سائر النجاسات اذا استحالت ، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن اللبن أنه يخرج من بين فرث ودم : (١٦ : ٦٦ وان لكم فى

---

(١) الموجب الاولى بكسر الجيم والثانية بفتحها .

الانعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) • وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن الدابة اذا علفت بالنجاسة ثم حبست ، وعلفت بالطاهرات ، حل لبنها ولحمها ، لاستحالة الخبث الى طيب ، وعكس هذا ، أن الطيب اذا استحال خبيثا صار نجسا كالماء والطعام اذا استحال بولا وعذرة ، والله تعانى يخرج الطيب من الخبيث ، ويخرج الخبيث من الطيب ، فلا عبرة بالاصل ، ولكن العبرة بالشىء نفسه •

ويلحق بهذه القاعدة قاعدة أخرى هى : « الحكم يدور مع علته وسببه وجودا وعدما » كالخمر علق بها التحريم لعلة الاسكار فاذا زال عنها الاسكار بأن صارت خلا ، حلت •

* * *

القاعدة الرابعة عشرة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وهى نص حديث رواه أحمد والحاكم عن عمران والحكم بن عمرو الغفارى وتتمته : « ان الطاعة فى المعروف » • يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ولاة الامور : « من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة » • رواه الشيخان •

وقد أخرج الامام أحمد بسنده ، عن على قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار ، فلما خرجوا وجد عليهم فى شىء ، قال : فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعونى ؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا حطبا ، ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال : عزمت عليكم لتدخلنها ، قال : فقال لهم شاب منهم : انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار ، فلا تعجلوا ، حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال لهم : « لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا انما الطاعة فى المعروف » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الاعمش •

وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته الاولى لما ولى الخلافة :

«أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت فلا طاعة لى عليكم» •

ويقول الله تعالى : (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل اعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا ، ولم يأمر بطاعة أولى الامر استقلالا ، بل حذف الفعل ، وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ايذانا بأنهم انما يطاعون تبعا لطاعة الرسول ، ثم أمر — سبحانه — برد الامور المتنازع فيها الى الله والرسول •

* * *

القاعدة الخامسة عشرة : « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا » وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه : « المسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا ، أو أحل حراما » رواه الترمذى من حديث عمرو بن عوف المزنى •

وقد ندب الله — سبحانه وتعالى — الى الصلح فى الدماء ، وبين الزوجين عند التنازع فى حقوقهما ، يقول الله تعالى : (٤٩ : ٩ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى ، فقاتلوا التى تبغى) •

(٤ : ١٢٨ وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) — (٤ : ١١٤ لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) •

والحقوق نوعان : حق الله ، وحق الآدمى . فحق الله لا مدخل للصلح فيه كالحدود ، والزكوات ، والكفارات ، ونحوها ، وانما الصلح بين العبد وربه فى اقامتها لا فى اهمالها ، وأما حقوق الآدميين فهى التى تقبل الصلح والاسقاط والمعاوضة عليها • والصلح العادل هو الذى أمر الله تعالى به حيث يقول :

(٩:٤٩ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين)•

والصلح الذى يحل الحرام ، ويحرم الحلال ، باطل ، كالصلح الذى يتضمن تحريم بضع حلال ، أو احلال بضع حرام ، أو أكل ربا ، أو اسقاط واجب أو تعطيل حد ، أو ظلم ثالث •

أما الصلح الجائز بين المسلمين فهو الذى يقصد به رضا الله سبحانه ثم رضا الخصمين ، وأساسه : العلم والعدل ، فيكون القائم بالصلح عالما بالوقائع ، عارفا بالواجب ، متحريا للحق ، حاكما بالعدل •

* * *

القاعدة السادسة عشرة : ما ثبت ضرره فأكله وشربه حرام ، وهذه قاعدة عامة مقررة فى الشريعة ، فلا يحل لمسلم أن يتناول شيئا يؤذيه أو يضره ، أو يقتله قتلا بطيئا أو سريعا • يقول الله تعالى : (٢ : ١٩٥ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) • (٤ : ٢٩ ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) •

وقد أخرج مالك فى الموطأ مرسلا ، وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس وعبادة بن الصامت وأخرج الحاكم فى المستدرك ، والبيهقى والدار قطنى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا ضرر ولا ضرار » •

يقول الدكتور القرضاوى (١) : « ووفقا لهذا المبدأ نقول : ان تناول التبغ (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضر تناوله فهو حرام ، وخاصة اذا قرر ذلك طبيب مختص بالنسبة لشخص معين ، ولو لم يثبت ضرره الصحى لكان اضاعة للمال فيما لا ينفع فى الدين أو الدنيا ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال (٢) ، ويتأكد النهى اذا كان محتاجا الى ما ينفقه من مال لنفسه أو عياله » •

د• محمد جميل غازى

---

(١) كتاب الحلال والحرام ص ٧٧ •
(٢) البخارى •

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

الحلقة السادسة

القاعدة السابعة عشرة : قد لا تتضح للانسان الحكمة التفصيلية لما حرم الله وأحل ، ولكن ليس معنى هذا أنه ليس هناك حكمة وراء الحلال والحرام ولكن معناه أن الاحاطة بأسرار التحليل والتحريم لله سبحانه .

وأحيانا يذكر الشارع مع الحكم علته ، كقوله تعالى فى سبب الامر باعتزال النساء فى مدة الحيض : (٢ : ٢٢٢ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) وقوله فى الخمر والميسر : (٥:٩١ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) . وقوله صلى الله عليه وسلم فى نبيذ التمر : (ثمرة طيبة ، وماء طهور) وقوله فى الاستئذان : (انما جعل الاستئذان من أجل البصر) وقوله فى تعليل نهيه عن نكاح المرأة على عمتها وخالتها : (انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) وقوله فى النهى عن النجوى : (لا يتناج اثنان وبينهما ثالث فان ذلك يحزنه) .

وقد يصل الانسان الى بعض أسرار التشريع باجتهاده ، فمثلا ، تحريم لحم الخنزير اكتشفوا — منذ قليل — أن فى لحمه ودمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة — الدودة الشريطية وبويضاتها المتكيسة — ويقول الآن قوم : ان وسائل الطهو الحديثة قد تقدمت ، فلم تعد هذه الديدان وبويضاتها مصدر خطر لان ابادتها مضمونة بالحرارة العالية التى توفرها وسائل الطهو الحديثة ، وينسى هؤلاء الناس أن علمهم قد احتاج الى قرون طويلة ليكشف آفة واحدة ، فمن ذا الذى يجزم بأن ليس هناك

آفات أخرى فى لحم الخنزير لم يكشف بعد عنها (١) ، وهكذا سائر المحرمات .

القاعدة الثامنة عشرة : الناس أمام قضايا الحلال والحرام سواء ، وسند هذه القاعدة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد لما جاءه يشفع فى المخزومية التى سرقت : (انما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد ، والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) . وقد حدث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ارتكبت سرقة حامت فيها الشبهة حول يهودى ومسلم ، واستطاع بعض أقرباء المسلم أن يلصقوا التهمة باليهودى اعتمادا على بعض القرائن ، حتى هم النبى صلى الله عليه وسلم أن يدافع عن المسلم اعتقادا منه ببراءته، فنزل الوحى الالهى يفضح الخونة ، ويبرىء اليهودى ، ويعاتب الرسول ويضع الحق فى نصابه حيث يقول سبحانه وتعالى : (٤ : ١٠٥ ــ ١٠٩ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ،

---

(١) تأكيدا لهذا القول نذكر قراءنا بما نشرته احدى الجرائد اليومية فى مصر ، فقد نشرت جريدة الاخبار الصادرة يوم ٢٦ مايو ١٩٧٥ تحت عنوان (حالة مرضية غريبة فى فنادق القاهرة ــ السياحة والصحة تكتشفان ان لحم الخنزير هو السبب) ما نصه :

حالة مرضية غريبة ظهرت فى عدد من فنادق القاهرة على سياح اجانب اثارت قلق المسئولين فى وزارتى الصحة والسياحة ، بدأت فى فندق منيل بالاس ثم هيلتون . اهتم عادل علوبة رئيس مجلس ادارة « تورهوتيل » بالامر ، وطلب اجراء فحص شامل لهذه الحالة ، ثم تبين ان منبعها هو « لحم الخنزير » الذى يقدم للسياح الغربيين ، تشكلت لجنة لبحث اسباب اصابة السياح بهذا المرض من لحم الخنزير . وكانت حالة مشابهة قد ظهرت على نزيلة بفندق منيل بالاس منذ شهور ، ولم يستطع الاطباء تشخيصها ، وسافرت الى لندن حيث شخصها الاطباء الانجليز بأنها مرض اسمه « ترسكينيلا » وأعطوا العذر للأطباء المصريين فى عدم تشخيصها لانها حالة جديدة) .

رئيس التحرير

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ؟) .

فأين من روح الاسلام ومنهجه وطبيعته ، ما يفعله اليهود ويدينون به من أن الحرام يتفاوت بتفاوت الجنس ، ولذلك استحلوا لنفوسهم أمورا كثيرة حرموها على الآخرين ، لانهم — بزعمهم — أبناء الله وأحباؤه : (٣ : ٧٥ ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) .

القاعدة التاسعة عشرة : فى الحلال ما يغنى عن الحرام ، فالله سبحانه وتعالى انما حرم الحرام لخبثه وضرره ، وأحل الحلال لطيبه ونفعه ، ومن رحمته — سبحانه — ونعمته أنه ما حرم شيئا الا عوض عنه ما هو أحسن وأنفع . وقد نقل القرضاوى (١) عن ابن القيم قوله :

حرم عليهم الاستسقام بالازلام ، وعوضهم عنها دعاء الاستخارة .

حرم عليهم الربا وعوضهم التجارة الرابحة .

حرم عليهم الحرير وأعاضهم عنه بأنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن .

وحرم عليهم الزنا وأعاضهم عنه بالزواج الحلال .

ولكن مما يؤسف له أن الناس اليوم ألفوا المحرمات ، وهجروا الحلال وأطلقوا على الحرام أسماء براقة جذابة : فأطلقوا على الربا : الفائدة ، وأطلقوا على الخمر المشروبات الروحية ، وأطلقوا على العرى : الفن والمدنية . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كما فى مسند

---

(١) الحلال والحرام ص ٣٠ نقلا عن روضة المحبين لابن القيم ص ٤١٠ واعلام الموقعين له أيضا ج ٢ ص ١١١ .

أحمد : « يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » ويقول ابن تيمية : وقد جاء حديث آخر يوافق هذا مرفوعا وموقوفا من حديث ابن عباس : « يأتى على الناس زمان يستحلون فيه خمسة أشياء يستحلون الخمر باسم يسمونها اياه ، والسحت بالهدية ، والقتل بالرهبنة ، والزنا بالنكاح والربا بالبيع » .

القاعدة العشرون : « واستفت قلبك » وهى جزء من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه أحمد والدارمى وحسنه النووى فى الاربعين عن وابصة الجهنى رضى الله عنه قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : جئت تسأل عن البر ؟ وفى رواية : جئت تسأل عن البر والاثم ؟ قلت : نعم — وكان قد جاء لاجل ذلك — فقال : « استفت قلبك ، البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » .

وليس هذا تفسيرا للبر والاثم بالمعنى الشرعى ولا اللغوى ، وانما هو بيان لما يطلبه السائل من الفرقان بين ما يشتبه من البر والاثم ، فيشك الانسان هل هو منها أم لا ؟ فأحاله النبى صلى الله عليه وسلم على قلبه ، وما يسكن اليه ، ويطمئن به .

والقلب الذى أحال عليه النبى صلى الله عليه وسلم هو القلب المؤمن الحى اليقظ العالم الفاهم الذى يتقى الشبهات ، ولا ينقاد للشهوات .

(للحديث بقية) .

د. محمد جميل غازى

* * *

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازى

الحلقة السابعة

* والآن — وقد استعرضت بعض القواعد الضابطة لقضايا الحلال والحرام يحسن بى أن أقف قليلا بين يدى الآيات التى صدرت بها البحث ، لأتأمل بعض ملامحها ، وان كنت أرى أن هذه القواعد العشرين ، ستغنينى عن اطالة الوقوف بين يدى الآيات :

* يدل وجود هذه المجموعة من الآيات فى سياق سورة مكية هدفها ، تجلية التوحيد ، على جدية قضية الحلال والحرام ، وأهميتها فى الدين وأنها مرتبطة بالتوحيد أتم ارتباط وأوثقه .

* وقد تحدثت سورة الانعام من الآية ١٣٦ عن أسلوب الجاهليين فى التحليل والتحريم فقد روى الحافظ ابن مردويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم ، قال : « اذا سرك أن تعلم جهل العرب فى الحلال والحرام ، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام»(١) .

* والناظر المتأمل فى هذه الآيات التى أشار اليها ابن عباس رضى الله عنهما ، والتى بين أنها عرفت بأساليب الجاهليين فى التحليل والتحريم ، يجد أنهم :

أولا : قسموا ما رزقهم الله الى قسمين ، قسم يجعلونه لله — زاعمين أن هذا مما شرعه — وقسم يجعلونه لشركائهم : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا) .

---

(١) يشير بذلك الى قوله تعالى فى الآية ١٣٦ من سورة الانعام : وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الى قوله تعالى فى الآية ١٥٣ من السورة نفسها : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

ثانيا : جاروا على النصيب الذى قسموه لله ، فضموا جانبا منه لشركائهم ، ولم يفعلوا مثل ذلك فيما قسموه للشركاء : (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) .

ثالثا : أنهم يقتلون أولادهم بتزيين (الكهان) ، وكان هذا القتل يتناول البنات مخافة العار ، والذكور فى النذور ، كما نذر عبد المطلب أن لو رزقه الله عشرة أبناء يحمونه ليذبحن أحدهم للآلهة : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم) .

رابعا : أنهم كانوا يحجرون بعض الانعام ، وبعض الزروع ، فيزعمون أنها لا تطعم الا باذن خاص من الله — هكذا يزعمون — كما كانوا يمنعون ظهور بعض الانعام من الركوب ، ويمنعون أن يذكر اسم الله على بعضها عند الذبح أو الركوب ، أو لا يركبونها فى الحج لأن فيه ذكر الله ، مع الزعم بأن هذا كله قد أمر الله به — : (وقالوا : هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) .

خامسا : وأنهم كانوا يسمون ما فى بطون بعض الانعام من الحمل لذكورهم ، ويجعلونه محرما على اناثهم الا أن ينزل الحمل ميتا فعندئذ يشترك فيه الذكور والاناث ، مع نسبة هذه الشريعة المضحكة الى الله : (وقالوا : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) .

* ولم يكن هذا شأن الجاهلية العربية وحدها ، بل كانت الجاهليات القديمة كلها تشارك الجاهلية العربية ضلالها وافتراءها على الله ، فالجاهلية البرهمية تقوم على أساس تعذيب الجسم وتحريم الطيبات من الرزق ، وخاصة بهيمة الانعام . والجاهلية المزدكية الفارسية تنادى بالاباحة المطلقة ، حتى للاعراض والحرمات .

* ولهذه الجاهليات القديمة امتداد فى دنيا الناس اليوم ، وكم جنت الجاهليات على المجتمعات ، وأبادت من حضارات . . .

(للحديث بقية) **د . محمد جميل غازى**

من مفردات القرآن

الحلال ..... والحرام

بقلم : الدكتور محمد جميل غازى

الحلقة الثامنة والاخيرة

وتقول الآيات التى صدرنا بها البحث :

* (قل لا أجد فيما أوحى الى) قال ابن كثير : الغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، فأمر تعالى رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه اليه أن ذلك محرم ، وأن الذى حرمه هو الميتة وما ذكر معها ، وما عدا ذلك فلم يحرم ، وانما هو عفو مسكوت عنه، فكيف تزعمون أنه حرام ، ومتى حرمتموه ، ولم يحرمه تعالى ؟ وعلى هذا فلا ينفى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا ، كما جاء النهى عن لحوم الحمر ولحوم السباع وكل ذى مخلب من الطير .

* ويقول صديق خان ، فى كتابه فتح البيان (١) : معنى الآية أنه تعالى أمره صلى الله عليه وسلم بأن يخبرهم أنه لا يجد فى شىء مما أوحى اليه محرما غير هذه المذكورات ، فدل ذلك على انحصار المحرمات فيها لولا أنها مكية ، وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة وزيد فيها على المحرمات : المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع (٢)، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريم كل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير ، وتحريم الحمر الاهلية . فقد روى البخارى ومسلم عن أبى ثعلبة الخشنى قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ناب من السباع ، وزاد مسلم من حديث ابن عباس : كل

---

(١) نقلا عن محاسن التأويل للقاسمى جـ ٦ ص ٢٥٣٥ .
(٢) يرى صاحب المنار ان هذه الانواع الخمسة من أقسام الميتة .

ذى مخلب من الطير ، وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الاهليـــة يوم خيبر .

* وفى قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) ايذان بأن التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى .

* ويدل قوله تعالى : (على طاعم يطعمه) على أنه انما حـــرم من الميتة أكلها ، وأن جلدها يطهر بالدبغ ، فقد أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس قال : ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله ، ماتت فلانة ــ يعنى الشاة ــ فقال : فلولا أخذتم مسكها فقالت : نأخذ مسك شاة قد ماتت ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : انمـــا قال عز وجل : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) فانكم لا تطعمونه ، ان تدبغوه تنتفعوا به ، فأرسلت اليها ، فسلخت جلدها فدبغته ، فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عنـــدها .

واستدل بقوله : (مسفوحا) على اباحة غيره ، وذلك لان الدم المسفوح هو ماسال من الحيوان فى حال الحياة ، أو عند الذبح ــ لا كالكبد والطحال ــ وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل ، قال عمران: سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم ، وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال : لا بأس بذلك ... انما نهى عن الدم المسفوح .

* (وعلى الذين هادوا) أى اليهود خاصة .

* (حرمنا كل ذى ظفر) قال سعيد بن جبير : هو الذى ليس منفرج الاصابع كالجمل والارنب فانها من ذوات الاظفار غير المشقوقة ــ أى المنفرجة ــ وأما ذو الظفر المشقوق وهو يجتر من البهائم فلم يحرم عليهم .

* (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) لا لحومهما (الا ما حملت ظهورهما) يعنى : ما علق بالظهر من الشحوم (أو الحوايا)

أى : الامعاء والمصارين ــ أى ما حملته من الشحوم ، (أو ما اختلط بعظم) كالمخ والعصعص .

(ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون) .

* (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) ومع ذلك (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) فلا تطمعوا فى رحمته ، لانكم لم تسيروا على سنته وشريعته .

* (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) .

* فائدة الاخبار بما سوف يقولونه ، توطين النفس على الجواب ، واعداد الحجة قبل أوانها .

* وقضية الجبر والاختيار قضية كثر الجدل حولها ، وافترق فيها الناس الى أهل سنة ، ومعتزلة ، وجبرية ، ... وكان سبب هذه الفرقة والشتات أنهم استسلموا للفلسفة الاغريقية والمنطق الاغريقى فقادهم الى هذا الالتواء والتعقيد ... ولو أنهم أخذوا الامر بمنهج القرآن الواضح الواقعى المباشر الميسر الجاد ، ما اشتد الجدل ، ولا تفرق الناس .

* لقد أحال المشركون شركهم وشرك آبائهم ، وضلالهم وضلال آبائهم فى التحليل والتحريم على مشيئة الله بهم ، وقالوا : لو شاء الله ما أشركنا ... ولا حرمنا ...

* وقد واجه القرآن الكريم هذا الزعم بالتكذيب : (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا) .

* ان الله أمرهم بأوامر ، ونهاهم عن محظورات ، وبين لهم الاوامر وحدد لهم المحظورات . وقد كان ينبغى أن يقف علمهم عند هذا الحد ...

ما ينفعهم ويضرهم ــ ولكنهم تركوا هذا القدر من المعرفة ، وهجروه ، وراحوا يتساءلون ، ماذا أراد الله بنا ؟ ... ثم مضوا وراء الحدس والتخمين الى أودية سحيقة من الضلال ... (قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون) .

* ان الله قادر لو شاء على أن يخلق بنى آدم ابتداء بطبيعة لا تعرف الا الهدى ، أو يقهرهم على الهدى ، أو يقذف بالهدى فى قلوبهم فيهتدوا بلا قهر ... ولكنه سبحانه .... شاء غير هذا ... شاء أن يطرح قضية الايمان والهدى بين أيدى الناس .... وأعطاهم القدرة على الاتجاه نحو الهدى ... أو نحو الضلال ...

** (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) الحجة البالغة : البينة الواضحة التى بلغت غاية القوة على الاثبات ، ومنه : (أيمان بالغة) أى : مؤكدة وقيل : (البالغة) التى بلغ بها صاحبها صحة دعواه فهى كعيشة راضية . وحجة الله البالغة : ارسال الرسل ، وانزال الكتب .

* ثم ... يوجه الله سبحانه وتعالى رسوله ... الى طلب الاشهاد ، كما وجه اليه فى أول السورة .

ففى أول السورة يقول : (قل : أى شىء أكبر شهادة ؟ قل : الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل : لا أشهد ، قل : انما هو اله واحد، وانني برىء مما تشركون) .

وهنا يقول : (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ، والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) .

* (وهم بربهم يعدلون) أى : وهم مع ذلك يشركون بربهم فيتخذون له مثلا وعدلا يعادله ويشاركه فى جلب النفع ، ودفع الضر ، فيحلون ما يحل لهم ، ويحرمون ما حرم عليهم .

* وحينما عجز الشرك عن مواجهة هذه الآيات البينات ، والحجج الواضحات ... قال رب النبى ... للنبى ...

(قل : تعالوا .. أتل ما حرم ربكم عليكم) .

وجاء من جاء ليسمع وحى الله وهداه ، وأعرض من أعرض ...

لكن النبى صلى الله عليه وسلم استمر فى تلاوة ما أوحى اليه ... حتى تمت النعمة ، وكمل الدين :

(٥ : ٣ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

(٥ : ٥ اليوم أحل لكم الطيبات) .

د. محمد جميل غازى

التوبة

بقلم الدكتور محمد جميل غازي

قال تعالى : ﴿ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما ﴾ .

وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ . النساء : ١٧ ، ١٨

* * *

* ورد لفظ ﴿ التوبة ﴾ ومشتقاتها فى القرآن الكريم سبعا وثمانين مرة وورد لفظ ﴿ الاستغفار ﴾ أربعا وثلاثين ومائتى مرة .

أوجه التوبة فى القرآن :

* ويرد لفظ ﴿ التوبة ﴾ فى القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

الاول : بمعنى التجاوز والعفو ــ وهذا مقيد بعلى ــ : قال تعالى: ﴿ فتاب عليكم ﴾ وقال : ﴿ أو يتوب عليهم ﴾ : وقال : ﴿ويتوب الله على من يشاء ﴾ .

الثانى : بمعنى الرجوع والانابة ــ وهذا مقيد بالى ــ قال تعالى: ﴿ سبحانك تبت اليك ﴾ وقال : ﴿ توبوا الى الله ﴾ وقال ﴿فتوبوا الى بارئكم ﴾ .

الثالث : بمعنى الندامة على الزلة ، وهذا غير مقيد لا بالى ولا بعلى ، قال تعالى : ﴿ الا الذين تابوا وأصلحوا ﴾ وقال : ﴿ فان تبتم فهو خير لكم ﴾ .

* * *

تعريف التوبة :

* والتوبة ــ فى اللغة ــ : الرجوع .

وفى عرف الشرع : النـــدم على ما مضى من المعاصى والذنوب ، والعزم على تركها دائما لله عز وجل لا لأجل نفع الدنيا أو أذى الناس ، وأن لا تكون على اكراه أو الجاء .

* وعرفها « ابن تيمية » رحمه الله ، بأنها : الرجوع عما تاب منه الى ما تاب اليه .

* * *

حكم التوبة :

* والتوبة نوعان :

واجبـــة .

ومستحبة .

فالواجبـــة : هى التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور ، وهذه واجبة على جميع المكلفين ، كما أمرهم الله بذلك فى كتابه وعلى ألسنة رســله .

والمستحبة : هى التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات .

* فمن اقتصر على التوبة الاولى كان من الابرار المقتصدين ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين .

ومن لم يأت بالاولى كان من الظالمين ، اما الكافرين ، واما الفاسقين، قال الله تعالى : « وكنتم أزواجا ثلاثة ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون الســابقون ، أولئك المقربون فى جنات النعيم » ــ الواقعة : ٧ ــ ١٢ .

وقال تعالى : « فأما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما ان كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم وتصلية جحيم » — الواقعة ٨٨ — ٩٤ •

* * *

التوبة النصوح :

* وقد طلب الله الى عباده أن يتوبوا اليه توبة نصوحا ، قال تعالى: « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم » — التحريم : ٨ —

* ولعلماء السلف فى تحديد مفهوم (التوبة النصوح) أقوال يحسن أن نتتبع بعضها • قالوا :

— هى التى يجزم ألا يعود بعدها كما لا يعود اللبن فى الضرع •

— هى الصادقة الخالصة •

— هى أن يبغض الذنب الذى أحبه ، ويستغفر منه اذا ذكره •

— هى التى لا يثق بقبولها ، ويكون على وجل منها •

— هى الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والاقلاع عن الذنب ، والاطمئنان على أنه لا يعود •

— هى التوبة المقبولة ، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط :

خوف ألا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وادمان الطاعات •

— هى توبة ينصح بها نفسه •

— هى التى يجتمع فيها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والاقلاع بالابدان ، واضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيء الخلان •

— هى التى يجتمع لها أربع علامات : القلة والعلة والذلة والغربة •

— هى أن يكون الذنب بين عينيه ، فلا يزال كأنه ينظر اليه •

— هى أن تضيق عليه الارض بما رحبت ، وتضيق عليه نفسه كالثلاثة الذين خلفوا .

— هى رد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وادمان الطاعات .

* ومن استعراض هذه الاقوال المأثورة عن أئمة السلف ، يخلص لنا ، أن للتوبة النصوح ثلاثة أركان :

الاول : أن يقلع عن الذنب ان كان متلبسا به .
الثانى : أن يندم على ما صدر منه من مخالفة أمر ربه جل وعلا .
الثالث : أن ينوى نية جازمة ألا يعود الى معصية الله أبدا .

* * *

الندم توبة :

* روى الامام أحمد باسناد صحيح ، والبخارى فى التاريخ ، وابن ماجة والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود ، والحاكم والبيهقى من حديث أنس ، وروى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى سعيد الانصارى مرفوعا : « الندم توبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

* فما هو هذا الندم ؟

وهل هو مجرد أحزان لا تنتهى ، وليس وراءها عمل صالح ، أو اقلاع عن معصية ؟

يقول ابن الجوزى :

(واعلم أن التوبة ندم يورث عزما وقصدا .

وعلامة الندم ، طول الحزن على ما فات ، وعلامة العزم والقصد ، التدارك لما فات ، واصلاح ما هو آت .

فان كان الماضى تفريطا فى عبادة قضاها .

أو مظلمة أداها .

أو خطيئة لا توجب غرامة حزن اذ تعاطاها) .

وقال :

(ومن علامة التائب أن يغضب على نفسه كما غضب ماعز والغامدية فأسلماها الى الهلاك) .

* ويقول ابن تيمية :
(الندم يتضمن ثلاثة أشياء :
اعتقاد قبح ما ندم عليه .
وبغضه وكراهته .
وألم يلحقه عليه) .

* * *

* لكن .. كيف يكون (الندم) مأمورا به ، وفرضا على التائب ، وركنا من أركان التوبة . . مع أنه (انفعال) وليس (بفعل) ؟ والانفعال ليس داخلا تحت قدرة العبد . ولا يكلف الله أحدا من عباده بما لا يطاق، قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقال : (فاتقوا الله ما استطعتم) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » . ؟ ؟

* والجواب : أن المراد من التكليف بالندم ، التكليف بأسبابه ووسائله التى يوجد بها وتؤدى اليه وهى فى طوق المكلف وقدرته ولا شك .

فلو راجع صاحب المعصية نفسه مراجعة صحيحة حازمة لعلم أن لذة المعاصى كلذة الشراب الحلو الذى فيه السم القاتل ، والشراب الذى فيه السم القاتل لا يستلذه عاقل ، لما يجر عليه ذلك من أضرار بالغة .

وكذلك المعاصى ، حلاوتها فيها ما هو أشد من السم القاتل ! ويكفى أنها تجر على صاحبها غضب الله وسخطه وعذابه الاليم .

* فمن تتبع أسباب الندم ووسائله ، وجعله ملء سمعه وبصره وفؤاده تكونت له ملكة الندم على معصية الله سبحانه .

* فالانسان مكلف بالاسباب المستوجبة للندم ، وهو ان قام بها وحرص على احيائها فى نفسه ، حصل له الندم .

وبهذا الاعتبار كان مكلفا بالندم مع أنه (انفعال) وليس (بفعل) .
(وللحديث بقية) د. محمد جميل غازى

الإسلام في المعترك

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

— ١ —

عاش الاسلام عمره المبارك بين زحمة الفتن والمحن ، والاهواء والارزاء ، والجنود والحشود ، والكيد والدس ، والضلال والبهتان ، والمذاهب والنحل والفلسفات ..

واستطاع بنور الله وهداه أن يشق الطريق غير آبه ولا متخاذل ولا مستسلم .. وقدر بعون الله ومدده أن يمزق الغياهب والظلمات التى كانت تلقى على طريقه القاء ، لتعوق خطوه الحثيث ، ولتوقف سعيه الدائب ، ولتوهن عزمه الحديد .. وتمكن بتأييد الله واعزازه أن يفضح الاكاذيب وتجارها مهما زينوها ، ورصدوا لاشاعتها المال والحياة ، والدعاية والتبشير ، وجندوا لحمايتها الاتباع والاشياع والمرتزقة .. !

لقد واجه الاسلام من أول يوم دوى فيه أذانه ، وانطلق فيه نداؤه ، مؤامرات لا تهدأ ولا تستكين ، تحاول ايقاف مده ، والقضاء على مجده ، لان فى انتشاره اندحارا « للوثنية » اللعوب التى فتنت عشاقها بكل زيف ، وخدعت عبادها بكل بريق .. فأقامت فى القلوب معابد تسع كل شىء ، الا الله الذى خلق كل شىء ... !

معابد ، عبد فيها الذهب والجنس والهوى والطغيان والطبيعة والشمس والقمر ، والانسان والشيطان .. !

ثم .. نكست فيها أعلام التوحيد ، وشارات الهدى .. !

لكنه على الرغم من عتو المؤامرات والمتآمرين وشراستهم ، واستماتتهم فى الدفاع عن معاقلهم الواهية ، وحصونهم الهاوية .. فان الاسلام صمد كالجبل الاشم الذى تتحطم عند سفحه كل قرون الوعول .. !

وبقيت كلمته فى خلد الدنيا ..
تدعو الظمـــاء الى النبع ..
وترشد الحيارى الى الطريق ..
وتهدى الضالين الى الصراط المستقيم .. !

— ٢ —

وحينما تذكر كلمة « الاسلام » فان مؤرخى الحضارة وراصديها ، يحنون الرءوس اعجابا ودهشة لهذا الدين الفاتح الذى انتقل بالبشرية — فجأة وبلا ابطاء — من ذهولها المستغرق ، ووجودها الخامل ، ووهمها الخانق ، وظلامها الدامس ، وخوفها القاتل ، وجوعها المضنى ، وذلهـــا المدمر ، الى ساحات الحضارة والرقى والتقدم ،وباحات الثقافة والمعرفة والرغد والانتاج .

ان الاســـلام هو الدين الفاتح ... بكل ما تعنيه هذه الكلمة من خير ومحبة ونور وسلام ومدنية وحضارة ومساواة ... !

وان حملة الاسلام ودعاته الذين انطلقوا به من أرض الى أرض ، ومن صقع الى صقع ، لم يكونوا فى يوم من الأيام جباة ولا مستعبدين ولا « تجار مخدرات » .. وانما كانوا رسل انقاذ ويقظة للبشرية التى انتكست فى هوة لا قرار لها من الذل والفوضى والضياع ... !

— ٣ —

وسيبقى الاسلام على الرغم من الحاقدين عليه ، والكائدين له ، والجاهلين به ، يؤدى دوره فى أرض الله ، ويعلن كلمته فى قضايا الناس.

وستظل شجرته مورقة مزهرة مثمرة ، فى الوقت الذى تذبل فيه أشجار كثيرة ، وتموت ، وتتلاشى ، لأنها شجرة عملاقة أصلهـــا ثابت وفرعهـــا فى السمـــاء ، ولأن اليد التى غرستها وباركتها هى يد الله الرحمن الرحيم .. وهى لهذا تستمد وجودها من وجوده ، وبركتها من بركته ..

— ٤ —

والاسلام هو دين الله الذى لا يقبل من أحد عملا أو أملا أو قولا الا على أساسه وبنور منه .

يقول الله تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) ــ ١٩ آل عمران ــ ويقول : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ــ ٨٥ آل عمران .

ويقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ــ ٣ المائدة .

فهو دين الانبياء جميعا من لدن آدم .. حتى محمد عليهما السلام ..

هو دين نوح : (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون ، فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين) ــ ٧١ ، ٧٢ يونس .

وهو دين ابراهيم وبنيه : (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ــ ١٣٠ ــ ١٣٢ البقرة .

وهو دين يوسف : (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) ١٠١ يوسف .

وهو دين موسى : (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) ــ ٨٤ يونس .

وهو دين سليمان حيث يقول فى رسالته لملكة سبأ : (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وائتونى مسلمين) وحيث تقول هى : (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ــ ٣١ ، ٤٤ النمل .

وهو دين عيسى وحوارييه : (فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال: من أنصارى الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) ــ ٥٢ آل عمران .

وهو دين الانبياء جميعا : (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) — ٤٤ المائدة .

بل هو دين الاشياء كلها جمادها ونباتها وحيوانها وانسانها : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) — ٨٣ آل عمران .

ثم هو دين محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته الخاتمة الى الناس جميعا فى كل زمان ومكان ، قال تعالى : (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) — ٢٠ آل عمران .

وقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) — ٧٧ ، ٧٨ الحج .

وقال تعالى : (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين) — ١١ ، ١٢ الزمر .

— ٥ —

والاسلام دين الفطرة ، له من الفطرة صفاؤها ونقاؤها ووضوحها وبساطتها ، وهو لهذا يرفض الفلسفة لانها لا تتفق مع طبيعته . . . والذين يفلسفون نصوصه يخطئون أشنع خطأ وأبشعه ، لانهم بهذا ينتقلون به وبنصوصه المبنية الخالصة المصفاة الى متاهات والتواءات وتعقيدات وعمايات ، يضل سالكها ولا يكاد يتبين سبيل الرشاد ...

هذه هى الفلسفة ، وهذا هو تاريخها الطويل ، وهذه هى أسئلتها الثلاثة : من أين ؟ والى أين ؟ ولماذا ؟ ظلت حائرة فى السطور والصدور ، وظلت عبر العصور والدهور تبحث عن اجابة ، ولا اجابة ... !

لقد عجزت الفلسفة عن أن ترشد الانسان أو تهديه .. **فلماذا لا تفسح الطريق أمام الاسلام وآياته كى ينقذ الانسان من حيرته ، وينهض به من كبوته ! ؟**

واذا كانت الفلسفة تعيش فى عماء لا ينتهى ... !

فان القرآن ــ كتاب الاسلام ــ يهدى للتى هى أقوم ، وآياته البينات الواضحات ترشد الى النهج الاسلم ، والصراط الاقوم ، يقول الله تعالى : (قد جاء كم رسولنا يبين لكم) ــ ١٩ المائدة .

(وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ــ ١١٥ التوبة .

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) ــ ٤ ابراهيم.

(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ــ ٢٥٦ البقرة .

(وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) ــ ٥٥ الانعام.

(قل انى على بينة من ربى) ــ ٥٧ الانعام .

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) ــ ١ البينة .

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا) ــ ١٥ يونس .

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) ــ ٧٢ الحج .

(بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) ــ ٤٩ العنكبوت .

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قالوا : ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) ٤٣ سبأ .

(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) ــ ٨٣ غافر .

(وآتيناهم بينات من الامر) ــ ١٧ الجاثية .

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) ــ ٢٥ الجاثية .

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) ــ ٧ الأحقاف .

(ان هو الا ذكر وقرآن مبين) ــ ٦٩ يس .

(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) — ٨٩ النحل ٠

* * *

وان تعجب فعجب ٠٠ محاولتهم اخضاع القرآن وآياته البينات لفكر البشر ، وتحميل نصوصه ما لا تحتمل من غيبيات وأوهام وأساطير وفلسفات وآراء ٠٠

واننا اذ نرفض هذا السلوك الفكرى ، لا نحجر على عقول الناس، فاننا لا نملك هذا الحق ٠٠٠ !

ولكننا نريد أن نذود عن ديننا وعن آياته البينات ٠٠٠ !

ونطالب المتفلسفة ، والمبتدعين من المتصوفة ، وأصحاب المذاهب الكلامية والاقتصادية والاجتماعية الاصيلة والمستوردة ٠٠ أن يحتفظوا لانفسهم « بحقوق التأليف » وألا يلصقوا حصادهم الفكرى بديننا ٠٠ فاننا لن نعبد الا الله ٠٠

ولن نعبد الله الا بكلماته وآياته وشرعه ٠٠٠ !

وعندنا من الحق ما يغنينا عن الباطل ٠٠٠ !

— ٦ —

واذا كنا نرفض المتفلسفة والمتصوفة ٠٠ فاننا أيضا نرفض أن يتحول الاسلام على ألسنة بعض الجاهلين به الى حشد هائل من الحكايات والخرافات والاساطير ٠٠

ان الخرافات قد أضلت كثيرا من شبابنا ٠٠٠ فصرفتهم عن الدين لانهم حسبوا الدين هو هذا التحدى السافر للفكر والعلم والحضارة٠٠ ثم ألقت بهم فى أحضان العقلانية والعلمانية ٠٠ وما انبثق عنهما من مذاهب ونظريات جافة ومدمرة ٠٠٠ !

— ٧ —

وبعد ، فان الداعية المسلم مطالب ، بأن يعى ثقافة عصره ، وأن يناقشها بوعى وفهم ، وأن يدرس مشكلات الانسان المعاصر ، وأن يقدم لها الحلول ٠٠

والداعية المسلم — من قبل هذا ومن بعده — مطالب بأن يقدم دينه لأبناء هذا العصر ، وأبناء كل عصر ، صافيا كما أنزله الله ، هاديا كما أراده ، حقا كما شرعه ، نورا كما أنزله ٠

محمد جميل غازى

الهاربون من العدالة

بقلم: الدكتور محمد جميل غازي

قال الله تعالى :

(٤ : ١٠٥ ــ ١١٥ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا .

ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما.

ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا .

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يضرونك من شىء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .

لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما.

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

* * *

* اننى أهدى هذه « الوثيقة » الى العالم كله ... بكل نظمه .. ومنظماته .. ومبادئه .. وأفكاره .. وتراثه .. وأمجاده .. وأممه .. وشعوبه .. !

انها « واقعة » واحدة من وقائع « القرآن الكريم » .. !

وانها « حادثة » واحدة من حوادث « السيرة العطرة » .. !

والحادث الذى تدور حوله هذه الآيات ليس حادثا عابرا ، وانما هو حادث يحسن الوقوف عنده ، ودراسته ، وتأمله !

وهو « أمارة » على أن القرآن كتـــاب الله وتشريعه ، وأنه فوق ما تعارف عليه البشر من نظم وشرائع وقوانين !

انه كتاب « رفع » أتباعه الى القمة ، و «دفعهم» الى الامام!

وتعاليم هذا الكتاب .. تأخذ بيد الانســـان و « ناصيته » الى الحرية والكرامة ، والرخاء ، والســـلام .

انه كتاب « العدالة » و « المســـاواة » و « الحب » !

انه الكتاب الذى أقر « حقوق الانسان » قولا وعملا ، وحرره من الانانية .. والكهنوت .. والاستعباد !

و « عدالة القرآن » عدالة تسمو عن الغرض والمرض والهوى !

هذا ما يقرره « النص » الذى بين أيدينا ، أو ان شئت فقل : « الوثيقة » التى نصر على اهدائها للعالم كله «بأممه المتحدة» وغير المتحـــدة !

و « النص القرآنى » يجند نفسه للدفاع عن .. يهودى !

و « اليهودى » معروف بموقفه الكنود الحسود الجبان .. من القرآن .. ومن رسول القرآن !

ومع هذا كله ..

وبرغم هذا كله ..

فان القرآن يعلن موقفه الصريح الى جوار الحق .. ولو كان ذلك الحق فى يد يهودى !

كذلك فان القرآن يصر على مواجهة « الباطل » ومقاومته .. ولو تستر فى ظلاله .. أو لجأ اليه !

واليك القصة كما رواها نقلة الدين ، وأمناء السنة ، ورواة السيرة :

* روى أبو عيسى الترمذى فى (جامعه) فى كتاب التفسير ، عن قتادة بن النعمان رضى الله عنه ، قال : كان أهل بيت منا يقال لهم : بنو أبيرق ، بشر ، وبشير ، ومبشر ، وكان بشير رجلا منافقـــا ، وكان

يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينحله الى بعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا ، فاذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر ، قالوا : والله ما يقول هذا الشعر الا الخبيث ــ فقال :

أو كلما قال الرجال قصيدة غضبوا ، وقالوا : ابن الابيرق قالها !

قال : وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة فى الجاهلية والاسلام • وكان الناس انما طعامهم بالمدينة : التمر والشعير •

وكان الرجل اذا كان له يسار ، فقدمت ضافطة من الشام بالدرمك (الضافطة : كانوا قوما من الانباط يحملون الى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما ، ثم قالوا للذى يجلب الميرة والمتاع الى المدن ، والمكارى الذى يكرى للاحمال : الضافطة والضفاط • والدرمك : الدقيق النقى الحوارى) ابتاع الرجل منها فخص به نفسه ، فأما العيال ، فانما طعامهم التمر والشعير ، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمى رفاعة ابن زيد حملا من الدرمك فجعله فى مشربة له (المشربة ــ بفتح الميم وسكون الشين وفتح الراء أو ضمها ــ هى الغرفة أو العلية ، أو الصفة بين يدى الغرفة ، والمشارب : العلالى) وفى المشربة سلاح له : درعان وسيفاهما وما يصلحهما •

فعدى عليه من تحت الليل ، فنقبت المشربة ، وأخذ الطعام والسلاح •

فلما أصبح أتانى عمى رفاعة ، فقال : يا ابن أخى ! تعلم أنه قد عدى علينا فى ليلتنا هذه ، فنقبت مشربتنا ، فذهب بسلاحنا وطعامنا •

قال : فتحسست فى الدار (الدار هنا : المحلة التى تنزلها القبيلة أو البطن منها) وسألنا ، فقيل لنا : قد رأينا بنى أبيرق استوقدوا فى هذه الليلة ، ولا نرى فيما نراه الا على بعض طعامكم •

قال : وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل فى الدار : والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل ، رجلا منا له صلاح واسلام ، فلما سمع بذلك لبيد اخترط سيفه (سله من غمده) ثم أتى بنى أبيرق ، فقال : والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن السرقة ، فقالوا : اليك عنا أيها الرجل،

فوالله ما أنت بصاحبها ، فسألنا فى الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها !!

فقال عمى : يا ابن أخى ! لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له .

قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقلت : يا رسول الله ! ان أهل بيت منا أهل جفاء ، عمدوا الى عمى رفاعة فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظر فى ذلك .

فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم ، يقال له : أسير بن عروة فكلموه فى ذلك ، واجتمع اليه ناس من أهل الدار ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ! ان قتادة بن النعمان وعمه عمدوا الى أهل بيت منا ، أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة فى غير بينة ولا ثبت (الثبت ــ بفتحتين ــ الحجة والبينة والبرهان) .

قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته ، فقال: عمدت الى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت ؟

قال : فرجعت ، ولوددت أنى خرجت من بعض مالى ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

فأتيت عمى رفاعة ، فقال : يا ابن أخى ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فقال : الله المستعان .

فلم نلبث أن نزل القرآن (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) يعنى : بنى أبيرق (واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) أى : بنى أبيرق (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس) الى قوله : (ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) أى : انهم ان يستغفروا الله يغفر لهم (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه . وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) قولهم للبيد

(ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك) يعنى أسيرا وأصحابه (وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) الى قوله : (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) •

فلما نزل القرآن : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده الى رفاعة •

قال قتادة : فلما أتيت عمى بالسلاح ، وكان شيخا قد عسا (أى: كبر وأسن) فى الجاهلية ، وكنت أرى ايمانه مدخولا (أى : مغشوشا) فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخى ! هو فى سبيل الله ، قال : فعرفت أن اسلامه كان صحيحا •

فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين ، فنزل على سلافة ابنة سعد ابن شهيد ، فأنزل الله فيه : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) الى قوله : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) •

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر ، فأخذت رحله فوضعته على رأسها ثم خرجت فرمت به فى الابطح (هو أبطح مكة أو بطحاؤها ، وهو : مسيل واديها) ثم قالت : أهديت الى شعر حسان ما كنت تأتينى بخير !

* وأخرج ابن سعد فى الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد ، قال : عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاما له ودرعين بأداتهما ، فأتى قتادة النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فدعا بشيرا فسأله فأنكر ، ورمى بذلك لبيد بن سهل ، رجلا من أهل الدار ذا حسب ونسب ، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد •

* وروى ابن جرير عن قتادة : « ان هؤلاء الآيات أنزلت فى شأن طعمة بن أبيرق ، وفيما هم به نبى الله صلى الله عليه وسلم من عذره وبين الله شأن طعمة بن أبيرق ، ووعظ نبيه وحذره أن يكون للخائنين خصيما ، وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الانصار ثم أحد بنى ظفر ، سرق درعا لعمه كان وديعة عنده ، ثم قذفها على يهودى كان يغشاهم

يقال له : زيد بن السمير ، فجاء اليهودى الى نبى الله صلى الله عليه وسلم يهتف ، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاءوا الى نبى الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم ، وكان نبى الله عليه السلام قد هم بعذره حتى أنزل الله فى شأنه ما أنزل ، فقال : ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ الخ • وكان طعمة قذف بها بريئا فلما بين الله شأن طعمة نافق ، ولحق المشركين بمكة ، فأنزل الله فيه : ﴿ ومن يشاقق الرسول •• ﴾ الآية •

* وروى عن ابن زيد أن رجلا سرق درعا من حديد وطرحها على يهودى ، فقال اليهودى : والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن طرحت على • وكان للرجل الذى سرق جيران يبرءونه ويطرحونه على اليهودى، ويقولون : يا رسول الله : هذا اليهودى الخبيث يكفر بالله وبما جئت به !! قال : حتى مال النبى صلى الله عليه وسلم ببعض القول فعاتبه الله عز وجل فى ذلك ، فقال : ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ الآيات • ثم قال فى الرجل : ويقال : هو طعمة بن أبيرق •

* وروى عن السدى أنها نزلت فى طعمة بن أبيرق استودعه رجل من اليهود درعا فخانه فيها ، وأخفاها فى دار أبى سليك الانصارى، وأهان طعمة وأناس من قومه اليهودى لما جاء يطلب درعه ، وجادلت الانصار عن طعمة ، وطلبوا من النبى أن يجادل عنه •• الخ •

* يقول رشيد رضا ﴿ تفسير المنار ج ٥ ص ٣٩٢ ﴾ : ﴿ وقد اختار أكثر المفسرين أن الخائن هو طعمة ، وأن اليهودى هو الذى كان صاحب الحق ﴾ •

* * *

تعليقات :

الاول : يدل قوله تعالى : ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ على أن القرآن الكريم كتاب دنيا ودين ، كتاب حكم وعبادة ، كتاب أخلاق ومعاملات ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل ليبشر وينذر ويهدى ويحكم •

الثانى : ويدل قوله تعالى : ﴿ بما أراك الله ﴾ على أن الرسول لا يحكم بهواه ، ولكن بما علمه الله وأراه ، وانما أطلق الله تعالى على ﴿ التعليم ﴾ ﴿ رؤية ﴾ لان العلم اليقينى المبرأ عن الريب يكون جاريا مجرى الرؤية فى القوة والظهور •

الثالث : ليس لأحد ــ غير الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أن يقول : حكمت بما أرانى الله !! فقد روى ابن عبد البر والبيهقى فى ﴿ المدخل ﴾ عن عمر رضى الله عنه ، قال : لا يقولن أحدكم قضيت بما أرانى الله : فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولكن ليجتهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا ، لان الله كان يريه اياه ، وهو منا الظن والتكلف !

الرابع : قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ وقوله للذين جادلوا عن طعمة بن أبيرق : ﴿ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ فيه توجيه ﴿ للمحامين ﴾ الذين يتصدون للدفاع عن المتهمين !! ان عليهم أن يتأكدوا من ﴿ براءة ﴾ من يدافعون عنه •• حتى لا يكون دفاعهم سببا فى ادانة برىء ، وبراءة مسىء !

الخامس : وترشدنا الآيات الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر ، وأنه لا يعلم الغيب الا فى حدود تعليم الله له ــ ثبت فى الصحيحين عن أم سلمة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته ، فخرج اليهم ، فقال : ألا انما أنا بشر ، وانما أقضى بنحو مما أسمع ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار ، فليحملها ، أو ليذرها •

ورواه الامام أحمد عنها ــ أيضا ــ بلفظ : جاء رجلان من الانصار يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواريث بينهما درست ليس بينهما بينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انكم تختصمون الى ، وانما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ،

فانى أقضى بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ، فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار بها اسطاما (الاسطام: الحديدة التى تحرك بها النار وتسعر) فى عنقه يوم القيامة • فبكى الرجلان وقال كل منهما : حقى لأخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما اذ قلتما ، فاذهبا ، واقتسما ، ثم توخيا الحق بينكما ، ثم استهما ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » •

السادس : دعا الله سبحانه وتعالى طعمة بن أبيرق الى التوبة والاستغفار ، ولكنه أبى ، يقول الله تعالى : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) •

فكانت عاقبة أمره خسرا ، يقول الله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) •

وهكذا كل من آثر الاصرار ، ورفض الاستغفار •

السابع : قررت الآيات « قواعد الجزاء فى الاسلام » على هذا النحو :

* فتح باب التوبة لكل مسىء أو ظالم : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) •

* الزام كل انسان بنتائج عمله : (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) •

* تضاعف التبعة على من يرتكب اثما ثم يرمى به بريئا : (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا)•

* * *

وبعد :

فاننى أضع هذه « الوثيقة القرآنية » بين يدى العالم الظمآن الى المعرفة والخير والرشاد •• التائه فى خضم المبادىء والمذاهب والفلسفات ••

اننى أقول للعالم كله « بأممه المتحدة » وغير المتحدة •• (٦٩ : ١٩ هاؤم اقرءوا كتابيه) •

محمد جميل غازى

علامات ضوئية على طريق الدعاة

بقلم الدكتور محمد جميل غازى

— ١ —

المعروف والمنكر :

• ورد لفظ « المعروف » فى القــرآن الكريم ثمانية وثلاثين مرة • وورد لفظ « المنكر » فيه ست عشرة مرة •

والمعروف ــ كما جاء فى مفردات الراغب وغيرها ــ : اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه •

والمنكر : كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول ، فتحكم بقبحه الشريعة •

• وقيل : المعروف : اسم جامع لكل ما عرف من طــاعة اللــه ، والتقرب اليه ، والاحسان الى الناس •

والمنكر ضده •

• وقيل : المعروف : اســم جامع لكل ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح •

حكمــــه :

• والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : فرضــان من فروض الكفاية • يقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ :

(وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة ، وهــو الذى يسميه العلماء فرض الكفاية ــ اذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقــين ــ فالامة كلها مخاطبة بفعل ذلك ، ولكن اذا قامت به طائفة ســقط عن الباقين)

• وقد يتوهم البعض أنهم قد أذن لهم فى القعود عن الدعوة حينما قرر الفقهاء أن الدعوة فرض على الكفاية • وليس الامر كما توهموا • فان تحقق فرض الكفاية ، وتحقق القيام به ، يعنى ضرورة حصول

الشيء المأمور به في عالم الواقع ، وتطبيقه ، واتعاظ الطائفة المأمورة فعـــلا .

فاذا بقيت الطائفة المأمورة سادرة في غفلتها ، متبعة لشهوتها ، والغة في عصيانها ، واقعة في أخطائها ، بقي جميع المسلمين ملزمين بهذا التكليف .

. وعلى كل مسلم أن يأمر بالمعروف ، وأن ينهى عن المنكر في الأشياء التي يستوي فيها العالم والجاهل ، كالزنى ، وشرب الخمر ، والربا ، والغيبة ، والنميمة والكذب ، والحلف بغـير الله وصفاته ، والاعتماد على غير الرازق سـبحانه وتعالى ، وأذى الناس ، واعانة الظالم ، وترك الصلاة والزكاة والصيام والحج ـ الى غير ذلك مما عم العلم به وشاع بين أفراد الامة ، سواء أنفعت الذكرى أم لم تنفع ، وعليه حملت (ان) في قوله تعالى : (فذكـر ان نفعت الذكرى) على معنى (قد) .

. وقد أجاب سفيان الثورى ـ رحمه الله تعالى ـ حينما سئل : أيأمر الرجل من يعلم أنه لا يقبل منه ؟ فقال نعم ، ليكـون ذلك معـذرة له عند الله تعالى .

تحقيق وتعليق على حديث « تغيير المنكر »

. عن أبي سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم .

. وقد روى معناه من وجه آخر ، فخرجه مسلم من حـديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «ما من نبى بعثه الله في أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيـده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

وخرج الاسماعيلى من رواية الأوزاعى عن عمير بن هانىء عن على أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون بعدى فتن ، لا يستطيع المؤمن فيها أن يغير بيده ، ولا بلسانه ، قلت : يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال : ينكرونه بقلوبهم ، قلت : يارسول الله ، وهل ينقص ذلك ايمانهم شيئا ؟ قال : لا ، الا كما ينقص القطر من الصفا » .

• وهذه الأحاديث ــ وغيرها فى معناها كثير ــ تدل على أن «وجوب انكار المنكر » انما يكون بحسب القدرة عليه ، وأما انكاره « بالقلب » فلا بد منه ، فان لم ينكر القلب كان ذلك دليلا على ذهاب الايمان منه .

• فقد روى عن أبى جحيفة ، قال : قال على رضى الله عنه : « ان أول ما تغلبون عليه من الجهاد ، جهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فمن لم يعرف قلبه المعروف ، وينكر قلبه المنكر ، نكس فجعل أعلاه أسفله » .

• وسمع ابن مسعود رضى الله عنه رجلا يقول : « هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر » فقال ــ ابن مسعود ــ : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر » • الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد ، فمن لم يعرفه هلك • وأما الانكار باليد واللسان فانما يجب بحسب الطاقة .

• وابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ هو الذى قال : « يوشك من عاش منكم أن يرى منكرا لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه ، أنه له كاره » .

• وفى سنن أبى داود عن العرس بن عميرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا عملت الخطيئة فى الأرض ، كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » .

فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها اذا عجز عن انكارها بيده ولسانه • ومن غاب عنها فرضيها ، كان كمن شهدها وقدر على انكارها ولم ينكرها .

لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ، وهو مناقض للانكار بالقلب• وأما الانكار باليد واللسان فيكون بحسب القدرة ــ كما أسلفنا ــ

لما أخرجه أبو داود من حديث أبى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا فلا يغيروا الا يوشك الله أن يعمهم بعقابه » .

ولما خرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى خطبة : « ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق اذا علمه » وبكى أبو سعيد ، وقال : قد ــ والله ــ رأينا أشياء فهبنا .

وخرجه الامام أحمد ــ وزاد فيه ــ : « فانه لا يقرب من أجل ، ولا يباعد من رزق ، أن يقال بحق ، أو يذكر بعظيم » .

وقوله صلى الله عليه وسلم ــ فى الذى ينكر بقلبه ــ : « وذلك أضعف الايمان » يدل على أن الامر بالمعــروف والنهى عن المنكر من خصال الايمان .

. وقوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا » يدل عى أن الانكار متعلق بالرؤية ، فان كان مستورا فلم يره ، ولكن علم به ، فالتحقيق أنه لا يتعرض له ، وأنه لا يفتش عما استراب فيه .

دوافع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

. والدافع الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ــ رجاء ثواب اللــه .

ــ الخوف من العقوبة على تركه .

ــ الغضب لله أن تنتهك محارمه .

ــ النصيحة للمؤمنين ، والرحمة بهم ، ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه فى الدنيا والآخرة .

ــ اجلال الله وتعظيمه ومحبته ، وأنه أهل الأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، وأنه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال ، كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن الحمى قرض بالمقاريض .

وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه : وددت أنى غلت بى وبك القدور فى الله تعالى .

البقية صفحة ٢٠

(بقية مقال علامات ضوئية على طريق الدعاة)

الرفق فى الانكار :

• وينبغى للداعية الى الله أن يكون قوله لينا ، وأسلوبه هينا ، حتى يكون أكثر تأثيرا فى الناس .

قال سفيان الثورى : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا من كان فيه ثلاث خصال : رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى •

(يتبع) **محمد جميل غازى**

علامات ضوئية على طريق الدعاة

بقلم الدكتور محمد جميل غازي

— ٢ —

• ولقد قدم القرآن الكريم — من خلال آياته البينات — « وصايا جامعة » توجه الدعاة الى الاسلوب الامثل ، والمنهج الافضل ، الذى لو التزموا به فى سلوكهم العلمى والعملى لنجحوا أعظم نجاح فى أداء الامانة التى ناطها الله بهم ، والالتزام بالميثاق الذى واثقهم الله به •

وفيما يلى — عشر آيات — نقدمها لجماهير الدعاة لتكون بين أيديهم « علامات ضوئية » تهدى وترشد وتضىء •

* * *

الآية الاولى

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلـــون)

سورة البقرة — الآية ٤٤ —

• تقرر هذه الآية الكريمة ، أن الداعية اذا لم يتطابق فعله مع قوله وان لم يتوافق واقعه مع منطقه ، فانه يسىء أكثر مما يحسن ، ويضر أكثر مما يصلح ، بل ربما كان سببا فى اشاعة المروق والفسوق والمعصية بين الناس • لأن بعض الناس يقولون : لولا أن هذا الداعية يعلم فى قرارة نفسه أنه لا وزن لزواجره ومواعظه وتخويفاته ، لما أقدم على ما أقدم عليه من مقارفة للمناهى والمفاسد والمنكرات •

• يقول ابن القيم : علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس بأقوالهم ، ويدعونهم الى النار بأفعالهم •

عذاب العالم مضاعف :

• ويضاعف عذاب العالم من عذاب غيره اذا عصى الله ، لانه انما عصى عن علم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ؟

كذلك ، فان العالم قدوة ، واذا زل أو ضل ، زل بزلته ، وضل بضلاله خلق كثير ، كما قيل : زلة العالم ، زلة العالم ! (١) •

وكما قال الله تعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ •

• وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : « ويل للجاهل مرة ، وويل للعالم سبع مرات !! »

• وقال على رضى الله عنه : « قصم ظهرى رجلان ، عالم متهتك، وجاهل متنسك ، فالجاهل يغر الناس بنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه » •

• وقال حكيم : « أفسد الناس جاهل ناسك ، وعالم فاجر ، هذا يدعو الناس الى جهله بنسكه ، وهذا ينفر الناس من علمه بفسقه » •

• ولقد روى مسلم فى صحيحه عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أقتاب بطنه ــ الاقتاب : الامعاء • واحدها قتب ، ومعنى : فتندلق : فتخرج ــ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع اليه أهل النار ، فيقولون : يافلان ، مالك ، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » •

قال القرطبى ــ معقبا على هذا الحديث الشريف ــ : فدل الحديث الصحيح على أن عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمنكر ،

---

(١) العالم الأولى بكسر اللام والثانية بفتحها .

وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يكن يعلمه ، وانما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالى ، والمستخف بأحكامه ، وهو ممن لم ينتفع بعلمه •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » أخرجه ابن ماجة فى سننه •

• وهذه الآية الرابعة والاربعون من سورة البقرة ومثيلاتها ، هى التى جعلت كثيرا من علماء السلف يتورعون عن الاكثار من المواعظ •

يقول ابراهيم النخعى : « انى لأكره القصص لثلاث آيات : قوله تعالى :

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) : وقوله (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) وقوله اخبارا عن شعيب عليه السلام : (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) •

• ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يفهمون أن الوعظ بالاعمال أجدى من الوعظ بالاقوال ، حتى قال قائلهم : عمل رجل فى ألف رجل ، أبلغ من قول ألف رجل فى رجل •

أينا يفعل ما يقول ؟

• وهناك سؤال يراود كل داعية ويلح عليه ، حينما يقف على هذه النصوص دارسا متأملا :

ــ هل معنى هذه النصوص أن يترك الداعية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى يصل بنفسه الى الاخلاق الفاضلة ، والطهارة الكاملة ؟

• ويجيب على هذا التساؤل جمهرة من علماء السلف وأئمتهم •

فيقول سعيد بن جبير ــ فيما يرويه مالك عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ــ قال سمعت سعيد بن جبير ، يقول : « لو كان لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شىء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر »

قال مالك : من ذاالذى ليس فيه شيء ؟

• وقال الحسن لمطرف بن عبدالله : عظ أصحابك ، فقال انى أخاف أن أقول ما لا أفعل ، قال : يرحمك الله وأينا يفعل ما يقـول ! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ، ولم ينه عن منكر !

• ويقول القرطبى : وقال حذاق أهل العلم ليس من شرط الناهى أن يكون سليما عن المعصية ، بل ينهى العصاة بعضهم بعضا ـ ثم قال بعض الاصوليين : فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهى بعضهم بعضـا !

* * *

الآيـة الثـانية

(ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) •

ـ سورة البقرة ـ الآيتان ١٥٩، ١٦٠ ـ

• (اللعن) ـ من الله ـ : الطرد والابعاد عن الخير •

• ومن الخلق ـ : السب ، والشتم ، والدعاء على الملعـون ، ومشاقته ، ومخالفته مع السخط عليه والبراءة منه •

• والمراد بقوله تعالى : (اللاعنون) كل من يتأتى منه اللعـن ، وقد جاء بيانه بعد ذلك فى قوله تعالى : (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) •

• وقد دلت الآية على أن هذا الكتمان من الكبائر ، لانه تعـالى أوجب فيه اللعـن •

وكل ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا ينبغى أن يكتم ، ومن كتمه فقد عظمت خطيئته •

• وقوله تعالى : (الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) يشير الى أنه لا يكفى فى التوبة أن يقول الانسان : انى تبت ، ولكن عليه أن يغير بعد التوبة ما كان واقعا فيه قبلها ، فان كان مرتدا رجع الى الاسلام

وأظهر شرائعه ، وان كان من أهل المعاصى ظهر منه العمل الصالح وجانب أهل الفساد .

• فقوله تعالى : (بينوا) يعنى : بينوا ما كتموه من العلم .

• والكتمان : ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه ، وحصول الداعى الى اظهاره ، لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا ، فلما كان ما أنزل الله من البينات والهدى من أشد ما يحتاج اليه فى الدين ، وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان .

أخذ الاجرة على تعليم الدين :

• واحتجوا بهذه الآية على أنه لا يجوز أخذ الاجرة على تعليم الدين ، لان الآية لما دلت على وجوب ذلك التعليم ، كان أخذ الاجر عليه أخذا للأجرة على أداء الواجب وذلك غير جائز .

ويدل عليه ــ أيضا ــ قوله تعالى : (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) ، وظاهر هذه الآية يدل على منع أخذ الاجرة على اظهار العلم وعلى كتمانه أيضا ، لان قوله : (ويشترون به ثمنا قليلا) مانع من أخذ الثمن والاجرة على العلم من جميع الوجوه ، وعلى كافة الاحتمالات .

لا يجوز كتمان العلم :

• وهذه الآية تدل على أن ما يتصل بالدين ، ويحتاج اليه المكلف، لا يجوز لأحد أن يكتمه ، ومن كتمه فقد عظمت خطيئته ، ونظير هذه الآية ، قوله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .

ونظيرها ــ أيضا ــ فى ضرورة تبيين العلم ، وان لم يكن فيها ذكر الوعيد لكتمه ، قوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

• ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كتم علما تعلمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار » .

• وأبو هريرة هذا هو الذى قال ــ كما جاء فى الصحيحين ــ :

« ان الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان فى كتاب الله ماحدثت حديثا ، ثم يتلو : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهـدى) الآية ، وقوله : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) الآية •

متى يكون التبليغ فرض عين ؟

• أما متى يكون التبليغ فرض عين ، فهو موضوع ناقشه علماؤنا وانتهوا منه الى ما ذكره ابن العربى فى كتابه « أحكام القرآن » قال : (وللآية تحقيق ، هو : أن العالم اذا قصد الكتمان عصى ، واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف أن معه غيره) •

قال عثمان رضى الله عنه : لأحدثنكم حديثا لولا آية فى كتاب الله عز وجل ما حدثتكموه • قال عروة : الآية (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) •

وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما لا يحدثان بكل ما سمعا من النبى صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة اليه • وكان الزبير أقلهم حديثـا مخافة أن يواقع الكـذب ، ولكنهم رأوا أن العلم عم جميعهم فسيبلغ واحد ان ترك آخر •

فان قيل : فالتبليغ فضيلة أو فرض ، فان كان فرضا فكيف قصر فيه هؤلاء الجلة كأبى بكر وعمر والزبير ، وأمثالهم ، وان كان فضيلة فلم قعدوا عنها ؟

فالجواب : أن من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية ، ولما روى أبو هريرة وعمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار » ، وأما من لم يسأل فلا يلزمه التبليغ الا فى القرآن وحده ، وقد قال سحنون : ان حديث أبى هريرة وعمرو هذا انما جاء فى الشهادة •

والصحيح عندى ما أشرنا اليه من أنه ان كان هناك من يبلغ اكتفى به ، وان تعين عليه لزمه •

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضـيلة التبليغ أنه قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها » •

محمد جميل غازى

علامات ضوئية على طريق الدعاة

بقلم الدكتور محمد جميل غازي

— ٣ —

الآية الثالثة

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

— سورة آل عمران / الآية ١٠٤ —

معنى « من »

وقد اختلف العلماء المفسرون حول تحديد معنى ﴿ من ﴾ فى قوله تعالى : ﴿ منكم ﴾ على قولين :

الأول : أن ﴿ من ﴾ فى هذه الآية ليست للتبعيض ، وانما هى لبيان الجنس .

واستدل أصحاب هذا الرأى بدليلين :

أولهما : أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، على كل الأمة فى قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾

وثانيهما : أنه يجب على كل مكلف أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر ، اما بيده أو بلسانه أو بقلبه .

ثم قالوا : اذا ثبت هذا ، فيكون معنى هذه الآية ، كونوا أمة دعاة الى الخير ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر .

واعتبروا أن ﴿ من ﴾ فى هذه الآية مثل ﴿ من ﴾ فى قوله تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ .

ثم قالوا : ان ذلك وان كان واجبا على الكل ، الا أنه متى قام به البعض سقط التكليف عن الباقين ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ وقوله : ﴿ الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ﴾ ،فالامر فى هذه الآيات

ونظائرها عام ، ثم اذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين .

القول الثانى : أن (من) هنا للتبعيض .

والقائلون بهذا القول اختلفوا أيضا على قولين :

أحدهما أن فائدة كلمة (من) هى أن فى القوم من لا يقدر على الدعوة، ولا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مثل : النساء ، والمرضى ، والعاجزين .

والثانى : أن هذا التكليف مختص بالعلماء ، لأن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء : الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومعلوم أن الدعوة مشروطة بالعلم ، العلم بالخير ، والعلم بالمعروف ، والعلم بالمنكر . فان الجاهل ربما دعا الى البـــاطل ، وأمر بالمنكر ، ونهى عن المعروف ، وقد يغلظ فى موضع اللين ، ويلين فى موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا ، فثبت أن هذا التكليف موجه الى العلماء . ولا شك أنهم بعض الأمة لا كلها ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهـــوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

وشىء آخر ، هو : أن العلماء اتفقوا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية ، بمعنى أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين ، واذا كان الأمر كذلك ، كان المعنى : ليقم بذلك بعضكم ، وكان هذا فى الحقيقة ايجابا على البعض لا على الكل .

حتمية الامر والنهى :

وفى هذه الآية التى نحن بصددها بيان لوجوب الأمر بالمعـــروف والنهى عن المنكر ـــ من عدة وجوه :

الوجه الاول : قوله تعالى : (ولتكن) أمر ، وظاهر الأمر الايجاب.

الثانى : فيها تأكيد أن الفـــلاح منوط بالأمـــر والنهى ، جاء ذلك بأسلوب الحصر ، حيث قال : (وأولئك هم المفلحون) .

الثالث : اختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له ، وان تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه .

الرابع : فى هذه الآية بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين ، وأنه اذا قام به البعض سقط الوجوب عن الباقين : اذ لم يقل : كونوا كلكم آمرين بالمعروف ، بل قال : ولتكن منكم أمة •

من يقوم بالأمر والنهى ؟

وهنا سؤال : فمن يقوم بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؟

والجواب : يقوم به كل مسلم قادر عليه ، ولا يغلب على ظنه أنه ان أنكر لحقته مضرة عظيمة ، أو أن لا يؤثر ، غير أنه مع هذا يستحب ، لأن فيه اظهارا لشعائر الاسلام ، وتذكيرا للناس بأوامر الدين •

الى من يوجه الأمر والنهى ؟

وسؤال ثان — هو : الى من يوجه الأمر والنهى ؟

والجواب : يوجه الى كل مكلف ، بل ويوجه — أيضا — الى غير المكلف ، اذا هم بضرر غيره كالصبيان والمجانين ، وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لايتعودوها ، كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها •

* * *

الآية الرابعة

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) •

— سورة آل عمران ، الآية ١١٠ —

خير أمة ٠٠٠ لماذا ؟

تثير هذه الآية تساؤلين :

الأول : من أى وجه يقتضى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله كون هذه الأمة خير الأمم ، مع أن هذه الصفات الثلاثة كانت موجودة فى سائر الأمم ؟

والجواب — كما يقرره الرازى — : أن تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم ، انما كان لاجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكد الوجوه وهو القتال ، لان انكار المنكر قد يكون بالقلب وباللسان وباليد، وأقواها ما يكون بالقتال •

الثانى : لم قدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر ، مع أن الايمان بالله لا بد وأن يكون مقدما على كل الطاعات ؟

والجواب : ــ كما يقرره الرازى أيضا ــ أن الايمان بالله أمر مشترك بين جميع الأمم المحقة ، فيمتنع أن يكون المؤثر فى حصول هذه الخيرية هو الايمان الذى هو القدر المشترك بين الكل ، بل المؤثر فى هذه الزيادة هو كون هذه الأمة أقوى حالا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من سائر الأمم .

* * *

الآية الخامسة

(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) . ــ **سورة المائدة / الآيتان : ٧٨ ، ٧٩** ــ

قال أكثر المفسرين : يعنى أصحاب السبت ، وأصحاب المائدة ، أما أصحاب السبت فهم الذين لعنوا على لسان داود ، وأما أصحاب المائدة فهم الذين لعنوا على لسان عيسى عليه السلام .

وقال بعض المفسرين : ان اليهود كانوا يفتخرون بأنهم من أولاد الأنبياء فذكر الله هذه الآية لتدل على أنهم ملعونون على ألسنة الأنبياء .

ثم قال تعالى : (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ، والمعنى : أن ذلك اللعن كان بسبب أنهم يعصون ويبالغون فى ذلك العصيان .

ثم أنه تعالى فسر المعصية والاعتداء بقوله : (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) .

معنى التناهى

وللتناهى ــ ههنا ــ معنيان :

أحدهما ــ وهو الذى عليه الجمهور ــ أنه تفاعل من النهى ــ أى : أنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضا .

روى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من رضى عمل قوم فهو منهم ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم » .

والمعنى الثانى : أنه بمعنى « الانتهاء » يقال : النهى عن الأمر

وتناهى عنه ، اذا كف عنه •

قال الرازى : فان قيل : الانتهاء عن الشىء بعد أن صار مفعولا غير ممكن ، فلم ذمهم عليه ؟

ويجيب : ان ذلك من عدة وجوه :

الأول ــ أن يكون المراد لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه •

الثانى ــ لا يتناهــون عن منكــر أرادوا فعله ، وأحضروا آلاته وأدواته •

الثالث ــ لا يتناهون عن الاصرار على منكر فعلوه •

أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل :

وقد خرج الترمذى وأبو داود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل : كان الرجل أول ما يلقى الرجل ، فيقــول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل ••)• ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا والله ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا (لتأطرنه : لتردنه) ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، وليلعننكم كما لعنهم » •

الأمر بالمعروف كان واجبا على الامم السابقة :

وقد دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر كان واجبا فى الامم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة ومعنى خلافة النبوة •

قال الحسن : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله فى أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفــة كتــابه » •

وعن درة بنت أبى لهب ، قالت : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ــ وهو على المنبر ــ فقال : من خير الناس يا رسول الله ؟ قال : « آمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله ، وأوصلهم لرحمه »•

محمد جميل غازى

علامات مضيئة على طريق الدعاة

بقلم الدكتور محمد جميل غازي

— ٤ —

الآية السادسة

(يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

— سورة المائدة / الآية ١٠٥ —

رد شبهة شائعة

ظاهر هذه الآية يدل على أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس فرضا على الانسان اذا استقام على الطريقة ، اذ أنه لا يؤاخذ بذنب اقترفه غيره .

ويمنع من هذا الظاهر ما ورد فى تفسير الآية من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين .

. فقد روى أبو داود والترمذى وغيرهما عن قيس ، قال : « خطبنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال : انكم تقرأون هذه الآية ، وتتأولونها على غير تأويلها (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وروى أبو داود والترمذى وغيرهما عن أبى أمية الشعبانى قال : « أتيت أبا ثعلبة الخشنى ، فقلت له : كيف تصنع بهذه الآية ، فقال : أية آية ؟قلت: قوله تعلى : (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال : أما والله سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا

عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العـــامة » •

وقال ابن المبارك : قوله تعالى : (عليكم أنفسكم) خطاب لجميع المؤمنين ، أى : عليكم أهل دينكم ، كقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم)، فكأنه قال : ليأمر بعضكم بعضا ، ولينه بعضكم بعضا ، فهو دليل على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب •

وقال سعيد بن المسيب : معنى الآية : لا يضركم من ضل اذا اهتديتم بعد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر •

الكناية فى الآية :

ثم ان قوله تعالى : (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) اسلوبا كنائيا ، مؤداه : نهى المؤمنين عن التأثر بضلال الضالين من الناس ، بحيث يحملهم ذلك على ترك طريق الهداية •

أو بأن يشتغلوا بالتفكير فى ضلال الضالين ، وعاقبة أمرهم حتى ينسيهم ذلك ويلهيهم عن اصلاح أنفســـهم ، بل الواجب على المؤمن أن يدعو الى ربه ، وأن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ثم يأخذ بالاسباب ، ويكل أمر المسببات الى الله سبحانه ، فاليه يرجع الامر كله •

أما أن يهلك نفسه حسرات فى سبيل انقاذ الغير من الهلكة ، فهذا مالم يؤمر به ، كما أن الانسان المكلف لا يؤاخذ بعمل غيره ، وعلى هـــذا فتصير الآية فى معنى قوله تعالى : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) •

الآية الســـابعة

(واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحـــر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعـــا ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بمـــا كانوا يفسقون • واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم

ولعلهم يتقون • فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون • فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) ــ سورة الاعراف / الآيات ١٦٣ ــ ١٦٦

الفرق الثلاث :

دلت الآيات على أن أهل هذه القرية صاروا الى ثلاث فرق ، فرقة ارتكبت المنكر ، واحتالوا على الصيد يوم السبت ، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم ، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ، ولكنها قالت للمنكرة : لم تنهون هؤلاء ، وقد علمتم أنهم فى حكم الهالكين ، وأنهم قد أستحقوا ــ بما عتوا عما نهوا عنه ــ العقوبة من الله ، اذ لا فائدة من نهيكم اياهم •

فأجابتهم المنكرة : اننا نفعل ذلك اعتذارا الى ربنا سبحانه لما أخذه علينا من ميثاق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر •

ثم نص سبحانه وتعالى على نجاة الناهين ، وهلاك الظالمين •

قال ابن كثير : وسكت عن الساكتين ، لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيما فيذموا •

مصير الفرقة الساكتة :

قال الرازى : واعلم أن لفظ الآية يدل على أن الفرقة المتعدية هلكت ، والفرقة الناهية عن المنكر نجت ، أما الذين قالوا : (لم تعظون) فقد اختلف المفسرون فى أنهم من أى الفريقين كانوا ؟

ــ فنقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه توقف فيهم •

ــ ونقل عنه أيضا : هلكت الفرقتان ونجت الناهية ، وكان ابن عباس اذا قرأ هذه الآية بكى ، وقال : ان هؤلاء الذين سكتوا على النهى عن المنكر هلكوا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ، ثم نسكت ولا نقول شيئا •

وقال الحسن : الفرقة الساكتة ناجية ، فعلى هذا نجت فرقتان وهلكت الثالثة •

واحتج القائلون بنجاتهم ، بأنهم لما قالوا : (لم تعظون قوما

الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) دل ذلك على أنهم كانوا منكرين عليهم أشد الانكار ، وأنهم انما تركوا وعظهم لأنه غلب على ظنهم أنهم لا يلتفتون الى ذلك الوعظ ولا ينتفعون به •

فان قيل : ان ترك الوعظ معصية ، والنهى عنه ــ أيضا ــ معصية، فوجب دخول هؤلاء التاركين للوعظ الناهين عنه تحت قوله تعالى : (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) ؟ •

قلنا : هذا غير لازم ، لأن النهى عن المنكر انما يجب على الكفاية، فاذا قام به البعض سقط عن الباقين •

معذرة الى ربكم :

ودل قوله تعالى : (قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) على أن النهى عن المنكر لا يسقط ، ولو علم المنكر عدم الفائدة فيه ، اذ أنه ليس من شرطه حصول الاستجابة والامتثال ، فلو لم يكن فيه الا القيام بركن عظيم من أركان الدين ، والغيرة على حدود الله أن تتعدى ، وحرماته أن تنتهك ــ لكفى ذلك فائدة ! •

الآية الثامنة

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) • ــ سورة الانفال / الآية ٢٥ ــ

قراءة لتصيبن :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وقرأ طائفة من السلف : (لتصيبن) الذين ظلموا منكم خاصة ، وكلا القراءتين حق ، فان الذى يتعدى حدود الله هو الظالم ، وتارك الانكار عليه قد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه ، وقد يجعل ظالما باعتبار ما ترك من الانكار الواجب ، وعلى هذا قوله : (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) فأنجى الله الناهين ، وأما أولئك الكارهون للذنب ، والذين قالوا : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) فالاكثرون على أنهم نجوا لأنهم كانوا كارهين ، فأنكروا بحسب قدرتهم •

وأما من ترك الانكار مطلقا ، فانه ظالم يعذب ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » • وهذا الحديث موافق للآية •

ثم قال : والمقصود هنا : أنه يصح النفى والاثبات باعتبارين، كما أن قوله : (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى : لا يختص بالمعتدين بل يتناول من رأى المنكر فلم يغيره •

ومن قرأ : (لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أدخل فى ذلك من ترك الانكار مع قدرته عليه •

وقد يراد أنهم يعذبون فى الدنيا ، ويبعثون على نياتهم ، كالجيش الذى يغزو البيت ، فيخسف بهم كلهم ، ويحشر المكره على نيته (١) •

واتقوا فتنة :

وفى صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له : « يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم اذا كثر الخبث » •

وروى الترمذى : « ان الناس اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » •

وروى البخارى فى صحيحه والترمذى عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » •

ففى هذا الحديث : تعذيب العامة بذنوب الخاصة ، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٨٢ .

دفع اشـــكال :

قال الكرخى : ولا يستشكل هذا بقوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لأن الناس اذا تظاهروا بالمنكر ، فالواجب على كل من رآه أن يغيره اذا كان قادرا على ذلك : فان سكتوا فكلهم عصاة ، هذا يفعله ، وهذا يرضاه ، وقد جعل تعالى بحكمته : الراضى بمنزلة العامل فانتظم فى العقـــوبة •

علامة الرضا بالمنكر :

وعلامة الرضا ــ كما ذكره القسطلانى ــ الرضا بالمنكر مع عدم التألم من الخلل الذى يقع فى الدين بفعل المعاصى •

ولا يتحقق كون الانسان كارها للمنكر ، الا اذا تألم للخلل الواقع فى الدين ، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده •

فكل من لم يكن بهذه الحالة ، فهو راض بالمنكر ، فتعمه العقوبة•

محمد جميل غازى

علامات ضوئية على طريق الدعاة

بقلم الدكتور محمد جميل غازي

الآية التاسعة

﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ •

ـ سورة النحل / الآية ١٢٥ ـ

نزولها

نزلت هذه الآية بمكة فى فترة الأمر بمهادنة قريش ، وفيها أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الى دين الله تعالى وشرعه بتلطف ولين ، دون قسوة أو تعنيف !

ولقد كان الحسن اذا تلا هذه الآية ، يقول : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا حبيب الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا والله أحب أهل الأرض الى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس الى ما أجاب اليه •

وفى هذه الآية الكريمة ، أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الناس الى الله بأحد هذه الطرق الثلاثة ، وهى : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن •

طرق الدعوة

ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاث ، عطف بعضها على بعض ، فوجب أن تكون هذه الطرق متباينة •

فالحكمة ، هى الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية •

قال الله تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) •

أو هى ــ على ما يذكره الراغب فى مفرداته ــ : اصابة الحق بالعلم والعقل •

والموعظة : هى الأمارات الظنية والدلائل الاقناعية •

أو هى ــ على ما يــذكره الراغب فى مفرداتــه ــ : زجر مقترن بتخويف ، وقال الخليل : هى التذكير بالخير بما يرق له القلب •

والجدال : هو الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصوم وافحامهم •

أو هى ــ عى ما يذكره الراغب فى مفرداته ــ : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة •

أقسام الجدل :

والجدل على قسمين :

الأول : أن يكون دليلا مركبا من مقدمات مسلمة فى المشهور عند الجمهور ، أو مقدمات مسلمة عند ذلك القائل • وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن •

الثانى : أن يكون ذلك الدليل مركبا من مقدمات باطلة فاسدة الا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب ، والحيل الباطلة ، والطرق الفاسدة •

وقد قصرت الآية الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ، لأن الدعوة ان كانت بالدلائل القطعية فهى الحكمة ، وان كانت بالدلائل الظنية فهى الموعظة الحسنة ، أما الجدل فليس من باب الدعوة ، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الالزام والافحام ، فلهذا السبب لم تقل الآية : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الحسن ، بل قطعت الجدل عن باب الدعوة تنبيها على أنه ليس بابا لتحصيل الدعوة ،

وانما الغرض منه الدفاع عنها ، ورد الشبه والنحل والمفتريات التى تثار حولها •

هذا الترتيب • •ما معناه ؟

والحكمة والموعظة والجدال بالترتيب ، هو ما اصطلحوا على تسميته فى « أدب البحث والمناظرة » بالبرهان والخطابة والجدل •

غير أنه سبحانه قيد الموعظة بالحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن ، ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة ومن الجدال ما هو أحسن ، وما ليس بأحسن ولا حسن ، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ، ومن الجدال بما هو أحسن •

والتفكير السليم يؤيد ذلك ويؤكده ، ذلك لأن سبيله تعالى هو الاعتقاد الحق ، والعمل الحق ، ومن المعلوم أن الدعوة اليه بالموعظة مثلا ممن لايتعظ بما يعظ به ليس موعظة حسنة •

وكذلك الدعوة اليه ــ مثلا ــ بالمجادلة عن طريق المغالطات ليس مجادلة بالتى هى أحسن •

والجدال أحوج الى كمال الحسن من الموعظة ، ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها ، ولم يجز من المجادلة الا التى هى أحسن •

ثم ان فى قوله تعالى : (بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) أخذا بالترتيب من حيث الأفراد •

فالحكمة : مأذون فيها بجميع أفرادها •

والموعظة منقسمة الى حسنة وغير حسنة : والمأذون فيه منها هى الموعظة الحسنة •

والمجادلة منقسمة الى حسنة وغير حسنة ، ثم الحسنة الى التى هى أحسن وغيرها • والمأذون فيه منها التى هى أحسن •

والآية الكريمة ، قد سكتت عن توزيع هذه الطرق بحسب الذين

ستوجه اليهم الدعوة ، فالأساس فى استعمال هذه الطرق هو حسن التأنى ، والوصول الى الغاية ، والحصول على المطلوب وهو ظهور الحق .

فمن الجائز أن يستعمل الداعية فى حالة جميع الطرق الثلاث ، وفى حالة أخرى طريقين ، وفى حالة ثالثة طريقا واحدا ، حسب المقام والحال ، وظروف المقال .

* * *

الآية العاشرة

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

— سورة فصلت / الآية ٣٣ —

المعنى : لا أحد أحسن كلاما وطريقة وحالة ممن دعا الناس الى طاعة الله وطاعة رسله ، وذلك بتعليم جاهلهم ، ووعظ غافلهم ونصح معرضهم ، ومجادلة مبطلهم .

وقال الحسن : هذه الآية عامة فى كل من دعا الى الله .

وهذه الآية ، وغيرها فى القرآن الكريم كثير ، توجب الدعوة الى الله .

ومن الآيات ما يوجه فيها الخطاب الى النبى صلى الله عليه وسلم فتدخل فيه أمته تبعا له .

ومنها : ما يوجه الى الأمة مباشرة .

فمن الآيات التى خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :

(وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين) .

وهذا النوع من الآيات يدخل فيه المسلمون جميعا ، لأن الأصل فى خطاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم دخول أمته فيه الا ما استثنى . وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى له بالدعوة اليه . ومعنى

ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الاسلامية وشرفها بأن أشركها مع رسوله الكريم فى وظيفة الدعوة اليه •

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة رضى الله عنه قال فى قوله تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعـا الى الله وعمل صـالحا وقال اننى من المسلمين) هـذا عبد صدق قوله وعمله ، ومولجـه ومخرجه ، وسره وعلانيته ، ومشهده ومغيبه •

وبعـد :

فاننى اذ أرفع القلم عن هذه الدراسة التى أردت من ورائها أن أكمل بها ما بدأه « شيخ الاسلام ابن تيمية » من رسالته العميقة والموفقة • أرجو أن أكون قد وفقت فيما اليه قصدت •

محمد جميل غازى

من أنكر فقد سلم

عن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبى أمية حذيفة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : انه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع • قالوا يا رسول الله : ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة •

رواه مسلم